تحذير العبقري من محاضرات الخضري

أو

إفادة الأخيار ببراءة الأبرار

تأليف
العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ
محمد العربي التباني
المدرس بمدرسة الفلاح والحرم المكي

دار
الكتب العلمية
بيروت



تحذير العبقري من محاضرات الخضري

أو

إفادة الأخيار ببراءة الأبرار

تأليف

العلامة المؤرخ الثقة الثبت الشيخ

محمد العربي التباني

المدرس بمدرسه الفلاح والحرم المكي

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

الطبعة الثانية
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قد تفضل علينا حضرات أصحاب الفضيلة أعلام العلماء ببيت الله الحرام بتقريظ كتاب تحذير العبقرى فنثبت كلماتهم شاكرين لهم حسن ظنهم والله الموفق .

تقاريظ العلماء

تقريظ فضيلة الشيخ محمد يحيى امان المكى العضو بالمحكمة الشرعية بمكة المكرمة والمدرس بالمسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، المرسل بالآيات البينات ، والمعجزات الباهرات ، وعلى آله وأصحابه ، المشهود لهم بالخيرية والعدالة ، فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، الباذلين نفوسهم ونفيسهم فى سبيل إعزاز الدين ، ومنتهى سؤلهم إعلاء كلمة الله .

أما بعد فانى قد اطلعت على بعض مواضع من الكتاب المسمى بتحذير العبقرى من محاضرات الخضرى فوجدت مؤلف المحاضرات قد حاد عن الصواب وتكلم فى بعض أجلاء الصحابة تصريحا واشارة وتلويحا وسطر ذلك فى محاضراته بقلم ضاع صوابه وتشنجت أعصابه ، فاتى بما لا يصح لمسلم أن يفوه به ، فضلا عن أن يسطره على مدى السنين ولا يصح لمسلم أن يفكر فيما جرى بين الصحابة من الحروب ويستنبط بفكره القاصر أموراً ويصفهم بها توجب جرحهم وعدم نزاهتهم وبراءتهم ، وسقوطهم مما لا يليق فقد جاء فى الحديث : الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً فلو

أن أحـــدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، والآيات
والأحاديث الواردة فى فضلهم وعدالتهم وخيرتهم ونزاهتهم وبراءتهم كثيرة
وكان الواجب على علماء الأمة الاسلامية أن يقوموا بهذا الواجب الدينى
وهو الرد عليه المشتمل على عدة واجبات واجب العلم نفسه وهو أن يبينوا
الحق والصواب ويظهروا الخطأ وما يوجب الشك والارتياب ويقروا
الأمور فى نصابهـا ويضعوا الأشياء مواضعها وواجب المعلمين وهو أن
يعرفوهم الحق من الضلال والصحيح من البهتان والهذيان والدين والنصيحة
وواجب انسانى وهو نصرة المظلوم والأخذ بيـد العاجز ودفع الظلم عنـه
والاعتداء عليه وقد قام بهذا الواجب الخطير العالم الجليل والعلامة الدراكة
الشهير المؤرخ المحدث المفسر النحوى اللغوى الكبير من شهرته تغنى عن
ذكره ألا وهو فضيلة الشيخ محمد العربى المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة
الفلاح المكية فقد رد عليه ردا بليغا شافيا كافيا واستخرج بثاقب فكره
ووقادة ذهنه مغامز الخضرى ومراميه من خبايا كلامه ومطاوى مقصـده
ومرامه ومع هـذا قد جمع كتابه هـذا جانبا من التاريخ والسـيرة النبوية
والأخلاق المصطفوية والرد على من فسر بعض آى القرآن برأيه الفاسـد
الذى لايستند إلى كتاب أو سنة أو اجماع وانما مستنده اتباع الهوى والسير
وراء العقل واتباع سنن الكون فما خالف شيئا منها ولو كان ثابتاً بالأدلة
القاطعة رده وانكره ولقد سمعت بعض الشباب المثقف يقول يقال إن
الحجر الذى كان سيدنا ابراهيم عليه السلام يقف عليه حين بنائه لبيت الله
الحرام تارة يصعد ويرتفع وتارة يتسفل وينخفض لأخذ سـيدنا ابراهيم
الحجر والطين من الأرض هذا شىء مما لا يدخل فى العقل ولا يعقل ولم نأتى
بالكلام الذى لا يقبله العقل؟ وهو أشبه شىء بالخراف ونصير ضحكة للناس
ولماذا لا نقول إن ابراهيم عليه السلام كان حين يبنى البيت يربط سقالة كما
هو عمل البنائين فى هذا الزمان والسلام ، فهذا الشخص وأمثاله ممن ينكرون
المعجزات والأمور الخوارق للعادات مما يظهر على يد الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام والأولياء الكرام سيرا منهم وراء عقولهم واتباعا للهوى وسنن الكون اما أن يعترفوا بوجود الاله العالم القادر المريد المخالف للمخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن كل نقص المتصرف فى الكون بقدرته وعلمه وارادته ومشيئته وموجوده على أبدع نظام وأحسن إتقان فان كانوا يعترفون بذلك ويكونون من أغبياء الملة يقال لهم ماالمانع من إحداث وإظهار الله سبحانه وتعالى المعجزات والأمور الخارقة للعادات على يد النبى أو الولى وهو الفعال لما يريد وقد أوجد هذه الكائنات وقلب العصا حية عظيمة فتلقفت جميع ماياً فكون ثم عادت لأصلها وهذه الكائنات من المعجزات الباهرات الخارقة للعقول وان كانوا لا يعترفون بذلك ويكونون دهريين فما بالهم يتكلمون فى الفرع مع عدم اعترافهم بالأصل . والحاصل أنى أقول :-

جزى الله مؤلف هذا الكتاب خيرا وأكثر من أمثاله وأطال فى حياته وانى كتبت هذا مقتصرا لسبب عدم اطلاعى على جميع ماحواه هذا الكتاب لضيق الوقت والعجلة نفع الله به الطلاب آمين .

محمد يحى أمان المكى
العضو بالمحكمة الشرعية
بمكة المكرمة

تقريظ فضيلة الشيخ حسن مشاط العضو بالمحكمة الشرعية والمدرس بالمسجد الحرام بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يوجب رضاه ويقتضى المزيد من فضله ونعماه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المتقين وإمام المرسلين ، وآله وصحبه الغر الميامين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد أصبحنا فى عصر راج فيه سوق الجهل وانتشر فيه الالحاد والبدع والمحدثات ، وهان فيه على كثير من الناس أمر دينهم وانقلبت الاوضاع فصار التمسك بالدين جمودا والمروق والخروج على آدابه وتعاليمه تمدينا وحضارة وتثقيفا وتجديدا وأصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا وتنكست فيه أعلام الخير والى الله المشتكى . حتى نجم من بعض من ينسب نفسه إلى العلم وأهله أن شاء أن يتحدث فيما يكتب عن تاريخ الامة المحمدية وسيرة نبيها وسلفها بما لا يتفق وصحيح الاخبار مما يحط من الكرامة ويلصق بالساحة الكريمة ماهى منه براء فى عبارات منمقة وتحرير مسبوك بروح العصر ودسائس غطت على الحقيقة ولبست الحق بالباطل فى غير حياء ولا مراقبة للملك الديان ولاوازع فى توخى الحق والرجوع اليه بعد ظهوره والوقوف عند مايجب .

وكان من فضل الله تعالى فى كل عصر أن قيض علماء أجلاء يحرسون دينه ويصدون عن بيضته ويدافعون عن حومته وعن رجاله المخلصين وعن السلف الصالح الذين فى مقدمتهم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين هم خير أمة أخرجت للناس لم ير الوجود مثلهم بله النبيين والمرسلين نقلوا لنا عن هذا النبي الكريم الدين والسنن وحفظوها عنه وبلغوها عنه وبلغوها الينا كما سمعوها ، فهم صحابته الأكرمون المعدلون حجة الله على المسلمين وهم خير القرون وأول من آمن به وآزره ونصره وقد أثني الله عليهم فى الأزل قبل ظهورهم الى هذا الوجود ولقد

كانت صحبتهم لهذا الرسول الكريم وتشرفهم باكسير نظره الميمون ومشاهدتهم لأحواله الشريفة وملازمتهم له فى السلم والحرب مع مامنحه الله من المعارف السامية والأخلاق الكريمة والأسرار الكبيرة الجذابة ، كل ذلك كان كافيا فى نقل النفوس البشرية من دركات جهلها وطغيانها الى السمو إلى الدرجات العلى للتحقق بحقائق الايمان والعرفان فلذلك تحققوا بكل فضيلة وخير فمن أحبهم فبحبه صلى الله عليه وسلم أحبهم ومن أبغضهم فببغضه أبغضهم ، ولله در إمام الأئمة ونجم الأمة سيدنا مالك بن أنس رضى الله عنه إذ فهم -بثاقب فكره الصائب من الآية الكريمة التى ضربت مثل الأصحاب الكرام فى التوراة والأنجيل «كزرع أخرج شطأه فآزره» إلى قوله: «ليغيظ بهم الكفار» ان من أصبح من الناس فى قلبه غيظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية » .

ولا أظن أحداً يخالف هذا الامام الجليل فى هذا الفهم الصائب فرضى الله عنه وأرضاه ماأبعد نظره وأسماه ! .

وان من هذا الطراز فى العلماء العاملين الذين وفقهم المولى وأقامهم فى هذا العصر الحاضر الممتلىء بالفتن المدلهمة ينشرون دينه ويشيدون برجاله المخلصين وسلفه الماضين ويدافعون عن حمى أعراضهم الشريفة بالكتابة والنقد الصحيح تارة والدرس والاقراء النافع تارة أخرى العلامة الشهم المحدث المؤرخ الألمعى سيدى الاستاذ أبى عبد الله السيد محمد العربى بن السيد التبانى بلغه المولى غاية الامانى .

فلقد اطلعت له على مؤلف أسماه بـ (تحذير العبقرى من محاضرات الخضرى) وقرأت مواضع من هذا المؤلف الجليل ورأيت مؤلفه يقصد فيه الدفاع عن الاخبار الصحيحة ويردالبها الاخبار الواهية الجريحة وما كان فيها من فساد بين وجهة فساده ورده الى الجادة القويمة وجلب له من الاخبار الصحيحة مايدعمه وماكان من مقالات باطلة دحضها أو آراء فاسدة كشف الحجاب عنها وزيفها وأوضح أن العلم أمانة تجب مراعاتها وحفظها وربما

استطرد الموضوع فكمل مايحتاج الى زيادة وتكميل الى غير ذلك مما سيقف عليه المطالع فى هذا المؤلف الجليل كما أن فضيلة الناقد حفظه الله تراه عند مايسوق كلام الاصل بتمامه وفيه مايشعر بلمز فى حضرة أحد من الاصحاب الكرام تراه يدافع بقوة وحماسة عن ساحة الاصحاب ويشـيد بسمو مكانتهم وما لهم من فضل وتقدير واحترام .

وان ذلك لعمر الحق حق واجب على كل مسلم عالم غيور يقصد الحيطة لدينه والنصيحة لإخوانه المسلمين وبذلك يجدر به أن يكون من السالكين فى أهل العلم والتقوى حقا .

وإنى إذ عرفت نوايا هذا الاستاذ الكبير الصادق واخلاصه الجم فيما جمعه هنا من نقد وما أظهره من انافة وسمو مكانة لسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين فانى أتشرف بأن أضم صوتى لصوته طالبا من اخوانى المسلمين أن يراقبوا الله تعالى فى دينه وأمانته التى ائتمنهم عليها وصحابة نبيه الابطال الامجاد وأن يجلوهم أينما ذكروا وان يعرفوا لهم من الحرمة والتبجيل والتعظيم ماتفضل الله به عليهم وان يغاروا على حرمتهم بالدفاع عن ساحتهم الشريفة مااستطاعوا إلى ذلك سبيلا فان الدفاع عنهم دفاع عن دين الله ورسوله وأخص بالنصح بذلك ناشئتنا المتعلمين فان عليهم أن يأخذوا تاريخهم المجيد وتاريخ الاسلاف الامجاد من منابعه الصافيـة ومصادره الصحيحة الصائبة وان يعرضوا عن الاخذ مما كتبه أو يكتبه الغربيون أو الملحدون فى ذلك فان فيما أبقاه وورثه لنا سلفنا الصالح من الثروة العلمية الصحيحة والتاريخ المجيد الخالد الخير الكثير الكافى .

هذا وانى أسأل الله الكريم أن يبقى لنا فضيلة هذا الاستاذ المؤلف وأن يديم به نفع المسلمين عامة وأهل العلم خاصة وأن يكثر المولى من أمثاله وأن يجزيه على جليل أعماله وأن يطيل عمره فى صحة وعافية بمنه وكرمه آمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

حسن مشاط المكى

تقريظ فضيلة السيد اسحاق عزوز عضو مجلس الشورى ومدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا العلامة الشيخ محمد العربي التباني الجزائري ثم المكي جمع الله له طرافة الحديث وغزارة العلم وسعة المعارف والجمع بين الرواية والفهم . أصولي ، مفسر ، محدث له قدم أعلى فى التاريخ العربى والاسلامى قد شغل أوقاته منذ نشأته بمذاكرة العلم وتدريسه والتأليف فيه. وتصانيفه ممتعة، وقد جرد نفسه فى تآليفه للدفاع عن الدين ورجاله .

مصنفاته

١ ـ تنبيه الباحث السرى إلى مافى رسائل وتعاليق الكوثرى وقد تعقب فى هذا الكتاب الشيخ زاهد الكوثرى رحمه الله تعالى حيث تحامل على الأئمة وأتباعهم من غير الحنفية فرد الشيخ الأمر إلى نصابه .

٢ ـ محادثة أهل الأدب بأخبار وأنساب جاهلية العرب : وهو كتاب مدرسى تعرض فيه لتاريخ العرب قبل الاسلام .

٣ ـ إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات .

٤ ـ اعتقاد أهل الإيمان بالقرآن بنزول المسيح بن مريم عليه السلام آخر الزمان : تعرض فيه للرد على من أنكر نزول المسيح بأحسن رد .

٥ ـ خلاصة الكلام فيما هو المراد بالمسجد الحرام : حقق فيه الغرض من المسجد الحرام هل هو المسجد ؟ أم الحرم كله.

٦ ـ نزهة الفتيان فى تراجم بعض الفتاك والشجعان : ذكر فيه بعض شجعان العرب والصحابة .

٧ ـ اتحاف ذوى النجابة بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة : وهو رد على الطاعنين فى الصحابة وخاصة الرافضة الذين ينتقصون الصحابة

الكرام وقد مهد فى هذا الكتاب القواعد العامة فى فضلهم كما أردف ذلك بخاتمة فى فضائلهم عموما وخصوصا الخلفاء الاربعة .

٨ ـ تحذير العبقرى من محاضرات الخضرى : وقد مهد المصنف لكتابه هذا بمقدمة ذكر فيها القواعد الصحيحة التى بمقتضاها توثق الاخبار أو تجرح وقد اقتصر فى نقده للمحاضرات على الجزء الخاص بالصحابة كما تعرض لبعض الموضوعات الاخرى الدينية كقصة الفيل ، وبناء البيت ، وحجه ، والخلافة الاسلامية وقصة الاسراء والمعراج . ويعتبر هذا الكتاب صنوآ لكتاب إتحاف ذوى النجابة إذ كلاهما يتمم الآخر ففى الاتحاف تعرض للقواعد العامة وفى هذا الكتاب تتبع الاخبار على ضوء قواعد المحدثين .

ولعمر الحق لقد كان المحدثون ملهمين حين استنبطوا تلك القواعد لنقد الرواية فكانت أحكم القواعد وأدقها ولو حكمها الباحث المتثبت لتيقن أنه لا يمكن الحكم الصحيح بصحة الاخبار أو فسادها إلا بصحة النقل أو أو فساده فقط ومع أن فضيلة الشيخ قد أحكم هذه القواعد فانه لم يهمل المعقول فقرن الرواية بالدراية ، وهذا أعلى درجات التحقيق.

وحبذا لو أقبل الشباب على دراسة هذا الكتاب فانه سيكون معينا لهم على عدم التورط فى القدح فى الصحابة بمجرد أخبار واهية ذكرت فى بعض كتب التاريخ دون نقد أو تمحيص . وأرجو أن يحفظ الله تعالى المؤلف ويمتعنا بأبحاثه الشيقة وتحقيقاته النافعة المفيدة .

السيد اسحاق عزوز

تقريظ فضيلة السيد محمد أمين كتبي
المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،أما بعد فهذه دائرة معارف محكمة البنيان ، قوية

الأركان ، واضحة البرهان ، بين بها فضيلة شيخنا العلامة الشيخ محمد العربى حفظه الله تعالى أباطيل المشوهين حقائق تاريخ الأسلام وخصوصا مازل به قلم الشيخ الخضرى فى محاضراته فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وفى سيرة خلفائه الراشدين وأصحابه الكرام ، سماها (تحـــذير العبقرى من من محاضرات الخضرى ، أو إفادة الأخيار ببراءة الأبرار) والناظر فيها يعلم أنه ماكان ليضطلع بها غير مؤلفها لأنه إمام العصر فى فن التاريخ وقد عرف كيف يرد على المؤرخين الذين نصبوا فى أيديهم موازين يزنون بها الصحابة ويوازنون بها بينهم وقد غاب عنهم أن الشارع لم يأذن لهم فى ذلك وفتحوا لأنفسهم بابا أغلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده،وماذا عسى أن يقول هؤلاء المؤرخون فى الصحابة رضى الله عنهم بعد قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه إذا ذكر أصحابى فأمسكوا،وبعد قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم : لاتسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه . وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الترمذى : ألله ألله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى يوشك أن يأخذه، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الديلمى وأبى نعيم : من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

ولا شك أن اتهام فضلاء الصحابة فى الرأى وتجريدهم من الحزم والمعرفة ونسبتهم الى الخرق والغفلة وأمثال ذلك نوع من السب بل هو أعظم السب فى حق مثلهم وكيف نتهم قوما اختارهم الله تعالى ، ففى حديث البزار والديلمى عن جابر رضى الله تعالى عنه : ان الله تعالى اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير ، قال

الشهاب الخفاجى فى شرح هذا الحديث فكلهم علماء عدول كما فى حديث خير القرون قرنى ثم وثم . وهذا سبب ماحكاه إمام الحرمين رحمه الله تعالى فى الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما أدى إليه اجتهاده لما أوجب القطع بأنهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ، ولما اتصفوا به من الهجرة وترك الأهل والأوطان وبذل النفوس والأموال فى نصرة الدين وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية اه.

قال القرافى رحمه الله تعالى : أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا بحارا فى العلوم على اختلاف أنواعها من الشرعيات والعقليات والحسابيات والسياسيات والعلوم الباطنة والظاهرة حتى يروى أن علياً جلس عند ابن عباس فى الباء من بسم الله من العشاء إلى أن طلع الفجر مع أنهم لم يدرسوا ورقة ولا قرأوا كتابا،ولا تفرغوا من الجهاد وقتل الأعداء ومع ذلك كانوا على هذه الحالة حتى قال بعض الأصوليين لولم يكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة إلا أصحابه لكفوه فى إثبات نبوته اه.

وفى كلام علماء المذاهب الأربعة كالطحاوى والغزالى والقاضى عياض والنووى وابن تيمية والكمال بن الهمام والهيتمى مايؤيد هذا :

وما أخبرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بأن الله تبارك وتعالى قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : (اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) إلا ليعرفنا قدرهم وينبهنا على فضلهم ويمنعنا من انتقادهم.ولما قدم صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع إلى المدينة صعد المنبر وخطب خطبة فى فضلهم قال فى آخرها : أيها الناس ، احفظونى فى أصحابى وأصهارى وأختانى لايطالبنكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب فى القيامة غدا . رواه الطبرانى عن خالد بن سعيد.وفى حديث أبى نعيم والديلمى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: احفظونى فى أصحابى وأصهارى فانه من حفظنى فيهم حفظه الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه .

وحسبك ان الله تعالى قد نص فى آيات كثيرة على أنه رضى عن الصحابة قال تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . ولهذا قال العلماء : إذا ذكر الصحابة بسوء كاضافة عيب اليهم وجب الامساك ، وقد افرد فضائلهم — بالتأليف جماعة من أئمة السلف كأبى محمد خيثمة بن سليمان الطرابلسى وأبى محمد . طراد بن محمد الزينبي وأبى القاسم حمزة بن يوسف الجرجانى وأحمد ابن محمد بن المهندس وأبى الحسن أحمد بن حمزة الموازينى - وجماعة كثيرة ممن بعدهم منهم مؤلف هذا الكتاب فانه قد الف - اتحاف ذوى النجابة فى فضائل الصحابة - فمن اللازم على كل مسلم اقتناء هذه الموسوعة الجليلة ليطلع على تاريخ سلفه الصحيح ويقى عقيدته مما يخالف ذلك ، وختاماأسأل الله تعالى أن يطيل عمر مؤلفها ويديم نفعه وبركته آمين .

وهذه تحية أسجلها هنا لفضيلته مع التقدير والاحترام

تكللت روضة التاريخ بالزهر ... غضاً وطرزها الوسمى بالدرر
وأشرقت شمسها بيضاء صافية ... لاحر فيها فلاحت فى سنا القمر
والريح تكتب إملاء الطيور على ... صحيفة النهر بالآصال والبكر
وكل قلب له شغل بناحية ... وكل قسم له حظ من النظر
قلب بمختلف الأهواء مشتغل ... وآخر بفصول العلم والأثر
يجول فى روضة يجنى فواكهه ... حتى يمر على التعقيب (بالخضر) ى
خميلة تسكر الدنيا بكرمتها ... من قبل ان تجتنى من يانع الثمر
ماأحسن العلم فى أهل الكمال فكم ... يزيدهم رفعة فى أعين البشر
وإننى اليوم مسرور الفؤاد بما ... أبداه أستاذنا من أصدق الخبر
وسوف ينمو سرورى كلما ظهرت ... له المآثر فى التاريخ والسير
بمثلها يعتنى الانسان مقتنعا ... بما احتوته من الآراء والفكر
ان كان لابد من تقديم تهنئتى ... للشعب فهى بهذا العالم الاثرى
فان تصورت (كالزهرى) حافظة ... فانه صورة من أصدق الصور

وان تخيلت (كالشعبي) عارضة ... فانه المثل المرضى فى النظر
ومن يكن يستمد الفضل مقتبساً ... من عنصر طيب كالتبر فهو حرى
لا تعد عيناك عن تأليفه أبدا ... أو درسه فهو ملء السمع والبصر
أوصافه كزهور الروض باسمة ... وخلقه كنسيم الصبح والسحر
عادت يداه على الدنيا بنافعة ... وفكره جاد بالآيات والغرر
وعم نفعا فكم شاهدت معترفا ... بفضله ليس ينسى أطيب الذكر
لاتنكرن هبات الله فهو كما ... أملت فيه بلا من ولا كدر
تبارك الله سبحان القدير على ... تخصيص من شاء بالتوفيق والظفر
بشرى لنفس طموح لا ينهنهها ... وعر المسالك عن إدراك منتظر
وهل سمعت بشخص نال مطلبه ... عفوا ولم يدرع بالحزم والسهر
ورب منتصب للحق أعجبه ... من لهجة الحق وقع الصارم الذكر
ورب آخر لا يسمو لسابقه ... تقبل الحق فى شيء من الضجر
لا تنكروا لهجة الحق الصريح فما ... على محياه من ذل ولا قتر
من خاض لجة بحر النقد خاض على ... سفينة ضخمة الالواح والدسر
مسلحا بصحيح النقل ليس له ... فى منكر القول والابحاث من وطر
يزل عن فاسد الآراء منعرجا ... عنها كما زلت الصفواء بالمطر
يمر فى معرض التحقيق منبسطا ... كالماء منحدرا فى كل منحدر
إذا تدفق خلت الغيث مندفقا ... ينهل بالصفو لا باللغو والعكر
له على شارد الأقوال هيمنة ... تدنى أوابدها فى الورد والصدر
ثم الصلاة على أعلى الورى شرفا ... محمد المصطفى المختار من مضر
والآل والصحب والأتباع قاطبة ... والأولياء وأهل العلم والنظر

٢٧ رجب سنة ١٣٧٤ هـ .

محمد أمين كتبي

المدرس بالمسجد الحرام وكلية المعلمين

عفا الله عنه

تقريظ فضيلة الشيخ محمد نور سيف المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنا من أمة خاتم النبيين ، وشرفنا بالانتساب إليه من فضله المبين،ورفع مقام أصحابه الكرام على هام الثريا ، وحباهم بصحبته شرفا جليا ، فنالوا عزا أبديا،وفوزا سرمديا،بحيث لا تلحق لفضلهم غاية ، ولا تدرك لكمالهم نهاية ، صلى الله وسلم عليه صلاة وسلاما ، ننال بهما التوفيق لسلوك مناهج الأدب ، ونبلغ بهما فى احترام أحبابه أسمى الرتب، وعلى آله وأصحابه ذوى النفوس الزكية،والأخلاق المرضية،وعلى التابعين لهم على المحجة السنية،والعقيدة السنية.(أما بعد) فان الله تعالى جعل الخير فى هذه الأمة متواصلا ، والذب عن حرمات دينه فيها بكل عصر ماثلا ، فلا يعدم البر فاعلا ، ولا الحق قائلا،وان مما من الله به سبحانه (وله الفضل والمنة) على شيخنا وقدوتنا ومربينا الجهبذ الكبير،والعلامة الخطير،والحبر الشهير، والفهامة النحرير،الجامع لأشتات العلوم فروعا وأصولا ، منقولا ومعقولا،صاحب الفضيلة،والأيادى الجليلة،والمناقب الجميلة،مولانا الحسيب النسيب الشيخ محمد العربى(حفظه الله تعالى) ـ أن جعله من اولئك الأفذاذ الذين يحفظ بهم كيان دينه المبين،وكرامة حملته المتلقين له عن سيد الأنام الصادق الأمين،الذين عز شبيههم فيمن تقدم من أصحاب المرسلين ، ولا نظير لهم فيمن سلف من النقباء والحواريين

رضى الله عنهمو ورضوا عنه وتلك السيادة القعساء
كلهم فى أحكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم اكفاء
ما لموسى ولا لعيسى حواريون فى عدهم ولا نقباء

هؤلاء الصحب السادة الفخام ، والقادة الأجلاء العظام لم يكن يخطر ببال أى مسلم (صان الله قلبه من شوائب البدع) أن يجسر على النيل منهم

والغض من كرامتهم نفر ينتسبون (وياللأسف) إلى أهل السنة من مؤرخي وأدباء هذا العصر قنعوا بالقشور عن اللباب ، ولم يأتوا بيوت الحقائق من الابواب فخفيت عليهم معالم الصواب ، وخبطوا خبط عشواء فى ليلة ظلماء حالكة الجلباب ، أفبعد ثناء الله تعالى عليهم فى محكم الآيات ، التنويه بعلو شأنهم وما أعد لهم من الكرامات وبعد مدح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم فى الاحاديث المتواترة والصحاح المشتهرة ، وتحذيره من تنقيصهم والتعرض لهم بالأذى واعلامه بأن ذلك يؤذيه وأن من آذاه فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه . أبعد كل هذا يسوغ مسلم لنفسه ثلبهم تعريضا وتصريحا وايهاما وتلويحا ، أما طرق سمعه قول الحق سبحانه فى آى كتابه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) وقوله جل ذكره (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) لم يسع قدوتنا العلامة (متع الله المسلمين بحياته) بعد أن رأى تلك الهفوات فيما كتبه الخضرى من محاضرات التاريخ الاسلامى إلا أن يتعقبها بتزييف باطلها ونبذ عاطلها حتى يتميز الصدق من المين فيقال (أسفر الصبح لذى عينين) وقد سبق له أن تعقبها فى ستين بحثاً فى مؤلف مختصر أسماه (النصيحة والاستدراكات على ما فى كتاب المحاضرات) فانتشر ذلك المؤلف و نفدت نسخه فأراد (نفع الله المسلمين بعلومه) أن يجدد طبعها ولكن بعد أن زاد فيها زيادة واسعة وساق المباحث المنتقدة بنصها حرفيا ثم عقب عليها بما هو الحق ليجعل الناظر على بصيرة بموضع الداء ونوع الدواء وأداء لحق أمانة العلم على أكمل وجه وسيراها الناظرون ، فتقربها (إن شاء الله) العيون ويرتضيها المنصفون (وما رآء كمن سمعا) ولقد سلك أيده الله فى نقدها مسلك المحققين ، من الباحثين الذين يعرفون الرجال بالحق لا الحق بالرجال كما هو ديدنه فى

سائر ماقيده من آثاره النافعة ، وتآليفه الممتعة ، فبلغ ماتعقبـه منها ستاً وعشرين محاضرة (ابتدأها من الثالثة إلى العاشرة تباعا والثانية عشرة وتاليتيها والسادسة عشرة والثامنة عشرة وتابعتيها ، ومن الخامسة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين ولاء) ، نقدها نقداً بريئاً ، ومحصها تمحيصاً نزيها فاستهل هذه التعقيبات (بعد الثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه) « بمقدمة » أوضح فيها ما يجب على المسلم من عدم الوثوق بكل مايقوله المؤرخون فى رجال الاسلام عموما وبالأحرى فى الصحابة رضى الله عنهم محذرا من كتب أهل الأهواء كافة وبالأخص من كتب بعضها لمناوئين لدين الاسلام كتآليف دار الهلال مبينا ان الضلال بها أشد من الضلال بالكتب الخرافية الموضوعة كذات الهمة والعنترية وفتوح الشام المعزو للواقدى وبعضها لطائفة من أهل العصر انتقدوا الصحابة رضى الله عنهم انتقادا خاطئا نتيجة أهوائهم وإفلاسهم من الرواية وجهلهم بها وبرجالها وتقليدهم لذوى الأهواء والوضاعين زاعمين أن هذا هو التاريخ الحر وما هو فى الحقيقة إلا الأباطيل ـ وأهاب بشباب الاسلام خاصة والمسلمين عامة أن ينزهوا أسماعهم وأبصارهم وعقولهم عن هذه المفتريات التى يحاول بها أعداء الاسلام تشويه حقائق تاريخه الناصعة وأن يتمسكوا بما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من خطر الخوض فيما جرى بينهم رجوعا بهم إلى عقيدة القرآن والعقيدة النبوية الثابتة فيهم (وأشار باجمال الى هفوات الخضرى فى انتقاده الخلافة فى طرقها الثلاثة وطعنه بسببها فى الصحابة خصوصا وعموما لاسيما حيدرة رضى الله عنه وعنهم أجمعين وحذفه لدلائل النبوة والمعجزات المروية فى سيرته عليه الصلاة والسلام من كتابه ، وذكر أن الاشادة بفضائل الصحابة والذب عن حمى أعراضهم الشريفة محتم على كل مسلم وأنهم رضى الله عنهم هم الذين سنوا لنا المدافعة عن أعراض المؤمنين كما هو مروى فى الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وتأسى بهم فى تلك المدافعة التابعون وأئمة الاجتهاد والعلماء العاملون بعدهم وهلم جرا إلى زماننا آخذين ذلك من كتاب الله تعالى وسنة

رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللذين وفياهم حق الثناء وذما من تنقصهم، وختم هاته المقدمة بأن المثنى عليهم تابع للكتاب والسنة وإجماع الأمة الاسلامية فهو على الحق يقينا والمنتقد لهم والطاعن فيهم هالكان .

وابتدأ نقده (فى المحاضرة الثالثة « وهى الأولى بالنسبة لما تعقبه ») بحادثة الفيل وفند فيها مزاعم المحاضر الباطلة وتمحلاته الخاطئة وتحريفاته الفاسدة وتأويلات شيخه ومقلده « محمد عبده » للطير الأبابيل بما يأباه صحيح المنقول وصريح المعقول تفنيدا مبسطا بالأدلة الساطعة أتى عليها من القواعد واجتثها من الأصول .

(وفى المحاضرة الرابعة) كشف عن جهل المحاضر القناع فى مخالفته للقرآن والصحاح والتاريخ فى سكنى اسماعيل عليه السلام « قبل جرهم » فى أشرف البقاع .

(وفى الخامسة والسادسة) تمم الكشف عن جهل المحاضر فى قصة جرهم واسماعيل ودعواه أنه هو الذى بنى الكعبة وجعلها مطافا يحجها أولاده .

(وفى السابعة) خطأه فى وثوقه بمؤرخى الأفرنج وعدم ثقته بمؤرخى الاسلام فى قصة بحيرا واستطرد فيها ببيان أن السبب فى إنكار بعض أهل العصر للأمور الغيبية هو مجاراة الذين لا يؤمنون بالغيب، وردعلى (صاحب المنار) تأييده لأباطيل جهلة المؤرخين فى عثمان رضى الله عنه وتساهله فى المحافظة على شرف الأصحاب رضى الله عنهم بمنعه الحذف لكلام شانئهم من المؤلف الذى تضمنه بحجة أنه لا يسوغ حذف كلام العلماء من التآليف فى حين أنه ناقض نفسه (عندما اطلع على الكلام الحق للمؤرخ شبلى النعمانى فى ذم جرجى زيدان بأنه خائن فى النقل محرف لكلام العلماء الخ) فذكر أن هذا الكلام لولا أنه طبع فى غير مناره وشاع وذاع لحذفه فسجل على نفسه أن منزلة ذى النورين وأكابر الأصحاب رضى الله عنهم لاتبيح حذف نباح الأشرار على سمو مقاماتهم ومنزلة صديقه النصرانى

تبيح حذف كلام المسلم المحق فى رد باطل ذلك النصرانى وكشف دخيلة أمره وغشه) .

(وفى الثامنة) استدرك عليه تقصيره فى إيراد أقسام الوحى ثم ساقها أحسن سياق نقلا عن الامام المحقق السهيلى وأبطل سخافات الزاعمين أن الملائكة والجن والشياطين « قوى » لا أجسام بما نقله من النصوص القرآنية العديدة التى أعتقد انك لا تراها مجموعة هذا الجمع البديع فى غير هذا التعقيب فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير الجزاء .

(وفى التاسعة) ألزمه إلزاما لا يمكن التفصى عنه بحال ، بأن إنكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تكذيب للقرآن الذى أثبت ذلك فى آيات كثيرة يتعذر تأويلها وأن نتيجة هذا الانكار بطلان الوحى - ولامه على دمسه قصة عداس مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الطائف وإنذار الشيطان لقريش بصراخه عند بيعة العقبة الثانية وتمثل الشيطان لقريش فى دار الندوة وما وقع من هتاف الجن عند هجرته عليه الصلاة والسلام ودرة شاة أم معبد وقصة سراقة بن مالك المدلجى .

(وفى العاشرة) وضح معنى المعجزة بأتم بيان وبسط القول فى وجوه إعجاز القرآن بسطا يأخذ بخناق المعارض ويغل يدى المناقض - وقد تعرض لذكر طائفة من العصريين أنكروا المعجزات واخترعوا للأنبياء بدل وصفهم بالنبوة العبقريات بغية التخلص من معجزاتهم الملازمة للنبوات ونقل عن العلامة الشيخ مصطفى صبرى التوقادى تبكيتهم فى تقليدهم ملاحدة الغربيين فى انكارها ولخص المعجزات فى ثلاثة أنواع أولها وأعظمها القرآن المعجزة الخالدة وثانيها إخبار القرآن بالمغيبات ماضيها ومستقبلها وثالثها أفعال ظهرت منه عليه الصلاة والسلام على خلاف العادة تجوز الالف عدا وساق أمثلة كثيرة للنوعين الثانى والثالث مما يزيد المؤمن إيمانا ويشرح صدره إيقانا واختتم الكلام على هذه المحاضرة بالاطناب فى قصة الاسراء والمعراج اطنابا باهراً استغرق ما يزيد على عشرين صفحة يتيقن من اطلع عليه انه منحسة

الهية حبا الله بها مولانا المؤلف من فيض جوده الغامر وفضله المتكاثر فانك مهما قلبت من التآليف ونقبت فى التصانيف لا تصادف كهذا التحقيق لحادثة الاسراء والمعراج فى احاطته بجمع أشتات المباحث النفيسة والتدقيقات الرائعة والتنقيح للأدلة والتنبيه على غلط المتساهل فى هذا الشأن بالاقتناع بما تيسر له من أثر ضعيف أو موضوع وارشاده إلى مواضع هفواته فى ديباجة مشرقة وبيان سحرى وأسلوب جذاب إلى أنقال تشد اليها الرحال وتناط بها الآمال .

(وفى الثانية عشرة وتاليتيها) لاحظ عليه تركه لستة من أعلام نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة بدر ، وسبعة فى غزوة أحد ، وستة فى غزوة الخندق ، وواحد فى غزوة الحديبية وواحد فى غزوة مؤتة ، ونبه على أخطائه الكثيرة فيها خصوصا فيما يتعلق بعدد الصحابة رضى الله تعالى عنهم وعدد عدوهم وأقام له الشواهد الجمة على خطله واستدرك عليه تركه لغزوة خيبر ودلائل النبوة الثلاث فيها وتركه لدلائلها السبع فى فتح مكة وحنين وتركه لدلائلها الثمان فى غزوة تبوك .

(وفى السادسة عشرة) تعقبه فى عدة أخطاء ثم بين أن فى المقدار الذى كتبه فى رد أباطيله فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من دلائل النبوة والوحى وأنواعه ومتعلقاتهما كفاية للمسلم المتبصر وأنه يشرع بعد ذلك فى دحض أباطيله فى الخلافة وسيرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لأن سيرتهم جزء من سيرته عليه الصلاة والسلام والطعن فيهم طعن فيه وفى القرآن الذى عدلهم وأنهم دعائم الدين فالطعن فيهم طعن فيه وساق الآيات والأحاديث فى الثناء عليهم والتحذير من سبهم .

(وفى الثامنة عشرة) تكلم على الخلافة ووجوبها والدليل عليه كتابا وسنة وإجماعا وذكر تخبط المحاضر فيها وأفاد أن أقاويل الامامية والاسماعيلية والمعتزلة وما تفرع عنها فى شأن الخلافة مما لا تشهد له أدلة الكتاب والسنة ثم أفاض فى الكلام على الخلافة فى طرقها الثلاثة وما يتصل

بها فى نحو ثلاث وثمانين صفحة بما لم ينسج ناسج على منواله ولم تسمح الايام بمثاله (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

(وفى التاسعة عشرة) أخذ عليه تساهلا فى الاقتناع بروايه ضعيفة فى تأخر بيعة علي لأبى بكر رضى الله تعـالى عنهما وتخليطا في محاربة الصديق للمرتدين .

هذا ولو أردت التنبيه على كل مافى هـذا السفر الفائق من اللطائف والتحقيقات ولو بالاشارة العابرة لاستدعى ذلك تطويلا يتجاوز حد الاسهاب غير أنه لا يفوتنى (والدين النصيحة) أن أبالغ فى نصيحتى لاخوانى المسلمين وأحبابى المؤمنين المشفقين على دينهم أن يطلعوا على هـذه المباحث التى تحفظ عليهم عقيـدتهم السنية الصحيحة فى أصحاب نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم وان يحرصوا كل الحرص على هذا المؤلف النفيس والعقد الثمين فقد تصدى للذب عن أعراضهم رضى الله عنهم فى نواحى شتى وتكفل بالتوجيهات السديدة لكل مانقل عنهم مما يغالط بالطعن به فيهم أولو البصائر المنطمسة والقلوب المرضى الذين زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنا ـ وقبل أن يقف اليراع الذى تشرف بتقريظ هذا الدر النفيس أحب أن ألفت نظر المطلع عليه إلى ماجاء فى المحاضرة الثلاثين من تكذيب خديعة التحكيم المفتراة التى انخدع بها جماعة ممن مضى ومن أهل هذا العصر الحاضر حتى تجرأ بعض من يشار إليه بأنه من كبار زعماء الأدب فى عصرنا على أن يترجم لها بقوله (كلب وحمار فيما حكما به على نفسيهما غاضبين وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه وانتهت المأساة بهذه المهزلة أو انتهت هذه المهزلة بهذه المأساة)مما دل على خذلانه وحرمانه من التوفيق لأن مما أجمع عليه علماء هذه الأمة المحمدية المعصومة من الاتفاق على ضلالة من عصر نبيها إلى عصرنا هذا والى أن يرث الله الأرض ومن عليها وجوب احترام أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتوقيرهم وعدم التعرض لهم بالسب والأذى والاعتذار لهم

والتماس أحسن المخارج فيما وقع بينهم وأنهم مأجورون جميعا استنادا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولو حاولت نقل كلام أعلام الأمة فى ذلك لكنت كمن يحاول عد النجوم ولكن اكتفى بايراد مايكون تنبيها على مالم يذكر) . قال الامام ابن أبى زيد القيروانى رحمه الله تعالى فى رسالته المشهورة عاطفا على مايجب الايمان به مانصه : وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآمنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وافضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين وألا يذكر أحد من صحابة الرسول الا بأحسن ذكر والامساك عما شجر بينهم وانهم أحق الناس ان يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب اه . (وكل من كتب فى العقائد من علماء السنة يقررون هذه العقيدة نفسها على تنوع مذاهبهم فى الفروع جزاهم الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء).

وفى ختام هذه السطور يسعدنى أن الحقها كلمة شعرية من مجزوء الرجز تناسبها راجيا أن يفسح الله تعالى فى مدة شيخنا المؤلف فى صحة وسلامة فى دينه ودنياه وان ينفعنا والمسلمين بعلومه وان يمتعه بالصالحات آمين :

مولاى فخر العصر ... فى بدرها والحضر
وياجمال السير ... وتاج أهل الاثر
من فى الفنون الاخر ... يفيض فيض المطر
بوبله المنهمر ... كالسيل فى المنحدر
تحذيركم للعبقرى ... من هفوات الخضرى
أجلت فيه نظرى ... وسابحات الفكر
مجتليا للغرر ... مكتنها للصور
أغوص بحر جوهر ... عذبا كريم المخبر
ومن عجيب القدر ... فى العذب ألفى دررى
لله در العبقرى ... قدوتنا الحبر السرى
وشيخنا الشهم البرى ... فى نقده المحرر

بكل نص نـــير يسطو ولا كالسمهرى
زيف قول المجترى فى صحب أزكى البشر
بصادع الحق الجرى وكل نقل أنور
يزرى بعقد الجوهر فى حسنه والمنظر
فقل لمن قد يمترى دونك حقق وانظر
وكن سديد النظر فى كل بحث واسبر
بالحق حقا تظفر وبالهـــدى تستظهر
ياسيدى ومفخرى وبهجة المحتضر
عفوا عن المقصر لولا (الولا) لم يجتر
بلغت أقصى الوطر على مديد العمـر
ومن رحيق الكوثر سقاك زين المحشر
أبهى سـلام عطر يهدى له فى البـكر
وفى العشايا الزهر والآل زاكى الفطر
والصحب أهل البصر مالاح نور القمر

الفقير إلى الله تعالى

محمد نور بن سيف بن هلال

تقريظ فضيلة السيد علوى المالكى

المدرس بالمسجد الحرام وبمدرسة الفلاح بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع لمن وقف ببابه قدرا، وأعلى لمن انتسب لجنابه ذكرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جرى الماء النمير من بين بنانه، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار والتابعين لهم باحسان الذين نقلوا الشرع لنا وبلغوه ونفوا عنه تحريف المحرفين وكيد الغالين.

(أما بعد) فان علم التاريخ علم جليل الأثر عظيم العبر يحمل بين دفتيه أخبار الماضين، بما فيه تبصرة للحاضرين -غير أنه يتوقف على تحقيق ونقل، وحسن دراية وعقل، وكثير من المؤرخين لا يكتبون على ضوء الحقائق ولا يتقيدون فى كتاباتهم بالتثبت والاحتياط، فلذا وقعوا فى التفريط والافراط يهتكون الأعراض، بمقتضى الأغراض، لا يرقبون فى الله إلا ولا ذمة، ولا يتأدبون مع الصحابة والعلماء من سادة الأمة، فهم على شفا جرف هار، يستجيبون لناحية التعصب والأهواء فى بحث الوقائع وتحليل المواقف وتراجم الشخصيات مما يكذبه العيان، لذا كان التاريخ الاسلامى يحتاج إلى تشذيب وتهذيب وتحقيق وتدقيق على ضوء الكتاب والسنة مما يليق بمقام الاسلام وكرامة الصحابة المجاهدين الغزاة الفاتحين، ولم يعدم الحق ولله الحمد ظهيرا، ولا من الأتقياء نصيرا، فلا تزال طائفة تجادل عن الحق لا يضرها من خالفها تنفى عن الدين الاسلامى تمويهات المبطلين، ودعاوى المنتحلين، وافتراء الغالين، وأكاذيب المتعصبين، مصداقا لما وعد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، إن التاريخ لسان حق وشاهد صدق يسجل حوادث الأمم ويحفظ حسنات المحسنين تقديرا لهم، وينشر سيئات المسيئين تحذيرا منهم، فالعاقل من اتعظ بغيره والجاهل من لم يعتبر بذلك إنما يذكر أولو

الألباب،والانصاف فى المؤرخين قليل ، ألا ترى أن كثيرا من الوقائع الحاضرة نجد بعض الكتاب والمؤرخين إذا كتب عنها كتابة تحليل وتبيين يشط به القلم حتى يحيد عن الحق والواقع خدمة لغرض خسيس أو لمادة زائلة أو لنزعة متطرفة،وقل منهم من يكتب للحق وبالحق ، ولا ريب أن تمحيص الروايات والجمع بين المتناقضات والتطبيق على قواعد الشرع ومراعاة أسرار التشريع الاسلامى كل ذلك يحتاج إلى سعة فى الاطلاع وغزارة فى المادة وإنصاف فى البحث ودقة فى النظر وتأمل فى القرائن ومراعاة للكرامات بلا خضوع لسلطة أو طمع فى مادة أو تلبيس على حق أو تغيير لواقع ، ولذا قال المحققون إن كتب التاريخ تجمع الغث والسمين، فعلى الناظر فيها أن يتثبت فى نقله وأن يأخذ العلم من أهله لئلا يخبط خبط عشواء ويركب متن عمياء لاشك أن السم فى الدسم والمؤلف إذا ألف فى غير فنه أو تكلم فى غير اختصاصه أتى بالعجائب ، ولهذا نجد الأديب يكتب فى التاريخ على أسلوب فلسفته فيخرج عن منهج التاريخ الواضح إلى مسلك تفكير فاضح غير مراع للأدب

ولا مبال بالاصول ، وهذا من آثار الفوضى العلمية التى منى بها العلم فى هذا العصر الحديث وهو من أجلى الادلة على قرب الساعة اذا وسد الامر إلى غير أهله فانتظر الساعة ، فالمفزع إلى الله والمشتكى اليه وهو حسبنا ونعم الوكيل ، مع أن الصناعات الدنيوية لا يكاد العامل يخرج عن أصول الصناعة لوجود الرقابة من زعماء تلك الصنعة أليس العلم الدينى الروحى أحق بهذه الرقابة وأجدر .

هذا هو السبب الحقيقى الذى حدا بالفضلاء المحققين الى انتقاد كثير من الكتب التاريخية التى طغى فيها تيار الالحاد على عرض الحقائق فقاموا بنقض شبهاتها عروة عروة على ضوء الواقع ، على وجه الاعتماد وصحة الاسناد وتأمل القرائن واثبات الوضع من الزنادقة والملحدين والمتعصبين لبعض القصص والروايات ، ولقد وفق الله شيخنا المحقق العالم المدقق

المحدث الجليل والمؤرخ النبيل الفاضل الشيخ محمد العربى التبانى حفظه الله تعالى ونفع الله بعلومه الخاص والعام فشحذ سـيف العزم وتدرع بالكفاح والحزم وقام لله تعالى ولرسوله ولاصحابه وخلفائه وورثته متتصرا ومن أباطيل بعض المؤلفات وكتاب المتأخرين محذرا ، فجمع وأفاد . وانتقد وأجاد ، وأبان سبيل الرشاد ، وحذر من بعض الروايات والكتب المزيفة فحقق تحقيقا صحيحا فنيا ، ونقد نقدا واضحا علميا ، مطابقا لأصول الرواية وفنون الدراية . مع التزام الانصاف والادب فى الرد والنقد وهذا مما يندر جدا فى هذا العصر من الباحثين ومما يعد من حسنات المؤلف المحقق أنه جمع فى انتقاده وتحقيقه بين الرد الدينى بالنصوص وبين النقض العقلى السليم لشبهات مزيفة على ضوء الواقع بأسلوب عصرى جذاب منير مع الاستشهاد بالماجريات الكونية والحوادث السياسية مما يشهد حقا لسعة علم المؤلف المحقق وطول تجاربه وحسن خبرته وصفاء عقيدته وكمال أدبه فلقد أبلى فى دراسة التاريخ الاسلامى بلاء حسنا وقرأ أكثر كتبه المشهورة والنادرة حتى صارت له ملكة فائقة يشهد بها كل من حضر دروسه وقرأ كتبه فجزاه الله تعالى عن العلم والتاريخ والأدب أفضل الجزاء ، لقد نشر راية البيان والتحقيق والكفاح حتى رفع التاريخ الاسلامى رأسه عاليا بتلك التحقيقات المفيدة والانتقادات السديدة فظهر بهذا من يكتب فى التاريخ عن ملكة وتحقيق وانصاف ممن يكتب عن جهل وتهور وفلسفة ممن يعد فى زمرة الأدباء كما قيل لا فى عداد المؤرخين المنصفين هذا وقد نبه علماء السنة والجماعة على فضل الصحابة الكرام وعظيم مكانتهم وجهادهم وهجرتهم وابتلائهم وحذروا من سبهم أو الطعن فيهم أو تحقير مكانتهم وانتهاك حرمتهم فمقام الصحبة مقام عظيم لا يسبق ، وشأوه لا يلحق ، فقد وعدهم الله الحسنى ، وأحلهم المقام الأسنى ، وسجل ثناءهم فى القرآن كتاب الخلود فلا يزال فضلهم ينفح طيبا وغالب ماروى عنهم فى حروبهم ومنازعاتهم لا يخلو عن تعصب ووضع وجراءة فالانصاف السكوت عما جرى بينهم أو حمله على أحسن المحامل فالمصيب مأجور والمخطىء معذور وهم فى الحقيقة غير

ملومين لأنهم كانوا مجتهدين فمن اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ولذا قيل :

وأول التشاجر الذى ورد   ان خضت فيه واجتنب داء الحسد

وقال صاحب الزبد :

وما جرى بين الصحاب نسكت   عنه وأجر الاجتهاد نثبت

وقال ابن الوردى :

لاتخض فى سب سادات مضوا   انهم ليسوا بأهل للزلل

ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم . اللهم لاتجعل لأحد منهم فى عنقنا ظلامة ونجنا جميعا من أهوال يوم القيامة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أسفر تجلى فى سما العلم والهدى   أم النور فى التاريخ، بالحق قد بدا
أم الروض بساما قد افتر ثغره   أم الطير فى أفق المسرات قد شدا
أجل . انه الكنز الثمين محققا   لتاريخنا فانعم بذاك وأنشدا
هنيئا لكم ياقادة العلم أبشروا   فهذا كتاب فاق فضلا ومحتدا
مؤلفه الشهم المحقق شيخنا   (هو العربى) النور ذو الفضل مرشدا
هو البدر فى أفق الفلاح، بزوغه   لقد بث فى أرجائه العلم والهدى
وقام بنصر الدين فى كل موطن   وذب عن الصحب الكرام وأيدا
اليه ربوع العلم حنت وعندما   تجلى بها طير البشائر غردا
وتاهت به الطلاب فخرا وقدرووا   حديث المعالى عنه والفضل مسندا
فلله منه نفحة عبقرية   بها أظهر الحق الصريح وشيدا
جزاه إله العرش خيرا وزاده   من الفضل والاقبال عزا وسؤددا

خادم العلم الشريف بمدرسة الفلاح
والمسجد الحرام السيد علوى بن السيد عباس المالكى
لطف الله به

تقريظ فضيلة الشيخ ابراهيم فطانى المدرس بالمسجد الحرام
(وقاضى المحكمة المستعجلة)

بسم الله الرحمن الرحيم :

سرحت طرفى فى رياض العبقرى — وقرأته بتمعن وتدبر :
فرأيته سفرا جليلا رائعا — يجلو الحقائق فى هدى وتبصر :
ويرد أوهام المضلل شاهرا — سيف الدليل بوجه أعظم مفترى
ورأيت عرضا للحوادث شيقا — يسبى النهى ويروق كل مفكر :
ولمست اخلاص المؤلف صادقا — ولمحت توفيقا خلال الاسطر :

* * *

ولقد شفى نفسى بحسن دفاعه — عن كل أصحاب النبى وحيدر
ودفاعه عن معجزات المصطفى — بأدلة تقذى عيون المنكر
وبدحضه حجج الذين تأولوا — آى الكتاب بكل فهم أزور
فتأولوا طير العذاب بحصبة — أو بالوباء ، بقحة وتهور
أو ليس من خلق الانام بقادر — أن يفنى بالاطيار أكبر عسكر
ما كان أجهلهم بقدرة ربهم — حتى غدوا فى ريبة وتحير
ضلت بهم أهواؤهم فاستهتروا — تبا لكل مدلس مستهتر

* * *

ياصاحب التحذير حسبك منة — أن قد نصرت الحق غير مقصر
ورددت كيد الملحدين بنحرهم — بأدلة هى كالصباح المسفر
لله درك من أديب عالم — ومؤرخ ومحدث متبحر ..
شهدت بفضلك هيئة التدريس — بالحرم الشريف وبالفلاح الاشهر
قضيت عمرك مرشدا ومعلما — فى حكمة ونزاهة وتحرر
فجزاك ربك عن جهادك مخلصا — خير الجزاء فقر عينا وابشر

ابراهيم فطانى
المدرس بالمسجد الحرام

تقريظ فضيلة السيد يوسف عبد الرزاق

من علماء الأزهر الشريف والمدرس بكلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

من محاسن مكة المكرمة زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما - ومكة محاسنها جمة وفضائلها كثيرة - أن زين الله حرمها المبارك بالعلماء الذين هم مصداق الخبر المأثور : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

وان من ألمع علمائها الأعلام الذين طلعوا فى سمائها بدورا وفاضوا فى أرجائها بحورا ورفعوا راية العلم عالية خفاقة «شيخنا العلامة الفقيه الأصولى المحدث المفسر اللغوى المؤرخ الثقة ، أبا عبد الله السيد محمد العربى بن السيد التبانى » أطال الله بقاءه فى خير وعافية ، فانه حفظه الله غرة فى جبين هذا العصر ودرة يتيمة فى تاج الفخر .

فلقد أقبل بهمته العالية وعزيمته الصادقة على نشر العلوم - المعقول منها والمنقول - فى أول بيت وضع للناس حتى تخرج عليه نخبة كريمة ممتازة من أفاضل العلماء تتزين بهم المجالس وتتبختر بفضائلهم المعاهد والمدارس .

ولقد من الله على ولله الفضل والمنة أن يسر لى حضور بعض دروسه فى الحرم المكى المبارك فألفيته بحرا زخارا تتفجر ينابيع العلوم من شفتيه الطاهرتين ، فأذكرنى ذلك بقول الشاعر :

كانت محادثة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

لازالت مجالس العلوم بهمته معمورة ، وأحاديث فضائله فى الخافقين مأثورة . .

ولم يقنعه حفظه الله أن قد تخرج عليه الكثير من العلماء الذين تزدهر بهم الأقطار وتتزين بهم الامصار - بل سمت به همته إلى التأليف والتصنيف

فأخرج للناس كتبا نافعة ضمنها علوما عالية يحق بها حقا أو يبطل بها باطلا ولسان حاله يقول :

دافعت عن حق يحاول ذو هوى   اظهاره للناس شيئا منكرا

وإن من أجل ما دبجته يراعة الأستاذ الجليل وأعظمه فائدة كتاب «تحذير العبقرى من محاضرات الخضرى» .

وهو هذا الكتاب الذى صحت عزيمته أعزه الله على إخراجه للناس فى ثوب قشيب وقد اختار له أجود أنواع الورق وعهد باخراجه إلى مطبعة الأنوار المشهورة والهمة متوفرة على إخراجه على خير الوجوه وأحسنها . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وانى ليسرنى أن أقدم لحضرات القراء الكرام فى مشارق الأرض ومغاربها هذا السفر النفيس راجيا أن يجدوا فيه لذة عقلية ومتعة روحية وآدابا ترتاح لها قلوب المؤمنين وتنشرح بها صدورهم .

موضوع الكتاب

تمهيد :

مما يدخل فى باب العقائد المقررة فى الاسلام : ـ

أن خير القرون وأفضلها القرن الذى رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ـ لقوله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين : خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وتقييد الخيرية بالايمان متعين لأن كثيرا من الكفار كانوا فى القرن الأول ولم تنفعهم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم لعدم إيمانهم به صلى الله عليه وسلم .

فالقرن الأول الصحابة حتى ينقرضوا ، والثانى التابعون حتى ينقرضوا ، والثالث تابع التابعين حتى ينقرضوا .

ويترتب على هذه القاعدة أن أفضل هذه الأمة أصحاب نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم والصحابة كلهم عدول موثقون .

فقد اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ولم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة .

وعدالتهم ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم لصحبة نبيه ونصرة دينه وإعلاء كلمته وتلك مزية لا يلحقهم فيها لاحق ، قال الله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » وقال تعالى : لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم »وقال تعالى:للفقراءالمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من اللهورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون :

وقال تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه .

والآيات فى ذلك كثيرة يطول تعدادها .

ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابةمثل ذلك وأطنب فى تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم فمن ذلك قوله صلى الله عليهوسلم:لاتسبوا أصحابى ، فو الذى نفس بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه .

قال الامام الحافظ المحدث ابو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب صاحب تاريخ بغداد المشهور والأخبار فى هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد فى نص القرآن . وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل اللهلهم المطلع على بواطنهم الى تعديل أحد من الخلق . على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من

جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء . اه وقد روى سنده إلى أبى زرعة الرازى قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحـــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق .

وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وماجاء به حق ، وانما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، وهؤلاء الطاعنون يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة اه .
ازاء ذلك كله فقد جرى عمل الأمة سلفا وخلفا على تعظيم شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاد سابقتهم وافضليتهم وخيريتهم اجمالا وتفصيلا على جميع من جاء بعدهم اجمالا وتفصيلا .

فلا يقولون فى المهاجرين والانصار ولا فى أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان ولا فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأولاده وأحفاده إلا أحسن المقال ولا يستجيزون الطعن فى واحد منهم لاتصريحا ولاتلميحا ولا اشارة ولا كناية بل يعتقدون كمال عدالتهم وقبول شهادتهم وروايتهم باتفاق أهل الحق واجماع من يعتد باجماعه رضى الله عنهم اجمعين .

محاضرات الخضرى

انه لمن المؤسف المؤلم حقا أن يقوم باحث مسلم مثل الخضرى صاحب المحاضرات المعروفة فى تاريخ الاسلام فيطلق لقلمه العنان ليسطر مايشاء له هواه من غير تمحيص ولاروية ولا رجوع الى مصادر التاريخ الاسلامى المعتبرة ويقدح فى سادات الأمة وأجلاء الملة ويصفهم بما لا يتفق مع مالهم من عظيم السابقة فى الاسلام مما يوجب جرحهم ويجافى نزاهتهم وعدالتهم المشهود لهم بها من الله ورسوله والمتفق عليها سلفا وخلفا .

فان كان لا يدرى فتلك مصيبة وان كان يدرى فالمصيبة أعظم .

مما يزيد الأمر خطورة أن تلك المحاضرات منشورة بين أحداث

المسلمين وطلاب المدارس والجامعات منهم فتنغـــرس فى نفوسهم تلك الآراء الفاسدة والنزغات الخبيثة وهم أحوج مايكونون إلى صيانة عقيدتهم الصافية وحراستها مما يكدر صفوها وماكان ليدور بخلدنا أن مسلما يؤمن بالله واليوم الآخر يعمد الى محاولة النيل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والحط من كرامتهم ووصفهم بما يقدح فى مراتبهم السنية ويلصق بساحتهم النقائص التى لا يليق صدورها من آحاد الناس بله من إصطفاهم الله لنشر دينه وصحبة نبيه وخصهم بالفضل والسابقة وأثنى عليهم فى كتابه الكريم وفى الكتب المنزلة على الانبياء والمرسلين قال الله تعالى : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار الآية .

واجب العلماء

ولقد كان لزاما على علماء الاسلام أعزهم الله ان يقوموا بواجب النصيحة لله ورسوله ولأصحابه الكرام ولعامة المسلمين وخاصتهم فيبينوا للناس مايجب عليهم بيانه من نزاهة الأصحاب الكرام وعلو اقدارهم الشريفة عن أن يعلق بها ذام أو نقصان .

ولقد اختار الله لهذا العمل المبرور والسعى المشكور سيدى أباعبد الله العلامة الشيخ محمد العربى بن السيد التبانى أعلى الله مقامه ورفع على الفرقدين أعلامه فقام بواجب النصيحة لله ورسوله وللمؤمنين عامتهم وخاصتهم فرد على صاحب المحاضرات أبلغ رد وأتمه وأحكمه باسلوب عال وقلم سيال وأدب يخجل زهر الرياض واخرج لنا هذا السفر المبارك النفيس الذى هو خليق بان يسمى «كتاب العام» إذ لم يأت أحد بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله فجزاه الله عن الاسلام وأهله خير مايجازى المجاهدون المخلصون والعلماء العاملون والله لا يضيع اجر المحسنين .

يوسف عبد الرزاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل التاريخ عبرة للمستبصرين ، وعظة وذكرى لمن تأخر بأحوال الغابرين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا قواعد دولة الاسلام بالمرهفات البواتر ، وأوضحوا بالحجج الساطعة منار الاهتداء لكل حائر .

المقدّمة

أما بعد فلقد كان المطلوب لزاما من كل مسلم لبيب أن لا يثق بكل ما يقوله المؤرخون - فى رجال الامة الاسلامية عموما فاحرى فى ساداتها الذين رفعوا قواعد هذا المجد الخالد (الصحابة رضوان الله تعالى عليهم) - لأن التاريخ نقل محض يشترط فيه مايشترط فى الاثر من عدالة الرواة الناقلين لأى حادثة من حوادثه تتعلق بأى شخص كان من الناس وضبطهم لما نقلوه وغير ذلك من شروط الخبر المعتبرة فى الناقلين فردا فردا فمجال الرأى فى أى حادثة منه لا يكون إلا بعد استيفائها شروط الصحة للخبر . وان نقص شرط من الشروط المعتبرة فيه فالرأى حينئذ معزول والفهم مهما وثق به صاحبه وغيره مطروح ، هذا هو التحقيق والاساس الذى يجب على كل من نصب نفسه للطعن فى عامة الامة أن يبنى انتقاده عليه فكيف به إذا كان فى خاصة خاصتها ، وقد كان المسلمون ولن يزالوا سالكين منهج الحق والتحقيق والاعتدال فى تاريخ رجالهم رغم محاولة بعض مؤلفى هذا العصر من المسلمين تشويه حقائق التاريخ الاسلامى ونطح صرح المجد التالد بالجهل والتقليد ، وإذا كان كثير من مؤرخى الاقدمين يجمعون فى مؤلفاتهم الغث والسمين ويقدمونه للناس بدون تمييز وكثير منهم من أهل الاهواء وكثير

منهم لامعرفة لهم بعلم الاسناد وفضائل الصحابة ولأجل ذلك قال شيخ الاسلام ابن دقيق العيد (أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها المؤرخون والامراء) فكيف بالمتأخرين الذين ليس عندهم إلا التقليد لكل من هب ودب ولقد هزل علم التاريخ فى هذا العصر حتى تسور على التأليف فيه من لم يشم له رائحة ولا عجب فى ذلك لأنه إذا كان عبارة عن رصف مقال بأسلوب عصرى وجمع شيء من ههنا وههنا فهو ميسور لكل من حصل طرفا من مبادىء اللغة العربية ليصبح به مندرجا فى مصاف المؤلفين ويصدق عليه قول العلامة أبي الحجاج البلوى الاندلسى أحد أعيان المائة السادسة للهجرة (خذ من ههنا وضع ههنا وقل مؤلفه أنا) . وحتى تسور عليه المناوؤن للاسلام وأقبلت الناشئة الاسلامية برغبة صادقة على مطالعة تآليفهم ومجلاتهم المملوءة بالمفتريات والطعن فى الاسلام ورجاله بأساليب متنوعة . وهذا مؤسس مجلة الهلال ومؤلف كتاب التمدن الاسلامي وغيره (جرجى زيدان) قد عرض كتابه (التمدن الاسلامى) على نظارة المعارف المصرية إذ ذاك وطلب منها أن تقرر تدريسه فى مدارسها فعهدت النظارة إلى بعض أساتذتها بمطالعته وإبداء رأيهم فيه فلما طالعوه بينوا للنظارة أن فيه غلطا كثيرا وانه غير جدير بأن يعتمد عليه فى التدريس ولا المطالعة ونشرت جريدة المؤيد نقد بعضهم له وكنا نظن انتهاء جريان قلمه بالمفتريات فى الاسلام ورجاله بموته منذ سنين كثيرة ومابقى ذاك الشنار إلا فى بطون تآليفه ، فاذا بنا نسمع ونرى مجلة الهلال التى لا يزال تلامذته ينفذون خطته فيها بنشر سلسلة رواياته الخيالية فى سادات هذه الامة وافتعاله أسماء نساء وحكايات عنهم لا توجد إلا فى مخيلة مسلسل الاباطيل بعناوين مزخرفة ، عذراء قريش ، غادة كربلاء فى أسلوب ضل به الناشئة والعامة معا أشد من ضلالهم بالكتب الباطلة الخرافية الموضوعة من قبل لافساد عقائد المسلمين وإضلالهم كفتوح الشام المنسوب للواقدى وذات الهمة والعنترية ورأس الغول والف ليلة وليلة وغيرها ـ فالى الله المشتكى من هذا البلاء : فلو كان رمح

واحد لاتقيته ، ليعلم المسلم أن اقباله على مطالعة هذه المجلة وما شاكلها مماهو مملوء بالخرافات والخبائث ملحق له بجانب المناوئين للاسلام من حيث يشعر أو لا يشعر،ليعلم أن هذه المجلة وأشباهها أشد ضررا على عقيدته من العنترية وأشباهها انه فى ثروة من تاريخه الصحيح الجيد إنا والله نحب ونتمنى له أن يكون عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ونشفق عليه من أن يكون متصفا بالخامسة .

وقد رد على كتاب التمدن الاسلامى فأجاد العلامة المؤرخ المرحوم (شبلى النعمانى) رئيس ندوة العلماء بلكنو (الهند) . ومن جملة ماقال شبلى النعمانى فى مقدمة رده عليه (ان جرجى زيدان خائن فى النقل محرف لكلام العلماء يجعل الحادثة الجزئية كلية عامة يتعمد الكذب بما يفوق الحد). وقال ايضا اعلم ان للمؤلف يعنى جرجى زيدان فى انفاق باطله اطوارا شتى :

فمنها تعمد الكذب كما سترى . ومنها تعميمه لواقعة جزئية ومنها الخيانة فى النقل وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة مثل كتب المحاضرات والفكاهات . وقد نشر كثير من رده عليه فى المجلد الخامس عشر من مجلة المنار فليراجعه من احب الاطلاع على ذلك.

فيا ايها الشاب المسلم النبيل اذا كنت محتاطاً لدينك حافظاً لكرامة رجال سلفك فلا تثق ولا تلتفت لكل مايمس كرامة اى صحابى من اصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم فى أى تاريخ من تواريخ المسلمين كائنا صاحبه من كان ، فكيف به اذا كان فى المجلات وكتب الاجانب فان كل مصيبة نقد فى رجال الاسلام الذين هم دون الصحابة فى كل شىء جلل أفترضى باقبح والعن واكذب وافحش الطعن فى اشرف واكرم واجمع البشر لمكارم الاخلاق آبائك الذين شيدوا لك صرح هذا المجد الخالد (الصحابة) رضوان الله تعالى عليهم الذين شهد لهم رجال الروم اذ ذاك بانهم رهبان بالليل فرسان بالنهار والفضل ما شهدت به الاعداء ، وقال

فيهم ملك الصين لما استنجد به يزد جرد ملك الفرس بعد ان وصفهم له : انه يمكننى ان ابعث لك جيشا أوله فى منابت الزيتون (الشام) وآخره فى الصين ولكن ان كان هؤلاء القوم كما تقول فانه لايقوم لهم اهل الارض فأرى لك ان تصالحهم وتعيش فى ظل عدلهم .

ويا ايها المسلمون نزهوا اسماعكم وابصاركم وعقولكم عن هذه المفتريات التى يحاول بها تلويث مجد دعائم دينكم .

ولا نتأسف ولا نعجب من تشويه الاجانب حقائق التاريخ الاسلامى الناصعة إذا كان من ينتسب اليه قد سن لهم هذه السنة السيئة وفتح لهم باب شر مستطير . وهذه طائفة من أهل العصر انتقدوا الصحابة رضوان الله عليهم انتقاداً مرا زاعمين أن هذا هو التاريخ الحر وعمدتهم فى انتقادهم أهواؤهم وتقليدهم لكل مايقوله المؤرخون بل تقليد بعضهم بعضا . وتمسكهم بالروايات الباطلة . فاما أهواؤهم فهى نتيجة آرائهم الدائرة بين السقيم والأشد سقما والباطل والأشد بطلانا . وأما تقليدهم لكل مايقوله المؤرخون فهو نتيجة إفلاسهم من الروايات مطلقا صحيحة وسقيمة وجهلهم لها ولرجالها العدول وغيرهم جهلا مطبقا . وأما تمسكهم بالروايات الباطلة فهو مبنى على هذا وعلى تقليد أمثالهم ومع كون كتب هذه الطائفة مشحونة بنقد الصحابة رضوان الله عليهم بالآراء السخيفة وتقليد الأجانب وأهل الأهواء والوضاعين انكب الناس على شرائها بالثمن الغالى واقتنائها ومطالعتها لأسلوبها الذى تتسع له أفكارهم فانا لله وإنا اليه راجعون وهى أشد ضررا على الناشئة من طائفتى الخوارج والروافض لأن عقيدة الطائفتين فى الصحابة مكشوفة لجمهور المسلمين السنيين حتى غالب العوام منهم بخلاف حال هذه الطائفة فانهم موهوه بستار التاريخ الحر المزعوم فراج عند الناشئة من شبان المسلمين رواجا عظيما لأنه صادف قلوبا خالية من تاريخ سلفهم المجيد جاهلة بمناقب الصحابة زاهدة فى البحث والتنقيب عن تراثهم القديم الصحيح مائلة إلى كل جديد وان كان أباطيل .

واقد صار هذا الانتقاد عند هذه الطائفة من الاصـــلاح الضرورى فكتابتهم فى تاريخ المسلمين لاتقوم دعائمها إلا به وانتقاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ليس برأى حتى يسوغ للاغمار الخوض فيه إنما هو الطعن المحض فى دعائم الشريعة وفى الشريعة نفسها كتابا وسنة ، طعن فى نصوص القرآن الصريحة القطعية التى عدلتهم ومدحتهم ، طعن فى أحاديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحيحة الكثيرة التى أثنت عليهم على أنه لا فائدة يجنيها المسلمون من هذا النقد سوى إفساد عقائدهم الدينية فى رجالهم وشماتة الأجانب .

والعجب من هؤلاء المصلحين أنهم إذا كتبوا عن حياة أساتذتهم وعمن لا يعبأ الله به يتغالون فى اطرائهم حتى يجاوزوا المعقول يثبتون لهم أخلاق الانبياء وحكمة الحكماء وجهاد الأبطال العظماء ولن يأتى آخر هذه الأمة باهدى واحسن مما أتى به أولها وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح لخالد بن الوليد وهو هو لما سب عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما :

« دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

والعجب ايضاً من مسلم يترك مناقب الصحابة الصريحة المقطوع بها فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل فى جميع الكتب السماوية ويتركها ايضا فى السنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام ويذهب يتعثر فى طلبها فى كتب التواريخ التى لاتخلو من الواهيات والاباطيل بل يطلبها فى المجلات المضلة وكتب الفكاهات . فلو فرضنا شخصا من اهل العصر خاض فى البحث عن شمائل الصحابة وعما وقع بينهم من الحروب فى جميع تواريخ أئمة الاسلام الأقدمين الأثبات العدول كتاريخ الامام خليفة بن خياط وتاريخ الامام البخارى وطبقات ابن سعد وغيرها فانه على خطر من عقيدته فيهم مالم يعتصم بشمائلهم القرآنية والثابتة بالسنة

النبوية فكيف به اذا لم يعرف تاريخهم الامن تاريخى ابن جرير وابن الاثير فكيف به اذا لم يعرف تاريخهم الامن كتاب الامامة والسياسة وما اشبهه من كل كتاب مملوء بالاباطيل فى حقهم رضى الله تعالى عنهم. ولوجود كثير من الاقوال الباطلة فى تواريخ المسلمين ولاسيما اهل الاهواء فى تاريخهم المجيد حظر العلماء العارفون الربانيون الخوض فيما جرى بينهم على المسلمين رجوعا بهم الى العقيدة القرآنية والعقيدة النبوية الثابتة فيهم وتركا للفضول فيما يعود عليهم بالضرر دون جدوى « تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسئلون عما كانوا يعملون» ولأجل ذلك قال الامام الحافظ أبو زرعة الرازى وهو من اقران الامام البخارى إذا رأيت الرجل ينتقص احداً من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك ان الرسول حق والقرآن حق وماجاء به حق وإنما أدى الينا ذلك كله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة . وقال ايضا للذى قال له إنى أبغض معاوية فقال له الحافظ ولم قال لانه حارب عليا بغير حق فقال له ابو زرعة رب معاوية رب رحيم وخصمه خصم كريم فما دخولك بينهما أى انت فضولى أدخلت نفسك فيما لايعنيك ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه .

ومن اللازم على اساتذة التاريخ الاسلامى فى جميع المدارس الاسلامية تزويد ابنائها بتاريخ من شيدلهم هذا الصرح الثابت البنيان وان لم يكن مقرراً فى برامجها وعار عليهم عظيم تدريس تاريخ الأجانب واهمال تاريخهم ، وعار عليهم عظيم ترك عقول ابنائهم فريسة لهؤلا المختلفين بالنحل المتفقين فى الغرض مغيرين عليها بأساليب شتى . ولن يعدم الحق انصاراً .

واشد الطاعنين فى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من هذه الطائفة

واكثرهم خوضاً وعبثا بكرامتهم محمد الخضرى صاحب المحـــاضرات فقد انتقد الخلافة ـ زعم انه لم يكن لها حل فى طريقة من طرقها الثلاث ولم تسر مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار قال بل كان تركها على ماهى عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه سببا لاكثر الحوادث التى اصابت المسلمين وافترى فيها على الانصار وبنى هاشم وعلى حيدرة خصوصا وطعن فى ستة الشورى وغيرهم من الصحابة وافترى على عمر رضى الله عنـه فى تنقيصهم وطعن فى عموم الصحابة الموجودين عنـد مقتل عثمان رضى الله تعالى عنه وزعم أن أعلام قريش كانوا متطلعـين لولاية الأمر واتهمهم بالهوادة فى القيـام بنصر عثمان رضى الله عنه ، وانتقد خصـــوصا عليا رضى الله تعالى عنه وابنيه ولا سيما الحسين وطلحة والزبير وعائشة وأباذر وعبد الله بن الزبير واهل المدينة الذين خلعوا بيعة يزيد بن معـاوية وغير هؤلاء ممن سيأتى تفصيل الكلام فى الذب عنهم . وجل انتقـــاده فى أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه فقـد رماه بضعف الرأى والطيش وعدم التثبت والشح والكبر والتعاظم على جميع الصحـابة حتى الأشياخ الاكابر ، والازدراء بالناس ، ورجح معاوية رضى الله تعالى عنه عليه بكثير بل رجح عليه خلافة ابنه يزيد وعذره فى قتل الحسين وأهـل الحرة ، ولم يعذر حيـدرة فى شىء ما بل ينقب عن كل باطل فيه حط من كرامته رضى الله تعالى عنه ليلصقه به بحيث يجزم كل من له المام بالعلم اذا قرأ محاضراته بامعان انه ناصبى حقق للمسلمين انه احد الاثنين فقد اخرج أبو يعلى والبزار والحاكم عن على رضى الله تعالى عنه قال « دعانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ان فيك مثلا من عيسى عليه السـلام ابغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذى ليس به الاوانه يهلك فى اثنان محب مفرط يقرظنى بما ليس فى ومبغض يحمله شنآنى على ان يبهتنى » .

ومن العجب انى سمعت من بعض طلبة العلم السودانيين الثقات أن الخضرى هذا لما كان قاضيا عندهم كان يدعى النسبة إلى آل بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلويين وما سمعنا قط ولا رأينا فى كتب الطبقات والتاريخ ان علويا صار ناصبيا ، أما أموى صار شيعيا فقد وجد فى واحد وهو أبو الفرج الاصبهانى صاحب كتاب الأغانى ـ كما أنه وجدنا صبى واحد من العباسيين وهو جعفر المتوكل .

ومن مصائب علم الرواية والتاريخ أن يصير الخضرى هذا قدوة ومرجعا لكل متسور على التأليف فى التاريخ :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

فقد الف بعده عبد الوهاب النجار تاريخ الخلفاء فقلده فى جميع خطله ورأينا بأعيننا الآن جماعة من الأساتذة اشتركوا فى تأليف تاريخ مختصر فجعلوا محاضرات الخضرى فى قائمة كتب التاريخ المعتبرة التى يرجعون اليها ، وقد اسند إلى تدريس محاضراته بالمدرسة الفلاحية قبل سنين ـ فلم يمكنى السكوت على اعوجاجها وكثرة خطلها فقومتها بلسانى تقريرا وبقلمى كتابة ـ (والعلم أمانة) فكتبت عليها إذ ذاك رسالة موجزة لم أذكر فيها كلامه واضحا لأعذار تعقبته فيها فى نحو ستين بحثا وسميتها النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات ثم زدت فيها الآن زيادة واسعة وسقت كثيرا من كلامه ليظهر للقراء زيغه عن جادة الاعتدال جليا وتركت مع ذلك كثيرا من قبيح كلامه وهمزه لأولئك السادة المبنى على فهمه الطائش وتقليده للاقوال الباطلة وأهل الاهواء والاجانب وعلاوة على هذا فقد تقول على ابن هشام فى حادثة الفيل التى قصها الله أحسن قصص وبينها أحسن بيان فزاد فى تفسيرها مالم يقله الله انكاراً لخوارق العادة (الحوادث الكونية) لذلك حذف دلائل نبوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعجزاته من سيرته عليه السلام من كتابه مع انها لب التاريخ ولأجل ذلك حاول ترجيح القول بأن الإسراء كان مناما لا يقظة كما حذف منـــه

الاخبار والقصص الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما تقليدا في كل هذا لمحمد عبده ومجاراة للذين لا يؤمنون بالغيب وكتابتي هذه وان كانت خاصة بمحاضراته فبراهينها ساطعة على كل جانف وحججها قائمة على كل من خرج عن جادة الاعتدال في حق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لذلك أبدلت اسمها الآن فسميتها (تحذير العبقري من محاضرات الخضري) والاشادة بمناقب الصحابة والمدافعة عن حمى أعراضهم الشريفة حق واجب على كل مسلم سلمت عقيدته من مرض الزيغ والاهواء وجميعهم رضي الله تعالى عنهم كانوا محققين مطابقين لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » ، أكمل تحقيق وتطبيق وقد سنوا وأسسوا لنا المدافعة عن أعراض المؤمنين ، فقد دافعوا عن اخوانهم بالحجة أهل الاهواء حين وجدوا في عصرهم من الخوارج والشيعة وغيرهم وروى ذلك عنهم في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم فممن رويت عنهم المدافعة علي ابن أبي طالب ـ عن الشيخين وذي النورين ـ وسعدُ بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعائشة وابن عمر وابن عباس ـ وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد ابن أرقم وغيرهم رضي الله تعالى عنهم يعرفها من تضلع من التاريخ الصحيح وكتب السنة . . وممن دافع عنهم من التابعين سعيد بن جبير والحسن البصري وعامر الشعبي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . . ومن أئمة الاجتهاد مالك وسفيان والشافعي ، ثم عمر ابن حبيب قاضي البصرة في مجلس هرون الرشيد دافع عن أبي هريرة خصوصا ، وعن جميع الصحابة عموما رد على أوباش المعتزلة وعلى الرشيد نفسه . . وابن السكيت النحوي دافع عن علي وولديه الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم عند المتوكل العباسي فقتله بسبب ذلك ظلما . ومدافعتهم التي سنوها لنا ومدافعة غيرهم ممن جاء بعدهم من العلماء إنما هي مأخوذة

من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللذين أثنيا عليهم غاية الثناء وذما من تكلم فيهم فنحن إذاً مقتدون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بجماعة المسلمين الاخيار تابعون لهم على حق وصواب يقينا ، والمنتقد لهم والطاعن فيهم هالكان وكلاهما شيء واحد لافرق بينهما إلا باللفظ وعلى فرض أننا غير محقين فى دفاعنا عنهم لا يضرنا ذلك فى الدنيا ولا فى الآخرة جزما . فعقيدتنا هذه شبيهة بعقيدة المؤمن بالمعاد والمنكر له .

قال المنجم والطبيب كلاهما   لا تحشر الأموات قلت اليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر   أو صح قولى فالخسار عليكما

واستمدادى فى هذا الكتاب من كامل الحافظ بن الأثير وبداية ابن كثير واستيعاب الحافظ ابن عبدالبر واسد الغابة وطبقات ابن سعد واصابة الحافظ ابن حجر وفتحه ومن كتب التفسير والحديث واسأله تعالى المعونة والتوفيق للصواب وحفظ حقوق الاصحاب .

المؤلف محمد العربى

المحاضرة الثالثة

قال فى صفحة ٢٨ من الطبعة الرابعة فيها فى قصة حادثة أصحاب الفيل مانصه : (وابرهة هو الذى جند الجنود لهدم الكعبة وكان يريد أن يصرف الناس عنها إلى بيت بناه فى صنعاء فاصابه هو وجنده بمكة ماأصابهم من الامراض الثقيلة ، وقد بينها ابن هشام فى سيرته بأنها الحصبة والجدرى وروى أن هذا كان أول حصو لهما بمكة فعاد منهزما وتوفى بعد عودته وأشار القرآن إلى هذه الحادثة فى سورة الفيل اه) . أقول كلامه هذا فاسد من أربعة أوجه وهى : مخالفة التاريخ ، والخيانة فى نقل العلم ، والغش ، والتكذيب .

فأما مخالفة التاريخ ففى قوله فاصابه هو وجنده بمكة ماأصابهم ، وفى قوله

وقد بينها ابن هشام فى سيرته ، وفى قوله وروى أن هذا كان أول حصولهما بمكة (أى الحصبة والجدرى)فقد أجمع المؤرخون والعرب الذين كانوا فى وقت هذه الحادثة العظيمة على أن محل هلاك جيش أبرهة مكان يقال له المغمس وهو على أميال من مكة فى طريق الطائف لا مكة كما قال ، وهذه سيرة ابن هشام مطبوعة متيسر اطلاع كل قارىء سليم العقل والعقيدة عليها قد بين فيها كيفية قتل الطير لهم وماقالته العرب فى اشعارها فى هذه القصة وما امتن الله به على قريش بعد بعثته عليه السلام من انزال سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش ، وادعاء أول حصول ورؤية الحصبة والجدرى ومرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام ببلاد العرب كلها (لا بمكة فقط كما زعم) هو رأى يعقوب بن عتبة قال ابن هشام فى سيرته قال ابن اسحق حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث ان أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وانه أول مارؤى بهامرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام اه . وبهذا ظهر فساد كلامه ومخالفته للتاريخ فى ثلاثة مواضع على أن رأى يعقوب بن عتبة هذا فى أول رؤية تلك المذكورات ذلك العام ببلاد العرب دعوى لادليل عليها وقد نقل مثله عن عكرمة ولكنه فى الجدرى خاصة .

واما الخيانة فى النقل فكان الواجب عليه ان ينقل عن ابن هشام ما اتفق عليه العرب واهل السير قاطبة فى هذه القصة ثم بعد ذلك يرجح هلاكهم بالحصبة والجدرى المذكورين فى رأى يعقوب بن عتبة مع انه لاحجة له فيه كما هو ظاهر للقراء حتى لو صح فيكون بذلك قد ادى امانة رواية العلم .

واما الغش فان كل من وثق بكلامه هذا ولم يطلع على سيرة ابن هشام ولم يقرأ سورة الفيل يقع فى جهل فادح من جراء غشه وليس الغش من اخلاق المسلمين وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح (من غشنا فليس منا) .

واما التكذيب فان القول بانهم هلكوا بالحصبة والجدرى تكذيب

لصريح القرآن فقد بين تعالى كيفية قتلهم فى سورة الفيل بيانا صريحا لا يقبل التأويل ولا المواربة وقصها أحسن قصص لا غموض فيه بكلام موجز بليغ كسائر أخبار الأمم السابقة التى قص الله عز وجل فى كتابه العزيز علينا كيفية دمارهم كعاد وثمود وغيرهما أحسن قصص فقد بدأها تعالى بخطاب نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى : ألم تر كيف فعل ربك، وهو عام يصلح لكل من يتأتى منه الرؤية والاستفهام فيه للتقرير، أى ألم تعلم قرره على وجود علمه بهذه الحادثة وقيل للتعجب لنقله نقل المتواتر، فان قيل لم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام ألم تر مع أن هذه القصة كانت قبل البعث بزمان طويل فالجواب أن المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر أى قد علمت وهو إشارة إلى أن الخبر بالواقع لأصحاب الفيل متواتر فكأن العلم الحاصل به ضرورى مساو فى القوة للرؤية كما هو شأن المتواتر وأسند تعالى إهلاكهم إليه جل وعلا معبرا بكيف دون ما لتذكير عباده ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله ألم يجعل كيدهم فى تضليل أى فى إبطال وتضييع لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشا بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم بين تعالى فعله بهم أى هلاكهم بأن أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول بثلاث جمل فصيحة صريحة ليس فيها غموض ولا إجمال حتى تحتاج إلى بيان الخلق وتأويلاتهم الفاسدة ثلاث حقائق واضحة وضوح الشمس، رام وهو الطير التى أرسلها الله تعالى عليهم جماعات جماعات كتائب منظمة تنظيما إلهيا، ومرمى به وهو الحجارة، والمفسرون على أن الحجر منها لا يزيد فى الكبر عن الحمصة كل طير يحمل منها ثلاثة إثنان فى رجليه والثالث فى منقاره، ومرمى وهو جيش أبرهة وما كلّهم أصابته الحجارة ولا تصيب أحد امنهم إلا أهلكته. وقد روى ابن اسحق عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس، وقول الخضرى فى أبرهة (فعاد منهزما وتوفى بعد عودته) من الغش للقراء وعدم

الأمانة فى نقل العلم لأنه لم يذكر كيفية موته هلا قال مات بالجدرى كما مات جل جيشه قال ابن هشام فى سيرته التى أحال عليها حضرته بقوله ، (وقد بينها ابن هشام فى سيرته)مانصه فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدة تمث قيحا ودماً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمامات حتى انصدع صدره عن قلبه اه .

ولنذكر شيئا من أشعار العرب فى هذه الحادثة . قال ابن هشام فى سيرته: وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاؤا ويسألون عن نفيل ابن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن (ونفيل بن حبيب الخثعمى هذا كان اعترض أبرهة حين وصل الى أرضهم ليرده عن بيت الله فأسره أبرهة وأراد قتله فقال له نفيل ابقنى أيها الملك دليلك بأرض العرب وهاتان يداى لك على قبيلتى خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فتركه واستصحبه معه دليلا فقال نفيل حين رأى ماأنزل الله بهم من نقمته :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وقال أيضاً :

ألا حييت عنا ياردينا نعمناكم مع الأصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه لدى جنب المحصب مارأينا
إذاً لعذرتنى وحمدت أمرى ولم تأسى على مافات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن على للحبشان دينا

وقال عبد الله بن الزبعرى رضى الله تعالى عنه :

تنكلوا عن بطن مكة أنها كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت إذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل أمير الجيش عنها مارأى ولسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصارى يخاطب قريشا ويحذرهم من نصب العداوة للنبي صل الله تعالى عليه وسلم من قصيدة له فى ذلك:

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا   بأركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق   غداة أبي يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمشى ورجله   على القاذفات فى رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم   جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب   الى أهله ملحيش غير عصائب

وقال طالب بن أبي طالب :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس   وجيش أبي يكسوم إذ ملأوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شىء غيره   لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

وقال أمية بن أبي الصلت الثقفى :

ان آيات ربنا ثاقبات   لا يمارى فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل   مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم   بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى   ظل يحبو كأنه معقور
لازماً حلقة الجران كما قط   ـر من صخر كبكب محدور
حوله من ملوك كندة أبطا   ل ملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعاً   كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله   ه إلا دين الحنيفة بور

فان قيل من اين حكم الخضرى على اصحاب الفيل بانهم هلكو بالأمراض الثقيلة وهى الحصبة والجدرى من سيرة ابن هشام . قلت من رأى يعقوب ابن عتبة وهو دعواه (ان اول مارؤيت الحصبه والجدرى بارض مكة ، وقد قدمت ان لا حجة له فى رأى يعقوب . فان قيل ضم لرأى يعقوب قول ابن هشام فى ملكهم ابرهة (واصيب ابرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة كلما سقطت انملة اتبعتها منه مدة تمثُّ قيحاً ودماً حتى قدموا

به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمامات حتى انصدع صدره عن قلبه) قلت لاحجة له على حكمه برأى يعقوب وحده ولا به مع هذه الضميمة فحكمه هذا باطل من اربعة اوجه : الأول : أن ابن هشام لم يقله وعليه فقد تقول عليه. الثانى : على فرض صحة أخذ حكمه من رأى يعقوب بن عتبة او منه ومن حالة ابرهة بعد اصابته فالفرق بين (هلكوا بالامراض الثقيلة الحصبة والجدرى) وبين أن اول مارؤيت الحصبة والجدرى بارض العرب ذلك العام)كما بين السماء والارض يعرفه صغار الطلبة ، الثالث قال هلكوا بالحصبة والجدرى ولا يجتمع الحصبة والجدرى فى مريض واحد فى وقت واحد عادة وعليه فيمكن ان يرقع هذا الـُفشار فيقال بعضهم هلك بالحصبة وبعضهم هلك بالجدرى وينبنى عليه اسئلة كثيرة فيقال كم المقدار الذى هلك منهم بالحصبة ، وكم المقدار الذى هلك منهم بالجدرى وكم المقدار الذى نجا منهم ، ومن احصى ذلك من العرب وضبطه وما وجه تخصيص اهلاكهم بهذين المرضين بذلك المكان (المغمس) دون غيره من بلاد العرب التى مربها ذلك الجيش الجرار من خروجه من اليمن سالماً الى ان وصل اليه ، وهل الحصبة والجدرى من الأمراض الثقيلة ، واذا كانا من الأمـــراض الثقيلة فكيف تأتى لابرهة وشرذمة من جيشه الفرار منهما فهل يمكن لمريض مرضا ثقيلا الفرار المستلزم لسرعة حركة الفار بسبب الذعر الباعث له على ذلك ، وهل يتأتى الهروب لمن ثقل بهذين المرضين . وقد قال ابن هشام (وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ويسألون عن نفيل ابن حبيب الخثعمى ليدلهم على الطريق الى اليمن) وقال ايضاً (فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل) وكيف نجا من هذين المرضين الثقيلين نفيل بن حبيب وقال متشفياً فيهم :

حمدت الله اذا بصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كان علىّ للحبشان دينا

الرابع العادة والتاريخ يكذبان هذا الحكم فان الحصبة والجدرى ليسا من الامراض الفتاكة عادة بل ولا من الامراض الثقيلة كالطاعون على ان

المصاب بالطاعون يمكث ساعات كثيرة ثم يموت وهؤلاء الأحباش هلكوا حالا فجعلهم كعصف مأكول ولم يعرف فى العادة والتاريخ ان اهل بلدة او قرية هلكوا بالحصبة او الجدرى ويقال على فرض صحة هذا ماتقدم من الاسئلة ويزاد فيقال العادة الجارية فى الكون أن الأمراض الثقيلة انما تحصل فى المدن والقرى لافى الصحراء والبادية التى هى انقى هواء من القرى والمدن والمشاهدة الآن قاضية بان اهل البادية على شظف معيشتهم فى مجموعهم اصح أمزجة من اهل القرى وأهل القرى على شظف معيشتهم فى مجموعهم أصح أمزجة من أهل المدن ويقال ايضاً العادة الجارية ان هذين المرضين يحصلان لأهل المدن والقرى فى الصغر غالباً ولاسيما الحصبة فانها مرض الاطفال والغالب فيها السلامة ونادر من يحصل له ذلك فيها فى الكبر والنادر لاحكم له، ويقال ايضا لم لم يهلك هذا الجيش بالحمى وماوجه تخصيص هلاكه بهذين المرضين دون غيرهما من الأمراض الثقيلة ، ولم لم يهلك بهما اهل مكة وهى قرية قريبة من (المغمس) وعلى فرض صحة وقوع الامراض الثقيلة بالصحراء كيف هلك معظم هذا الجيش الجرار بها مع انه لم يمكث بها مدة طويلة حتى ينشأ منها فساد الهواء المستلزم لوقوع الامراض الثقيلة ولم يزد مكثه بها على يوم او بعض يوم فيستحيل ان يهلك جيش عظيم فى ساعة من نهار بما هو اشد واقبح منهما كالطاعون ، ولم لم يهلك ابرهة مع جيشه فى ذلك المكان مع انه اصيب كما اصيبوا ، ولم تأخر هلاكه الى وصوله لصنعاء ، ولم صار لحمه يتساقط قطعة قطعة ومرض الحصبة لا يسقط منه لحم المصاب بها عادة بل ولا الجدرى الذى هو اشد منها ، وقديماً انكر هذا من لا يؤمن بقدرة القادر الحكيم فقال لو جوزنا ان يكون فى الحجر الذى يكون قدر العدسة مثلا من الثقل مايقوى به على ان ينفذ من رأس الانسان ويخرج من اسفله لجوزنا ان يكون الجبل العظيم خالياً عن الثقل وان يكون فى وزن التبنة وذلك يرفع الامان عن المشاهدات فانه متى جاز ذلك فليجز ان يكون بحضرتنا شموس واقمار ولا نراها

وكل ذلك محال . والجواب ان هذا وامثاله خارق للعادة جائز على مذهبنا ولاشك ان هذه الواقعة كانت دالة على قدرة الصانع وعلمه وحكمته وكانت دالة على شرف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتأسيسا لنبوته وارهاصا لها واعزازاً لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم مكراً برهة الذى لم يكن للعرب جميعاً بقتاله طاقة فقصة الفيل هذه حجة دامغة للملحدين لانهم ذكروا فى الزلازل والرياح والصواعق وسائر الاشياء التى عذب الله تعالى بها الامم السابقة أعذاراً ضعيفة اما هذه الواقعة فلا تجرى فيها تلك الأعذار لأنه ليس فى شىء من الطبائع والحيل ان تقبل طير معها حجارة فتقصد قوماً دون قوم فتقتلهم ولا يمكن ان يقال انه كسائر الحوادث الضعيفة لانه لم يكن بين عام الفيل ومبعث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا اربعون سنة ويوم انزلت هذه السورة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان قد بقى بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة بل جميع العرب يعلمونها علماً يقينيا فلو كان نقلها غير صحيح لشافهوه بالتكذيب فلما لم يقع منهم تكذيب له علمنا انها متواترة قطعية لاسبيل للطعن فيها . فان قيل ان مشركى قريش كانوا ملأوا الكعبة من الأوثان ولاشك ان ذلك اقبح من تخريب جدرانها فلم سلط العذاب على من قصد تخريبها ولم يسلط على من ملأها من الأوثان . والجواب ان وضع الأوثان فيها تعد على حق الله تعالى وتخريبها تعد على حق الخلق . ونظيره قاطع الطريق والباغى والقاتل يقتلون مع انهم مسلمون ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى وصاحب الصومعة والمرأة وان كانوا كفاراً لانه لا يتعدى ضررهم الى الخلق . فان قيل ايضاً ان الحجاج بن يوسف خرب الكعبة بان رماها بالمنجنيق كما رماها جيش يزيد بن معاوية قبله ولم يحصل لهم ماحصل لاصحاب الفيل من العذاب فما الفرق ؟ فالجواب ان ذلك وقع ارهاصاً لنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما

ظهر عليه الصلاة والسلام وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شيء من ذلك على ان جيش يزيد والحجاج انما قاتلوا على الملك ولم يقصدوا هدم الكعبة ولم يسيروا اليها كأبرهة وماوقع فيها من التخريب ادى اليه القتال . فان قيل : فهل للخضرى فى هذا التفسير المكذب لصريح القرآن وللتاريخ المنقول فى هذه الحادثة سلف ، قلت نعم سلفه وقدوته فيها محمد عبده فى تفسيره لجزء عم فى سورة الفيل وحيث كان المبتكر والقدوة فى هذه المصيبة فلنذكر كلامه برمته ليراه القراء ثم أفنده وهذا نصه :

كلام محمد عبده فى تفسيره

لسورة الفيل من جزء عم

قال (ولم يزل سائراً يغلب من يلاقيه حتى وصل إلى المغمس بالقرب من مكة ثم أرسل إلى أهل مكة يخبرهم أنه لم يأت لحربهم وإنما أتى لهدم البيت ففزعوا منه وانطلقوا إلى شعف الجبال ينتظرون ماهو فاعل وفى اليوم الثانى فشا فى جند الحبشى داء الجدرى والحصبة قال عكرمة وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث إن أول مارؤيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم مايندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين وأصيب الحبشى ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وانملة أنملة حتى انصدع صدره ومات فى صنعاء هذا مااتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة ان ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ممايرسله الله تعالى مع الريح فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى

بافساد الجسم وتساقط لحمه وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى اهلاك من يريد اهلاكه من البشر وان هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالمكروب لايخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى فى قهر الطاغين على أن يكون الطير فى ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ولاعلى معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فلله جند من كل شىء وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد.وليس فى الكون قوة إلا وهى خاضعة لقوته فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير مايوصل اليه مادة الجدرى أو الحصبة فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة وهى نعمة من الله تعالى غمر بها أهل حرمه على وثنيتهم حفظاً لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم وان كانت نقمة من الله تعالى حلت بأعدائه أصحاب الفيل الذين أرادوا الاعتداء على البيت بدون جرم اجترمه ولا ذنب اقترفه ، هذا مايصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل ان صحت روايته . ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعد بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لايظهر للنظر ولايدرك بالبصر حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر اه) .

تفنيــــده

كلامه هذا باطل من ستة أوجه :

١ - (الأول) تكذيبه لصريح نص القرآن الذى لايحتمل التأويل بحال فى قصه هذه الحادثة بأوضح بيان ، فقد أسند الله تعالى اهلاكهم اليه تعالى فى أربع جمل ﴿ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ ألم يجعل كيدهم فى تضليل بواسطة رمى الطير المنظمة كتائب كتائب لهم بالأحجار ﴿ وأرسل عليهم

طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ والحقيقة والحس المتواتران وهما ثلاث حقائق رام ومرمى ومرمى به لا يمكن دفعهما بهذا الهوس وهو (وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش) ولا يتردد كل من له أدنى مسكة من عقل فى أن الساقط لا يقال له مرمى لا لغة ولا عادة ولا عقلا وبهذا ظهر تكذيبه لخبر الله تعالى فى هذه القصة الواضحة وضوح الغزالة كما ظهر تكذيبه للتاريخ المنقول فيها تواتراً عمن شاهدها من العرب ولمؤرخى الاسلام قاطبة فبعد قوله (سقطت على أفراد الجيش) تحريفاً للرمى فى قوله تعالى (ترميهم بحجارة) بالسقوط والساقط ليس مرمياً لا محالة ، (لا تأويلا) ولم يحرف الشيخ من كلام الله تعالى هذه اللفظة وهى الرمى فقط بل أمثالها كثير فمما حرفه أيضاً تفسير الانفطار والانشقاق تقليداً للفلاسفة الذين ينكرون كون السماوات أجراماً ليراجع من شاء تفسيره لجزء عم وقد صار الشيخ فى هذا التحريف قدوة مقلداً لكل متوثب من أهل العصر على كلام الله تعالى .

٢ ـ (الثانى) الكذب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى جميع الرواة للسنة النبوية من الصحابة إلى مشايخه طبقة طبقة فى قوله (هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) فاسم الاشارة فى قوله هذا ما اتفقت يرجع إلى الهلاك الذى هلك به جيش أبرهة فى زعمه وهو الوباء والجدرى والحصبة وتناثر لحمهم قطعة قطعة فلو ادعى رواية واحدة فى هلاك هذا الجيش بماذكره عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكانت غاية كافية فى شناعة الفرية على الرسول لأنه يرويها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم على أقل تقدير صحابى واحد والصحابى يرويها عنه غالباً جمع والجمع يرويها عنهم جمع أكثر منهم عدداً وهلم جرا إلى مشايخه وكون الصحابى لا يرويها عنه إلا واحد وهو مايسمى فى فن المصطلح بالفرد النسبى نادر فكيف وقد ادعى روايات كثيرة بالجمع وأقل الجمع ثلاث وعليه فلو فرض أن هذه الفرية رواها عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة من الصحابة كل واحد منهم يرويها عنه جمع من التابعين وكل واحد من جمع التابعين يرويها عنه جمع من أتباع التابعين وهلم جرا إلى مشايخه فانها تكون حينئذ من قسم المشهور والمستفيض وفرض عدد طبقات الرواة الذين بين محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٤ وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمس عشرة طبقة فاذا فرض فى كل رواية من الروايات التى عبر عنها بصيغة الجمع انه رواها فى كل طبقة أقل الجمع (ثلاث) وفرضت الروايات التى عبر عنها بقوله (هذا ما اتفقت عليه الروايات) ثلاثاً على أقل تقدير فيكون حضرته قد كذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذب على مائة وخمسة وثلاثين راوياً من حملة شريعته على أقل المفروض غير كذبه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. فان قيل ليس مراده بالروايات فى قوله: (هذا ما اتفقت عليه الروايات) الروايات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يترتب عليه صريحا الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الجم الغفير من حملة شريعته، بل مراده بها رواية يعقوب بن عتبة ورواية عكرمة فالجواب أن هذا باطل من ثلاثة أوجه: (الأول) أن الرواية أو الروايات إذا أطلقها أى عالم من علماء المسلمين انما تنصرف لرواية السنة النبوية جزماً عند جميع أهل الاسلام فاذا قصد بها قول صحابى أو غيره مثلا قيدها بقوله الرواية أو الروايات عن فلان وقد أطلقها حضرته هنا فتحمل جزماً على رواية السنة. (الثانى) أن ما حدث به يعقوب بن عتبة رأيه وليس برواية وقد تقدم تقريره فى تفنيد كلام الخضرى وكذلك ما قاله عكرمة رأيه وليس برواية وقد صرح بذلك حضرته بقوله قال عكرمة وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب ولم يصرح عكرمة بأنه سمعه من صحابى مثلا والصحابى سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يكون رواية فقوله قال عكرمة وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب صريح فى كونه رأياً لا رواية على أن قوله وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب دعوى مثل دعوى يعقوب بن عتبة تماماً وتقدم انه لا دليل عليها على

أنه قد بتر كلام عكرمة فذكر منه مايوافق هواه فقط وبذكر كلامه كله يظهر للقارىء انه لاحجة له فيه . أخرج الامام ابن جرير فى تفسيره بسنده إلى عكرمة مانصه : قال كانت ترميهم بحجارة معها قال فاذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى قال وكان أول يوم رؤى فيه الجدرى قال لم ير قبل ذلك اليوم ولا بعده اه فقد صرح عكرمة بأن الطير رمتهم بأحجار معها فاذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى أى هلكوا بالأحجار المرمية عليهم من جيوش الطير فالحجر إذا أصاب أحدهم خرج به الجدرى فهلاكهم قطعاً بالأحجار المرمية عليهم ، والجدرى الذى نشأ من الاصابة فى قول عكرمة ان صح محمول جزماً على أن محل دخول الحجر فى الجسم ومحل خروجه يشبه الجدرى أى مكان الاصابة دخولا وخروجاً منفط كنفط النار وذلك يشبه الجدرى لأن الحجارة يابسة كما اعترف بها الشيخ سواء قلنا إنها مختلطة من حجر وطين أو كانت من طين مطبوخ كالآجر توفيقاً بينه وبين قول جمهور المفسرين ، مايقع حجر على رأس رجل منهم الا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر. (الثالث) لو فرض أن رأيى يعقوب بن عتبة وعكرمة من الرواية فهما روايتان لاروايات بالجمع فكان صواب التعبير على هذا الفرض أن يقول هذا مااتفقت عليه الروايتان بالتثنية وماكفى حضرته تكذيب صريح القرآن فى اخباره عن هذه الحادثة بايضاح والتقول على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى حملة سنته حتى جعله العقيدة الصحيحة للمسلم بقوله (هذا مااتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) والعجب منه يتقول الروايات هنا فى هذه الحادثة وليس فيها رواية أصلا لتمشية هواه فى حين أنه يطعن فى الأحاديث الصحيحة بل فى المتواترة ويزدرى ويتهكم بأئمة الرواية مع كونه ليس من أهلها ولا يقيم لها ولا لحماتها وزناً إذا خالفت هواه .

وهذا تفسيره لجزء عم مملوء بالخطل فقد زعم فيه : أن النفخ فى الصور تمثيل لبعث الله تعالى الناس يوم القيامة بسرعة وتفتيح السماء عبارة عن

تغيير نظام الكون وانفطار السماء وانشقاقها فساد تركيبها واختلال نظامها قال (وذلك يكون بحادثة من الحوادث التى قد ينجر اليها سير العالم كأن يمر كوكب فى سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره)، وعرّف الشيطان بانه قوة نازغة الى الشر : اى معنى من المعانى لاجسم مكلف مخاطب وطعن فى احاديث الشفاعة وفضائل اهل البيت وفى الآثار الوارة فى الميزان وفى الاحاديث الوارة فى حوضه عليه الصلاة والسلام وهى متواترة . قال الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب العلم من صحيح الامام البخارى فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » إنه متواتر كاحاديث الحوض واحاديث المسح على الخفين ورفع اليدين فى الصلاة ورؤية الله فى الآخرة وغيرها اه. وطعن ايضا فى حديث سحر لبيد بن الاعصم اليهودى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى احاديث وسوسة الشيطان لابن آدم وجثومه على قلبه بخرطومه، وتفنن قلمه فى الازدراء والتهكم والتجهيل لعلماء الاسلام قاطبة فلينظره من شاء ولينظر خاصا هذه السور : الضحى والقدر والبينة والزلزلة والقارعة والكوثر وتبت يدا ابى لهب والمعوذتين كل هذا منه تقليد : هذا وهو الامام المجتهد عند المتغالين فيه . وقد صار فى هذا الطعن مقلداً مقتدى به لجل كتاب العصر ولاسيما المتعلمين تعليماً غربياً فمنهم من يطعن فى الاحاديث اذا لم توافق هواه كتلميذه الخاص محرر مجلة المنار فقد طعن فى احاديث انشقاق القمر وفى غيرها ومنهم من لا يقبل السنة كلها ويتهم جميع رواتها كصاحب (حياة محمد) كما انه مقلد للخوارج فى حمل ماورد فى الكفار خاصة على المؤمنين : ففى كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم من صحيح الامام البخارى فى باب قتل الخوارج والملحدين بعد اقامة الحجة عليهم مانصه : وكان ابن عمر يراهم (يعنى الخوارج) شرار خلق الله وقال انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها على المؤمنين اه وقد حمل محمد عبده سورة تبت يدا أبى لهب الواردة فى ذم كافرين معينين

ووعيدهما على المؤمنين تزكية لنفسه واعلاء لها فقال فى تفسيرها مانصه (فجميع اولئك الذين يقولون لك انك مهما بلغت من العلم لا يمكنك ان تعرف عن الله تعالى من كتابه ولا من كلام نبيه شيئا من الاحكام والعقائد ولا يجوز لك أن تستند فى تقرير حكم الى آيات الكتاب ولا الى الصحيح من السنة وانما الواجب عليك ان ترجع الى قول فلان ورأى فلان وان وصلت من معرفة لغة الكتاب والسنة الى أعلى غاية اولئك هم آباء لهب لا تغنى عنهم اموالهم ولا اعمالهم شيئا وسيصلون مايصلى وكل امرأة تنم بين الناس لتفرق كلمتهم وتذهب بهم مذاهب السوء فهى ممثلة فى هذا المثال نازل بها ذلك النكال اه) .

فقد رأى القارىء كلامه هذا صريحا فى تكفير كل من قال من المسلمين له ولأشباهه : انك مهما بلغت من العلم .. لا تصل الى درجة المجتهدين باداة الحصر .

٣ ـ الوجه الثالث تحقق من كلامه أنه قد زاد فى هذه القصة عما لم يذكره الله تعالى لنا فى الاخبار بها وعن التاريخ المنقول فيها تواتراً ثمانية اشياء : : الريح والجدرى ، والحصبة ، والسم اللاصق بتلك الاحجار اليابسة ، والحيوان الصغير المسمى بالميكروب المتعلق بتلك الاحجار اليابسة ايضا ، وتناثر وتساقط لحم اجسام جميع افراد الجيش الهالك ، وتعيين حجم هذا الطير بانه من جنس البعوض او الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وسقوط تلك الأحجار من ارجل الطير لا رميها ، وفى كلامه فى هذه الزيادة من الخلط شيء كثير كما انه يترتب عليها اسئلة كثيرة لا يمكن الانفصال عنها : فمن ذلك جعله الحصبة والجدرى (وباء) ، والوباء ان اطلق لغة على الطاعون فقط فاطلاقه حينئذ عليهما غلط لا مرية فيه ، وان اطلق على كل مرض عام فتخصيصه بهما تحكم لا دليل عليه لا نقلا ولا عقلا ، ويرد عليه جميع ماورد على الخضرى من الاسئلة فيهما وقد تقدم ذكرها ، ومن ذلك ايضاً التضارب فى كلامه فى الشيء الهالك به هذا الجيش قال (بالحصبة او الجدرى) ثم قال (فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض

أوالذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بارجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فاثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه اه) . فخلاصة هلاكهم من كلامه باربعة أشياء الحصبة والجدرى والحيوان الصغير المسمى بالميكروب والسم الملتصق بالحجارة اليابسة ويمكن ترقيعه بارجاع ماهلكوا به الى شيئين فقط السم والميكروب ولاشك عند كل عاقل ان السم غير الميكروب لان السم ليس بحيوان والميكروب حيوان فصارت نتيجة اهلاكهم دائرة بين ماهو حيوان وماليس بحيوان وصارت عقيدة المسلم التى حققها له بقوله (هذا مااتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به) وبقوله فى آخر كلامه (هذا مايصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وماعدا ذلك فهو مما لايصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته) مضطربة بين السم والميكروب فعلى أيهما يركزها ؟ فان بناها على هلاكهم بالسم فيكون تقدير هذه السلسلة الطويلة المزيدة فى الآية الشريفة من كلامه هكذا : هلكوا بسم أفسد أجسامهم فتناثرت لحومها وتساقطت : التصق ذلك السم بحجارة يابسة حملتها الرياح فعلقت بأرجل طيور صغار كالبعوض او الذباب وسقطت تلك الحجارة على أفراد الجيش ، فينحل هذا الكلام الى ست جمل فاذا زيد عليه ، اتصل ذلك السم بجسد كل واحد منهم فدخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه فهذه ثلاث جمل اخرى فترتب على هلاكهم بالسم من كلامه تسع جمل وتنهار هذه العلاوة الطويلة بالعادة فان كل عاقل يعلم عادة ان السم اذا اتصل بظاهر الجسم لايضره فضلا عن كونه يقتله وانما يقضى على حياة الجسم اذا وصل الى داخله بواسطة الحقنة أو بالأكل مثلا ومع هذا لايسقط منه لحم الجسم فضلا عن تناثر اجزائه على ان من تحسى سما او وصل الى داخل جسمه بواسطة آلة يهلك سريعا ويستحيل منه الهروب والتحرك من مكانه عادة وهذا الجيش اعترف

الشيخ بأنهم ولو اهاربين. فأن قيل: ان تلك الاحجار اليابسة الملتصق بها السم بمنزلة الحقنة له . قلت هذا لا يصح الا اذا كانت تلك الاحجار مرمية من طيور يصح منها الرمى فحينئذ يمكن دخول السم فى الجسم بواسطة الاحجار المرمى بها وحينئذ نرجع الى المحقق حسا وهو هلاكهم بالاحجار المرمية عليهم كما قال الله تعالى .

ولا حاجة بنا إذاً الى هذه العلاوة التى يبطلها القرآن والتاريخ والحس والعادة فكلام الشيخ متضارب جمع بين الأشياء التى لا يعقل ترقيعها ولا التوفيق بينها عادة فالبعوض أو الذباب لا يمكنه حمل أحجار يابسة ورميها بل ولا حملها ثم تسقط منه وانما يمكنه حمل شىء صغير جدا كالميكروب والغبار ولا يسمى البعوص والذباب طيرا فى العادة المستمرة من ذلك العهد الى الآن وان كان طيرا بحسب اللغة ولم يقل أحد من الناس إن البعوض أو الذباب يرمى بالاحجار أو بصغار الحصى فضلا عن كبارها ولا العادة المستمرة فى الناس قضت بذلك وانما يقال وقع الذباب على كذا أو فى كذا. وفى الحديث الصحيح ﴿اذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء﴾ وقال الأطباء أن نوعا من البعوض يحمل الحمى الملاريا فاذا وقع على جسم حصلت له تلك الحمى ،وإن بناها على هلاكهم بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب فتقدير العلاوة على هذا الوجه هكذا : هلكوا بالحيون المسمى بالميكروب الذى لا يرى لشدة صغره الملتصق بالاحجار التى حملتها الرياح فالتصقت بارجل الذباب والبعوض فسقطت منها على افراد الجيش وهذا التقدير نحو ست جمل ايضاً فظهر بهذا ان الشيخ زاد فى حادثة هلاك هذا الجيش على كلا الأمرين السم والميكروب على كتاب الله تعالى ست جمل وكتاب الله تعالى بينها احسن بيان بثلاث جمل كما تقدم على ان الهالك باى مرض من أمراض الميكروب لا يموت الا بعدمدة وهذا الجيش هلك حالا ويستحيل ايضا من المصاب بالميكروب حمى او غيرها الهروب عادة كما يستحيل تقطع الجسم وتناثر لحمه به . فان

قيل إن القرآن الذى قص هذه الحادثة أحسن قصص لم يذكر أن لحوم اجسام ذلك الجيش الهالك كانت تتساقط وتتناثر كما ذكر الشيخ بقوله (وقد فعل ذلك الوباء باجسامهم مايندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط) ولا التاريخ المنقول فيها تواترا ذكر ذلك فمن أين للشيخ هذا التفصيل العجيب قلت اخذ ذلك من مصاب رئيسهم أبرهه فانه قال واصيب الحبشى ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأنملة انملة حتى انصدع صدره ومات فى صنعاء) وهو تصرف قبيح وحكم على الكل بحكم البعض .

٤ ـ الوجه الرابع يلزم من تفسيره هذا لهذه السورة تجهيل الله تعالى حيث أخبر عن هذه الحادثة اخباراً مجملا ناقصاً مبهما يحتاج الى ان يبينه ويكمله ويوضحه حضرته وتعجيز قدرته جل وعلا ايضاً حيث انه لا يتأتى لها التأثير فى الموجودات الا بالوسائط الكثيرة ، وتجهيل ايضاً لعلماء الاسلام قاطبة المفسرين من عصر الصحابة رضوان الله عليهم الى زمنه حيث انهم لم يهتدوا الى هذا التفسير الذى انفرد به حضرته وقال هو الذى (يصح الاعتقاد به) وقال ايضا (هذا مايصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة وماعدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته) أى فما ذكر الله تعالى فى اهلاك هذا الجيش واضحا بثلاث جمل لا يصح قبوله ان صحت روايته عنده الا بتأويل وما نقل من التاريخ فيها تواترا كذلك لا يصح قبوله ان صحت روايته إلا بتأويل فنتيجة كلامه هكذا : ماذكره الله تعالى فى بيان هذه الحادثة وذكره التاريخ المنقول فيها تواتراً لا يصح قبوله على فرض صحته عنده ، الا بتأويل فعدم صحة قبوله على عدم صحة روايته عنده من باب اولى . وكفى بهذه النتيجة فسادا وقبحا وشناعة واتضح بما تقرر فى الاوجه السابقة ان الشيخ قصد بتفسيره هذا التضليل ، وهو : ـ

٥ ـ الوجه الخامس والحامل له على هذا القصد محاولة الجمع بين مذهبين متناقضين فى العقيدة مذهب الماديين الذين لا يؤمنون بوجود الاله الواحد القهار القادر على كل شىء الحكيم ومذهب من يؤمن بذلك . ومعلوم عند كل عاقل ان محاولة ابطال الخوارق وتعجيز القدرة الآلهية بهذا الترقيع

محاولة فاشلة لا يرضى بها اهل الاسلام قاطبة ولا يقتنع بها الماديون .

٦ ـ الوجه السادس التهويش وذلك فى كلامه فى مواضع : الاول فى قوله (وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله فى اهلاك من يريد اهلاكه من البشر وان هذا الحيوان الصغير الذى يسمى الآن بالميكروب لايخرج عنها وهو فرق وجماعات لايحصى عددها الا باريها) كل مسلم صحيح العقيدة يعتقد لله تعالى جنوداً من كل شىء يسلطها على من شاء من خلقه ولكن تفسيره وحكمه بان جيش ابرهة هلكوا بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب الذى حملته الطيور الصغار (البعوض او الذباب) خاطىء خطأ فاحشاً لادليل عليه لانقلا ولاعقلا وقد تقدم ابطاله فى الاوجه السابقة وكذلك فى قوله الثانى (ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى فى قهر الطاغين على ان يكون الطير فى ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على ان يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفيه تأثيرها فلله جند من كل شىء وفى كل شىء له آية تدل على انه الواحد وليس فى الكون قوة الا وهى خاضعة لقوته) فقد اشتمل هذا الكلام على تهويش كثير وخلط وتناقض فقوله ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى فى قهر الطاغين على أن يكون الطير فى ضخامة رؤوس الجبال الخ صحيح ظهور أثر قدرة الله تعالى لا يتوقف على ماذكر وهو العقيدة التى يحملها كل مسلم بين جنبيه ولكن قوله (على أن يكون الطير فى ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به) تهويش وتضليل وهل قال المفسرون إن ضخامة تلك الطيور كانت مثل رؤوس الجبال وهل يقدح ذلك فى عقيدتهم أو فى هذه الخارقة على فرض أنهم قالوه وهل ذكر التاريخ لألوان هذا الطير بأنها سود أو بيض أو خضر مثلا يعد قدحا فى ثبوت هذه الحادثة الخارقة عند العقلاء وهل نقل المفسرين لذلك يعد وصما فى عقيدتهم الاسلامية ، وقوله (ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها) خلط

وتناقض بيانه أنه حقق أنهم هلكوا بالسم الملتصق بالأحجار اليابسة المحمولة بالريح المتعلقة بارجل الطيور الصغيرة (البعوض أو الذباب) أو بالحيوان الصغير المسمى بالميكروب الملتصق بالأحجار اليابسة المحمولة بالريح المتعلقة بأرجل إلى آخر السلسلة فظهر به أن قوله هنا ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها تناقض وخلط لما حققه لأنه اعتراف منه بهلاكهم بالحجارة المرمية عليهم من الطير وإنما قال لا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى على مقادير الحجارة المرمية عليهم ولا على كيفية تأثيرها فى أبدانهم والمسلمون كلهم يقولون بموجب هذا لأنه المطابق لنص الآية الشريفة. (ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) وعليه فالطيور الصغيرة كالذباب والبعوض يستحيل حملها للحجارة فى أرجلها عادة وإنما تحمل الهباء والغبار أو الحيوان الصغير الذى لا يرى ولا يسمى الهباء والغبار والحيوان الذى لا يرى حجارة لا عقلا ولا عادة ولا حسا وقد اعترف بتأثير الحجارة فى هذا الجيش ثم نفى كيفية تأثيرها فيه لأن أثر قدرة الله تعالى عنده لا يتوقف عليها فوقع فى ورطتين : الأولى نسبته التأثير للحجارة والمؤثر عند أهل الحق هو الله تعالى والحجارة سبب (ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) الثانية تناقضه وهو نفيه هنا كيفية تأثير الحجارة فى أجسامهم وإثباته فى أول كلامه قال (وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط) وهذا بلا شك تعيين لكيفية هلاكهم وقد تقدم أن هذا منه زيادة عما قصه الله تعالى من أمرهم وزيادة على التاريخ المنقول تواترا وقوله (فلله جند من كل شيء وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد) تهويش أيضا وإخبار بالمعتقد الواضح عند جميع المسلمين وتلبيس على البسطاء وقوله (وليس فى الكون قوة إلا وهى خاضعة لقوته) منطبق على مذهب القدرية الذين يثبتون للاشياء قدرة أودعها الله فيها وعليه قالوا الانسان يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهى مسألة القدر أى أفعال العباد والقدر سر الله تعالى فى خلقه وقد أسهب فيها فى رسالته فى التوحيد ولم يأت فيها بطائل

سوى تنميقه الأسلوب الانشائى الذى دعم به مذهب القدرية ودافع عنهم وعاب مذهب الأشعرية وزعم أنه هادم للشريعة ماح للتكاليف ، وقد فند كلامه العلامة المحقق الشيخ مصطفى صبرى التوقادى فى كتابه «موقف البشر تحت سلطان القدر» فقوله (وليس فى الكون قوة أى قدرة إلا وهى خاضعة لقوته) أى خاضعة لقدرته تعالى كلام مموه مقلد فيه للمعتزلة فيقال له إذا كانت كل قوة فى الكون خاضعة لقوته تعالى فتسميتها قوة لا تصح إلا على سبيل التجوز وخضوعها لقوة الله دليل على أنها ليست بمؤثرة وقوة الله هى المؤثرة وحدها واستحالة دخول مقدور واحد تحت قدرتين لكل واحدة منهما قدرة التخليق والاكتساب دعامة لا يستطيع أهل الأرض جميعا تحريكها وعلم الله تعالى أزلا جميع الاشياء تفصيلا والداعى الموجب أى الباعث للعبد على الفعل قضيا على مذهب القدرية ولذا نقل عن بعض أذكياء المعتزلة أنه كان يقول فى علم الله تعالى والداعى هما العدوان لمذهب المعتزلة لولاهما لتم لنا الدست أى على أهل السنة وقال بعض أهل السنة مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة أى علم الله تعالى فى أزله جميع الأشياء تفصيلا حجهم لأنهم يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والشرور والقبائح لم يخلقها جل وعلا فيقال لهم هل علم جل وعلا وقوعها أم لا لا سبيل لهم إلى إنكار علمه تعالى بها لأنه تجهيل لربهم من حيث يريدون تنزيهه ولا شك أن نسبة الجهل إليه تعالى كفر وان اعترفوا بعلمه تعالى بوقوعها فيما لا يزال ولا مناص لهم منه فقد قامت عليهم حجة أهل السنة لأنه حينئذ علمها تعالى وأرادها من العباد لأن تعلق الارادة تابع لتعلق العلم فلا يمكن أن يقع فى الكون شىء لم يعلمه الله تعالى ولم يرده فالحق فى أفعال العباد أنه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين وذلك لأن مبنى المبادىء القريبة لأفعالهم على مرادهم واختيارهم والمبادىء البعيدة على عجزهم واضطرارهم فالانسان مضطر فى صورة مختار، وكذلك فى قوله (ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعد بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر

للنظر ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لاريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر) تهويش وخلط بيان ذلك أن المسلم اذا كان مؤمنا بالقدر إيمانا صحيحا مؤمنا بأن لله تعالى قدرة مؤثرة فى كل ممكن فلا تتوقف عقيدته فى هلاك هذا الجيش فى هـــذه الحادثة ولا فى غيرها على هذه الوسائط الكثيرة والسلسلة الطويلة التى ابتكرها مخالفا لعلماء الاسلام قاطبة وللتاريخ المستفيض فيها ولصريح كلام الله تعالى المبين لها أحسن بيان حتى لو فرض أن الله تبارك وتعالى لم يبينها فى كتابه العزيز وإنما ذكرت فى التاريخ فقط لم تتغير عقيدته الثابتة فى صدره ثبوت الجبال الرواسى فى قدرة الله تعالى الباهرة الصالحة لكل شىء فقوله ومما تعظم به القدرة أى أى القدرة الالهية كما هو الظاهر يدل له قوله بعده حيث ساقه القدر أى تزداد عظمة بهلاك جيش أبرهة بهذا الحيوان الصغير الذى لايرى مناف لقوله (ويهلك بحيوان صغير لايظهر الخ) وذلك لأن هلاكه إما أن يكون بقوة هذا الحيوان الصغير فقط أو بقوته مع قوة الله تعالى مشتركين وكلاهما باطل عند كل من يؤمن بالله الواحد القادر الحكيم القهار أو بقوته بعد قوة الله تعالى وهذا أيضا باطل لأنه تحصيل الحاصل، وعظمة قدرة الله تعالى واحدة فى جميع المقدورات فلا معنى لقوله ومما تعظم به القدرة فان قيل مراده تزداد القدرة عظمة بهلاكهم بهذا السبب الدقيق الذى لايدرك بالبصر المسوق بالقدر الذى يستدعى عنده من العاقل الاعجاب قلت هذا يصح لو كانت الأسباب الخفية الدقيقة الكثيرة التى لايحصيها إلا مسببها التى يهلك بها جل وعلا من شاء من عباده كلها محصورة فى هذا السبب الصغير الذى لا يدرك بالبصر أما والأسباب الدقيقة ليست محصورة فيه فلا معنى لتعبيره (ومما تعظم به القدرة) على أن جميع الأسباب دقيقها وجليلها بالنسبة لتأثير قدرة الله جل وعلا واحدة فى عقيدة العقلاء ليس شىء منها تعظم به القدرة وآخر تزداد به عظمة وإحدى الجملتين فى قوله (لايظهر للنظر ولا يدرك بالبصر) حشو ويقال على قوله (حيث ساقه القدر) ان السوق لغة وعادة وعقلا

يفهم منه تسلط السائق على المسوق بما هو على خلاف مراده وعليه فهذا الحيوان الصغير له مراد فى رأيه ولكن ساقه القدر لضد مراده فاذاً هو آلة فى يد القدر لاتأثير له ولا حول ولا طول ويقال له لم لم يسق القدر بعض حلقات هذه السلسلة التى زدتها على كتاب الله تعالى وعلى التاريخ ؟ فقصرك السوق على هذا الحيوان الصغير تحكم لامُبرر له وقد قال فى أول كلامه (وقد بينت لناهذه السورة الكريمة ان ذلك الجدرى او تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله تعالى مع الريح) فاثبت فى هذا الكلام ان هلاكهم كان (بالحصبة أو الجدرى) على التردد وان تلك الحصبة او الجدرى نشأ من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة الفرق العظيمة من الطير الذى ارسله الله تعالى مع الريح فاعترف بان الطير ارسلها الله تعالى مجاراة لنص الآية الشريفة اى ساقها القدر ويقال عليه ايضا اسناده هلاكهم للحيوان الصغير بقوله (ويهلك بحيوان صغير لايظهر الخ) مع اعترافه بعده بان القدر ساقه والمسوق لاتأثير له حقيقى وانما هو آلة خاضعة مسخرة لسلطان القدر لايصح الا على جعل اسناد الهلاك اليه مجازاً أى أنه سبب والمهلك لهم حقيقة هو الله عز وجل ويقال عليه ايضا لاريب عند العاقل ان التعبير باسم التفضيل فى قوله (لاريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر) فاسد سواء كان اسم التفضيل على بابه او على غير بابه . بيان ذلك على بابه : هلاك جيش ابرهة باى سبب من اسباب الهلاك غير هذا الحيوان الصغير كبير وعجيب وبهر وهلاكه بهذا الحيوان الصغير اكبر واعجب وابهر اى اشد كبراً وعجبا وبهراً عند العاقل ، وفساد هذا اظهر لان جميع الاسباب بالنسبة لتأثير قدرة الله تعالى واحدة عند العقلاء ليس فيها كبير واكبر وعجيب واعجب وبهر وابهر ، ولان اسباب الهلاك التى لاتدرك بالبصر او بالحواس لايحصيها الا مسببها كما تقدم . وان كان على غير بابه فمعناه : هلاك جيش ابرهة بهذا الحيوان الصغير كبير وعجيب وبهر وفساد هذا ايضا ظاهر

لان العاقل لا يبهره هذا الهلاك ولا يعده عجباً وكبيرا فى جانب تأثير قدرة الله تعالى الباهرة فى الكائنات .

اعتماد الخضرى على مؤرخى الافرنج

فى قصة جذيمة مع الزباء واتهامه مؤرخى العرب

قال : (ولجذيمة هذا خبر ظريف مع آل أذينة ملوك العرب بشمال الجزيرة ومشارف الشام) ثم ساق قصتهما المسطرة فى تاريخ العرب مختصرة ثم قال بعد الفراغ منها (وهذه الحكاية مع غرابتها ينكر صحتها المؤرخون من الافرنج ويقولون ان الزباء هذه كانت ملكة على تدمر من قبل الرومانيين وليت الملك بعد وفاة زوجها اذينة من بين السميدع الذين سكنوا بلاد العراق وبرارى الشام وحوران وانتهى امر الزباء بان حاربها الرومان فى عهد القيصر اووليانس وقهروها واخذوها أسيرة إلى رومية حيث قضت هناك نحبها وذلك فى المدة بين سنتى ٢٧٠ - ٢٧٣م . وموت جذيمة كان حوالى سنة ٢٦٨م اه) أقول يتلخص كلامه هذا فى إبطال قصة قتل الزباء لجذيمة بحيلة التزوج به لما أتاها فى بلدها وقتل ابن أخته عمرو بن عدى اللخمى إياها بتدبير قصير فى أمرين : غرابتها وإنكار مؤرخى الأفرنج صحتها . أما الأول : فلا يستبعده ويستغربه إلا من غفل عن حوادث الكون العادية وتدبير الملوك وأى غرابة فى كون امرأة كادت رجلا مجاورا لها بإطماعه فى نفسها وملكها فحمله الجشع على الذهاب إليها معتمدا على قوته وخورها الطبيعى متلاشيا أمامه كونها موتورة له غير ملتفت لمن حذره من إتيانها، وأى بعد وغرابة فى كون تلك المرأة قتلت بتدبير رجل من رجال جذيمة عادة . وأما إنكار مؤرخى الأفرنج صحتها فليس هو أولى بالقبول من إثبات مؤرخى العرب لها وليس ادعاؤهم أنها ماتت برومية فى

أسر الروم أولى بالقبول من الإخبار بأنها ماتت بقصرها بتدمر ، وتعيين اسم القيصر الذى ماتت فى زمنه ليس بحجة . وأما تعيين مدة موتها بين سنتى ٢٧٠ - ٢٧٣م وموت جذيمة حوالى سنة ٢٦٨م فهو إلى تأييد مؤرخى العرب أقرب حجة منه إلى إنكار مؤرخى الأفرنج صحتها . وقوله (وليت الملك بعد وفاة زوجها أذينة من بين السميدع الذين سكنوا بلاد العراق وبرارى الشام) فيه شيء وهو أن المعروف فى كتب الأنساب والتاريخ أن أذينة هو ابن السميدع والسميدع لقب لكل من ملك من العمالقة فى تلك الناحية وليس السميدع اسما للقبيلة التى تسكن بلاد العراق وبرارى الشام كما يظهر من كلامه .



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المحاضرة الرابعة

مخالفة الخضرى للقرآن ولما فى الصحاح والتاريخ فى سكنى اسماعيل عليه السلام بمكة قبل جرهم

قال فيها مانصه (كان يلى أمر مكة ولاة من جرهم قحطان وهى جرهم الثانية ، ولما جاء اسماعيل مكة مع أبيـــه إبراهيم صـاهرهم ، وكان لأولاد اسماعيل بعد أبيهم مركـز محترم لما لأبيهم من بناء البيت وإن لم يكن لهم من الحـكم شىء اه) . أقول دل صريح كلامه هـذا على أن جرهما توطنوا مكة قبل إسماعيل وأن إسماعيل جاءهم مع أبيه كبيرا فصاهرهم وهو باطل مخالف لظاهر القرآن وللتاريخ ولما فى الصحيح أما القرآن فان الله تعالى قال عن الخليل ﴿ رب إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ فظاهر دعائه عليه السلام وقوله رب إنى أسكنت من ذريتى الخ يدل على أنه أتى باسماعيل وهو صغير ولو كان كبيرا صاهر جرهما بمجرد وصوله اليهم ما احتاج إلى أن يأتى به أبوه إليهم وما كان لهذا الدعاء كبير فائدة ، وقوله (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) يدل على أنه وجد مكة خالية ليس بها أنيس وإذا لم يكن لقصص التاريخ القرآنية قيمة عند هذا المحاضر مع أنه التاريخ المتواتر المقطوع به الواجب على كل مسلم لبيب أن يعتمد عليه أولا قبل كتب الناس المصنفة فيه ثم بعده التاريخ المنقول فى السنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام فالواجب عليه ذكر مافى كتب التاريخ الاسلامى من شرح هذه القصة طبق ظاهر القرآن وصريح السنة الثابتة ولو كان طلبة الجامعة أجانب فان العلم أمانة ولاسيما علم النقل ولايهدر هذا التراث العظيم بعقله وقد ثبت فى كتب التاريخ المعتبرة أن الخليل عليه السلام لما جاء بهاجر وابنها اسماعيل وهو رضيع إلى مكة وجدها خالية لا أنيس بها فتركهما عند مكان زمزم وولى راجعا إلى الشام فقالت له هاجر إلى من تتركنا بهذه الفلاة ياإبراهيم ؟ فقال لله فقالت له إذاً لايضيعنا ، وقد أجاد وأفاد الإمام البخارى فقد أخرج قصة اسماعيل

عليه السلام فى صحيحه مطولة من طريق ابن عباس وهذا نصها : عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال أول ما اتخذت النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم من أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال ﴿ رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ﴾ حتى بلغ ﴿ يشكرون ﴾ وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادى ورفعت طرف درعها وسعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت يامن قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ماتغرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً ﴾ قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافى الضيعة فان ههنا

بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله تعالى لايضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم اواهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدى فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى ومافيه ماء فأرسلوا جريا او جريين (الجرى الرسول) فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم : قال ابن عباس قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فالفى ذلك ام اسماعيل وهى تحب الانس) فأرسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وآنسهم وأعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ماتزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا وفى رواية ذهب يصيد لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة فقال هل اوصاك بشىء قالت نعم أمرنى ان اقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذلك أبى وقد امرنى ان افارقك الحقى باهلك فطلقها فتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ماشاء الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسأل عنه فقالت خرج يبتغى لنا قال كيف انتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال وماطعامكم قالت اللحم قال وماشرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعالهم فيه قال فهما لايخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه . وفى رواية

فجاء فقال أين اسماعيل فقالت امرأته قد ذهب يصيد وقالت له ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم قال وقال أبو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء قالت نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك فقال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ماشاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبرى نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال فاسمع ماأمرك ربك قال وتعيننى قال وأعينك قال فان الله أمرنى أن أبنى بيتا ههنا وأشار الى أكمة مرتفعة على ماحولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ وفى رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . وقيل إن امرأة اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولته الى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الايسر فبقى أثر قدميه عليه اه) . فثبت بهذا أن الخليل ابراهيم عليه السلام أتى بزوجه هاجر وابنه اسماعيل وهو رضيع من الشام الى مكة وهى خالية لاساكن بها بأمر ربه بسبب غيرة ابنة عمه سـارة من هاجر لما ولدت اسماعيل ولم تلد هى فقالت له لا تساكنى فى بلد فحملهما على البراق الى مكة وأن جرهما جاؤا منتجعين فنزلوا معهما.

فان قيل ما الحامل للخضرى على مخالفة السنة الثابتة والتاريخ وظاهر القرآن إلى رأيه ، قلت اعتقاده أن هذه القصة من المعجزات الكونية وهو وأمثاله ينكرونها بدليل تخبطه فى حادثة الفيل كما تقدم وتقوله على الله فيها مالم يقله بزعمه أنهم ماتوا بالأمراض الثقيلة الحصبة والجدرى وعلى ابن هشام فى سيرته تقليدا لمحمد عبده الذى كان فيها أشد تخبطا وتقولا على الله وعلى أئمة الرواية وأكثر ثرثرة وهذرا منه وقد أطبق كثير من كتاب هذا العصر على إنكار المعجزات وتأويلها بتأويلات فاسدة منابذة للغة العرب التى نزل القرآن بها وقدوتهم محمد عبده ، ومما سمعه العلامة مصطفى صبرى التوقادى معزواً إلى محمد عبده أنه كان يحمل انفلاق البحر لسيدنا موسى ومن معه ثم غرق فرعون وجنوده فيه على الجزر والمد اللذين كثيرا مايقعان فى البحر قال العلامة مصطفى صبرى فى كتابه القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون : (وأبرز مميزات هؤلاء الكتاب والعلماء المتفقين معهم أنهم ينكرون المعجزات الكونية ويعتبرونها من المستحيلات اه) . ويقال على رأى الخضرى هذا لم نقل الخليل هاجر وابنها من الشام إلى مكة ولم نقله كبيراً ولم ينقله وهو صغير وعلى فرض صحة نقله كبيرا كيف تجشم الخليل أرضا شاسعة فى مرافقة رجل كبير يمكنه أن يسافر بأمه بنفسه ولا يحتاج إلى إتعاب شيخ كبير ولم لم يسكنهما ببلدة من بلاد الشام قريبا منـــه وسورية واسعة الأرجاء وكيف تخطى الأرض الواسعة التى بين الشام ومكة ولم يسكنهما بناحية منها وما وجه تخصيص اسكانهما بهذا الوادى الذى لا نبات فيه ولا أنيس ولم لم يسكنهما بالعراق أو اليمن وهما أخصب من الحجاز لاجواب له ولا لأشباهه عن هذه الأسئلة على أن مكث شخص فى فلاة من الارض معه زاد وماء ساعات أو أياما غير بعيد فى العادة .

المحاضرة الخامسة

خطله أيضا فى قصة جرهم واسماعيل ودعواه
أنه أدخل فى العربية من العبرانية ورد ذلك

قال (اللغه العربية إحدى اللغات السامية تكلم بها العرب فى جزيرتهم منذ حلها قحطان رأس قبائل اليمن ويسمون فى التاريخ بالعرب العاربة لاصالتهم فى العربية ومن قبائل اليمن قبيلة جرهم الثانية التى سارت الى مكة واحتلتها قبل أن يردها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فلما جاءها اسماعيل صاهرهم وأقام معهم وكثرت بنوه بمكة وكان اسماعيل رجلا عبرانيا يتكلم باللغة العبرانية وهى الثانية من اللغات السامية وأمه هاجر امرأة مصرية أخذ اسماعيل لغة العرب عن جرهم الذين عاشرهم ولكنه بحكم الضرورة أدخل فى العربية بعض ما يحفظه من الكلمات العبرانية وبعض ما تحفظه أمه من اللغة المصرية بعد أن هذبت بحسب ما يسهل على اللسان العربى وهذا أمر يسهل القول به لأن اسماعيل وأمه لايمكنهما أن ينسيا بالمرة ما فى أنفسهما من الكلمات المحفوظة واذا احتاجا الى التعبير عن معنى لم توضع له كلمة فى لسان جرهم يفزعان الى مامعهما وهذا مشاهد فى تفاعل اللغات المستعملة والمؤرخون يسمون اسماعيل وبنيه بالعرب المستعربة لماكان من دخولهم فى العربية ليس أصلهم منها اه). قوله فى اللغة العربية تكلم بها العرب فى جزيرتهم منذ حلها قحطان رأس قبائل اليمن ويسمون فى التاريخ بالعرب العاربة لأصالتهم فى العربية غير صحيح فان التاريخ لم يسم القحطانيين وحدهم عاربة بل المؤرخون يطلقون اسم العرب العاربة على الأمم البائدة وهم العمالقة وعاد وثمود وطسم وجديس وحضورا وأميم وعلى القحطانيين على القول بأنهم أول من نزل اليمن . وبعض المؤرخين يقسمون العرب الى ثلاثة أقسام : عاربة وهم البائدة ومتعربة وهم القحطانيون لأن أباهم قحطان بن عابر عاصر تلك الأمم البائدة فتعلم العربية منهم، ومستعربة وهم

اسماعيل عليه السلام وذريته ، وبعضهم كابن خلدون قسمهم الى قسمين عاربة ومستعربة فجعل العاربة هى البائدة وجعل المستعربة ثلاثة أقسام القحطانيين وقضاعة والعدنانيين هــذا كله على أن العرب الباقية قسمان قحطانيون وهم اليمانيون وعدنانيون وهم الاسماعيليون . وأما على قول بعض النسابين إن القحطانيين عرب اليمن من ذرية اسماعيل فالباقية كلهم مستعربة وقد قال الله تعالى لقوم عاد ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾وقال فى ثمود ﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ وهم باتفاق المؤرخين من العرب العاربة فهذه البعدية تدل على انهم سكنوا الجزيرة العربية وتكلموا باللغة العربية قبل القحطانيين وبهذا ظهر ما فى كلامه من الخلل . وقوله ومن قبائل اليمن قبيلة جرهم الثانية التى سارت الى مكة واحتلتها قبل أن يردها اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فلما جاءها اسماعيل صاهرهم وأقام معهم قدتقدم إبطاله باسباب قرآنا وسنة وتاريخاً بأن اسماعيل جاء مع أمه وهو رضيع أنزلهما ابراهيم بها وهى خالية لاأنيس بها بأمر ربه وان جرهما هم الواردون عليها بعدهما. وقوله وكان اسماعيل رجلا عبرانيا يتكلم باللغة العبرانية باطل بل هو عربى محض من ناحية اللغة لأنه جاء مكة وهو رضيع فلا معرفة له باللغة العبرانية الا بطريق المعجزة ، وعلى فرض صحة هذيانه وانه جاء مكة وهو كبير فيتكلم باللغة العبرانية مع من من الناس؟مع أمه التى لغتها مصرية مخالفة للغته أم مع جرهم العرب الخلص والسنة الكونية المشاهدة الملموسة الآن ومن قبل أن الرجل بل الأفراد من الرجال إذا نزحوا من وطنهم إلى وطن آخر اندرجوا واندمجوا فى الوطن الذى نزحوا اليه لغة وعادة وأخلاقاً ويمكن محافظة الجماعة اذا نزحوا لغير وطنهم على لغتهم يتكلمون بهـا فيما بينهم فقط ولا يمكنهم ادخال بعض الكلمات من لغتهم فى لغة ذلك الوطن . أما الفرد الواحد المتوطن غير وطنه فلا يعقل تكلمه بلغته كما لايعقل ادخاله فى لغتهم من لغته وكذلك يقال فى أمه هاجر وعلى هذا فقوله (ولكنه بحكم الضرورة

أدخل فى اللغة العربية بعض مايحفظه من الكلمات العبرانية وبعض ماتحفظه أمه من اللغة المصرية بعد أن هذبت بحسب ما يسهل على اللسان العربى وهذا أمر يسهل القول به لأن اسماعيل وأمه لايمكنهما أن ينسيا بالمرة مافى أنفسهما من الكلمات المحفوظة واذا احتاجا الى التعبير عن معنى لم توضع له كلمة فى لسان جرهم يفزعان الى مامعهما وهذا مشاهد فى تفاعل اللغات المستعملة) هذيان أشد بطلانا من سابقه فأى ضرورة حملته على ادخال بعض الكلمات من اللغة العبرانية التى هى فى الدرجة الثانية من اللغات السامية باعترافه فى اللغة العربية التى هى أغنى لغات العالم وأوسعها وأغزرها مادة ولا حاجة بنا الى تحليل باقى كلامه لأنه بدهى البطلان ولو سئل حضرته عن هذه الثرثرة الطويلة وقيل له أفدنا ببعض الكلمات التى أدخلها هذا النبى العظيم من اللغة العبرانية فى اللغة العربية لغص بريقه ولكن ثرثرة الكلام ليس عليها ضريبة والمحاضر لايسئل عليه أن يهذر بما شاء وعلى الطلبة الاصغاء. وقوله (والمؤرخون يسمون اسماعيل وبنيه بالعرب المستعربة لما كان الخ) المؤرخون غير متفقين على هذه التسمية كما دل كلامه بل بعضهم كابن خلدون سماهم بذلك وبعضهم كالحافظ ابن الأثير فى كامله سماهم بالمتعربة قال فى صفحة ٤١ من الجزء الأول فى اسماعيل وأولاده (فهم العرب المتعربة) وعلى كل حال الاسماعيليون عرب خلص ولغتهم أفصح اللغات وبها نزل كتاب الله تعالى فالتسمية مجرد اصطلاح للمؤرخين سواء سموا بالمتعربة أو المستعربة لامشاحة فى ذلك .

المحاضرة السادسة

قال فيها مانصه (أما سائر العرب فكانت بعد اسماعيل على دين ابراهيم تعبد الله وتوحده إلا أن اسماعيل عليه السلام بنى الكعبة وجعلها مطافا يحجها أولاده اه) قوله إلا أن اسماعيل بنى الكعبة غلط فاحش ، الذى بنى الكعبة هو أبوه ابراهيم عليه السلام بأمر الله تعالى له واسماعيل كان مساعدا له وهذا فى التاريخ أشهر من نار على علم والقرآن قد صرح به قال الله تبارك وتعالى ﴿ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ﴾ فلا أدرى لم ترك هذا المحاضر التاريخ المقطوع به وركب هواه ، وقوله وجعلها مطافا يحجها أولاده أفحش منه فان اسماعيل عليه السلام لم يجعلها فضلا عن كونه خص أولاده بالمطاف بها بل الله تعالى هو الذى جعلها مطافا لجميع عباده المسلمين والقرآن قد صرح بهذا أيضا فى آيات كثيرة قال تعالى ﴿ واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ وقال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ وقال تعالى : ﴿ واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ وأمر تعالى ابراهيم عليه السلام بأن يعلم الناس بأن الله تعالى بنى لهم بيتا ليحجوه فقال ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ وقال تعالى ﴿ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ فان كان حضرة المحاضر يلقى على طلبة الجامعة التاريخ الاسلامى فهذا التاريخ الاسلامى فكان الواجب عليه أن لا يترك التاريخ المقطوع به ويذهب يتسكع

فى مهامه هواه . وفيها أيضا خلط فى ذى الخلصة فقال : (ومنها ذو الخلصة وكانت مروة بيضاء منقوشا عليها كهيئة التاج وكان له بيت بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب اه)فقوله وكان بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة أقرب خطأ والصواب وكان بتبالة بين مكة واليمن . وفيها أيضا قال فى هبل : (وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة) وهو غير صحيح بل أول من أتى به من الشام ونصبه للعبادة عمرو بن لحى الخزاعى كما فى سيرة ابن هشام وقوله (كانت العرب تعظم هذه التماثيل وهذه الاحجار لا لاعتقاد أنها آلهة وإنما لتقربهم الى الله سبحانه كما قال فى الكتاب (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾مردود بقوله تعالى ﴿ تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين﴾وبقوله تعالى أيضا:﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾

المحاضرة السابعة

عدم وثوق الخضرى بمؤرخى الاسلام ووثوقه بالاجانب
فى قصة بحيرا الراهب

قال فيها فى صفحة ٦٢ فى قصة بحيرا الراهب مانصه : وقد أطبق على هذه الحادثة جميع المؤرخين وقد نقبنا كثيرا عن اسم هذا الراهب فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى والمشهورين من رجال الدين فيهما فلم نجده اه.

أقول كلامه هذا مردود من ثلاثة أوجه : الاول لاثقة بكل ماينقله الأجانب ممايتعلق بتاريخنا نفيا واثباتا . . الثانى تنقيبه الكثير فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى على فرض صحته لايدل على عدم وجوده فيها أو فى غيرها من كتبهم . الثالث عدم وجدان حضرته لها ليس حجة لأنه عدم محض وعدم الدليل ليس بدليل عند جميع العقلاء فلو وجدانكارها فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى من الاجانب ماساغ لعاقل ان يدفع به إطباق مؤرخى الاسلام على اثباتها فدفعها بالعدم المحض لايسوغ من باب أولى فتحقق من كلامه هذا ان قصة بحيرا الراهب لاصحة لها عنده وان أطبق مؤرخو الاسلام على اثباتها لأنه لم يجدها فى كتب من عنوا بذكر أساقفة الشام وبصرى من الأجانب وعدم وجدانه لها فى كتبهم دليل على عدم صحتها عنده فلو كان معتقدا صحة ماأطبق عليه مؤرخو الاسلام من اثبات قصة بحيرا مااحتاج الى التنقيب الكثير عنها فى كتب الاجانب فتنقيبه الكثير عن اسم بحيرا فى كتبهم دليل على عدم وثوقه بمؤرخى الاسلام فان قيل ماالحامل للخضرى على ثقته بالأجانب وعدم ثقته بمؤرخى الاسلام فى هذه القصة فالجواب كونها مشتملة على كثير من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم التى شاهدها بحيرا بنفسه كرؤيته له وهو فى صومعته مظللا بغمامة من بين القوم وتظليلها للشجرة التى نزل القوم تحتها وتهصر أغصان

الشجرة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده وغير ذلك وحضرته قد اطبق مع كثير من أهل العصر على انكار المعجزات ودلائل النبوة ومن أجل ذلك تخبطهو ومقلده محمد عبده فى حادثة الفيل مخالفاً صريح القرآن فى بيانها وحيث إن قصة بحيرا هذه فيها ماذكرنا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم والمحاضر وأضرابه قد أطبقوا على انكار الدلائل والمعجزات فقد اندرجت عنده فى جملة ماانكروه وانكار المعجزات تصريح بتكذيب أئمة الرواية الذين نقلوها لنا طبقة طبقة قطعا وتصريح بتكذيب الانبياء وتعجيز للقدرة الآلهية بل التكذيب بالقرآن كله لأنه من جملة المعجزات وانكار الاحاديث النبوية تكذيب لجميع رواتها العدول واهدار لشطر الشريعة وبيان القرآن وتكذيب لمبينها الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) والكتاب العصريون البارزون مطبقون على انكار المعجزات وتأويلهم القرآن بتأويل فاسدة نائية عن لغة العرب.

انكار جماعة دلائل نبوة الأنبياء ومعجزاتهم

والاحاديث النبوية وتأويلهم للقرآن بالتأويل الفاسد

ذكر العلامة مصطفى صبرى فى كتابه « القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون » عددا منهم قال فى مقدمة كتابه المذكور مانصه : (فنحن إن تغاضينا عن صعود الخطر الى مسأله وجود الله تعالى كفتنا الفتنة الناجمة فى مسألتى انكار المعجزة وإقام العبقرية مقام النبوة ، شراً حيث تسبب هذه الفتنة انهيار عقيدة كون القرآن كلام الله واحاديث سيدنا محمد أحاديث رسول الله ، ويلائمه كل الملاءمة ان العصريين من علما. الدين مثل الشيخ شلتوت وكيل كلية الشريعة وعضو هيئة كبار العلماء فضلا عن الدكاترة والاساتذة من الكتاب مثل الدكتور هيكل باشا مؤلف كتاب (حياة محمد) نراهم يستسهلون على انفسهم المخالفة لمرويات كتب الحديث فيما لا يوافق أهواءهم طعناً فى ثبوت تلك

الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة أن أهل النقد من علماء الحديث وجدوا فيها أحاديث موضوعة، فيرتقى العصريون من غير علماء الحديث بهذه المرتبة من النقد الخاص لبعض الاحاديث إلى الطعن فى جملتها باحتمال الكذب فى الاسناد حتى أصبحت السنة من بين الادلة الشرعية ملغاة عندهم ساقطة عن حيز الاعتداد والاعتماد ولم يبالوا باحتمال الصدق القائم الغالب فى غير ماتكلم فيه علماء الحديث الاخصائيون بالتعليل، بل فيما صرحوا فيه بالتصحيح أيضاً وأصل مُنشأ الجرأة على التوسع فى تكذيب الرواة الى حد ان لايبالى بما يتضمن هذا التوسع من تكذيب الاحاديث الصحيحة ايضاً الثابتة عند علماء الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيصعد الامر من تكذيب الرواة الى تكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، كونُ النبوة عندهم عبقرية لا رسالة حقيقية من الله، فيكون سهلا عندهم على الرواة القدماء أن يسندوا اليه مالم يقله، ويكون سهلا على العصريين ان لايصدقوه فيما قاله أيضاً، هذا حال الحديث وطريق رفضه، ثم يجيء دور القرآن، ويكون طريقهم الى رفضه استعمال الجرأة ايضا إن لم يكن فى تكذيب رواته ففى تأويل معناه لاعبين بعقول القراء الغافلين، وغير مبالين بما يتعدون فى تأويلاتهم عن حدود مراد القرآن فلو نظروا اليه نظرهم إلى كلام الله لالتزموا بعض التحوط وخشوا بعض الخشية ان يكونوا مخطئين فى التأويل، لكن مبدأ التحول العصرى من النبوة الى العبقرية يحل جميع هذه المشكلات ويفتح أمام المؤول أوسع باب.

مثلا: ان الايات الدالة على رفع عيسى عليه السلام كنا ولا نزال نفهم منها رفعه حيا كما فهمه جميع السلف من المفسرين، حتى جاء الشيخ شلتوت فادعى ان المراد رفع روحه، فهل هو الذى اصاب فى تفسيره حين كان الجميع متفقين على الخطأ، كلا بل انه هو المخطىء كما يأتى بيانه فى محله لكن عقيدة انكار المعجزة ومبدأ التحول العصرى من النبوة إلى العبقرية يصغران أمثال هذه الخطايا فى عيون مقترفيها، واجرأ نماذج التأويل فى القرآن بعد ماسبق للأستاذ فريد وجدى من رد آيات المعجزات وآيات البعث بعد الموت

التى تملأ كتاب الله الى المتشابهات غير المفهومة ، مادعاه الشيخ شلتوت منكرا لوجود الشيطان كما صوره القرآن شخصا يرى ويسمع ، ويقول ويجادل ، ويتكبر فيؤمر بالسجدة لآدم ويعصى الله ويعد ويمنى وينسل ويعيش الى يوم الوقت المعلوم ، ثم يعذب فى نار جهنم مع الذين اتبعوه ، من أن القرآن جارى عقيدة العرب الجاهليين فى تصوير الشيطان وهذا قلب دلالة القرآن ومرتبته مع مرتبة العرب فى المتبوعية والتابعية رأساً على عقب . والواقع أن الشيخ نفسه حريص على مجاراة الكتاب العصريين فى انكار الامور الغيبية مثل المعجزات وغيرها بدلا من مجاراة القرآن عقيدة العرب . ويقرب منه فى البعد عن مراد القرآن تأويل انفلاق البحر لموسى ومن معه حتى اجتازوه وغرق فرعون وجنوده بالجزر والمد البحريين ، وقد عزى هذا التأويل إلى الشيخ محمد عبده الذى يفهم أن بدعة انكار المعجزات فى صورة تأويلها مأثورة للكتاب العصريين من زمانه ، بل رد النبوة إلى العبقرية وقد راجت (موضته) أخيراً بين الكتاب هو الذى عبد طريقه بمصر حيث عرف النبي والرسول فى تعليقاته على شرح الجلال الدوانى للعقائدالعضدية بغير ما هو معروف عند علماء الاسلام فى تعريفهما وسيأتى الكلام منا على كل من المسألتين إن شاء الله تعالى ، ومثله تفسير الشيخ رشيد رضا صاحب (مجلة المنار) قوله تعالى « وانشق القمر » بقوله « ظهر الحق » وتفسير الشيخ شلتوت لآيات رفع المسيح عليه السلام برفع روحه ، وقوله فى نزوله المعدود من أشراط الساعة والمشار إليه فى آيتين من القرآن : « انه لامحل له بعد سقوط رفعه حياً » .

والشيخان لا يعتدان بعد الآيات بالأحاديث الواردة فيما أنكراه مهما كثرت حتى إن أحاديث نزول عيسى تبلغ سبعين حديثاً على مانقله صديقنا العلامة الشيخ زاهد فى رده على الشيخ شلتوت من كتاب « التصريح بما تواتر فى نزول المسيح » للمحدث الكشميرى لكن المنكر لا يلتفت إليها بحجة أنها أخبار آحاد . سبعون حديثاً مروياً عن الرسول صل الله تعالى وسلم بألسنة رواة مختلفين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لا بد

أن تكون لها قيمتها التى لا يكفى لإسقاطها التعلل بأنها أخبار آحاد ، فلو أتى بمثلها سنداً لصحة خبر من الأخبار الواردة فى كتب التاريخ لكفى فى إفادة اليقين وزاد على الكفاية ، فان كفى هناك لكونها رواية تاريخية ولم يكف هنا لكونه رواية المسلمين عن نبيهم ، فما أسوأ هذه السمعة سمعة المؤلفين المسلمين عندالمؤلفين المسلمين ؟ وبئست التهمة شبهة الكذب ، نعم ان المؤلفين المسلمين مهما عظم شأنهم فلا ثقة بأمانة السلف منهم عندالخلف العصريين ، حتى إن الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصح منها على تقدير مؤلف «حياة محمد» إلا واحد فى كل مائة وخمسين حديثاً كما سيجىء ذلك أيضاً .

فعلى هذا لا يوزن الأحاديث السبعين الواردة فى نزول عيسى إلا أقل من نصف قيمة حديث واحد صحيح . ثم أن رواة تلك الأحاديث لا مصلحة لهم فى اختلاقها لأن رفع عيسى عليه السلام ونزوله مما لا يعنى الرواة المسلمين الذين اتهمهم مؤلف «حياة محمد» فى الأحاديث الدالة على معجزات نبيهم الكونية بالمحاباة الدينية . فلوكانوا اختلقوا هذه الأحاديث السبعين لزم أن يكون ذلك منهم تأييداً لآيات القرآن التى فهموا منها رفع عيسى ونزوله مع عدم المصلحة فى هذا الفهم أيضاً . أما احتمال كون علماء الإسلام الماضين غالطين جميعاً فى فهم آيات القرآن بشأن عيسى ، وكاذبين فى رواية الأحاديث تأييداً لهذا الغلط فهو غاية فى سوء الظن بهم من ناحيتى الدراية والرواية ناشئة من ضعف صاحب الظن فى هذه النواحى ، وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه . وسيجىء منا مزيد شرح لكون الغلط فى فهم الشيخ شلتوت لآيات الرفع والنزول .

الحاصل ان العصريين من علماء الدين والدنيا المتعمدين لانكار الأمور الغيبية مثل المعجزات وغيرها ذهبوا فى تفسير آيات القرآن وتقويم أحاديث نبينا مذهباً يكاد يكون ملعباً ، فلا ينفعهم فى تصحيح باطلهم قول الله ولا قول رسول الله على أن الله ورسوله أيضاً من الأمور الغيبية . فاذا لم تقم آيات البعث بعد الموت فى كتاب الله

حجة على وقوعه عند الأستاذ فريد وجدى ، وآيات الشيطان على وجوده عند الشيخ شلتوت كشخص حى عاقل ، ولا السبعون حديثاً على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فأى قول الله والرسول ينفع فى إثبات أى مطلب أو قطع أى نزاع ، وأصل المسألة ان للمتعالمين العصريين من الكتاب عقيدة راسخة أرسخها فى أذهانهم العلم الحديث المادى الذى يؤمنون به فوق إيمانهم بكتاب الله وسنة رسوله وهى إنكار الأمور الغيبية مثل المعجزات والنبوة بمعناهما المعروف عند المليين فلو لم تكن فيهم هذه العقيدة ونظروا إلى قول الله ورسوله نظر المحايد غير المقيد بعقيدة مانعة عن قبول مايخالفها لأمكننا وقفهم فى حدود قول الله ورسوله . فواجب علماء الدين اليوم غير المتفقين مع الكتاب المذكورين مكافحة عقيدتهم المانعة عن الايمان بالأمور الغيبية مكافحة علمية تبين ما فى العلم الذى بنوا عقيدتهم عليه من الجهل . وفى زماننا طائفة من علماء الدين لم ير الدين خيراً منهم تهيبوا مكافحة تلك العقيدة المانعة عن تصديق الأمور الغيبية مثل المعجزة والنبوة وغيرهما ولم يتهيبوا مكافحة نصوص الكتاب والسنة بتكذيب الثانية وتأويل الأولى بما يحرف الكلم عن مواضعه اه .

وقريب من كلام الخضرى هذا فى ثقته بالأجانب وعدم ثقته بعلماء الاسلام . فتوى فى مجلة المنار .

تأييد صاحب المنار اباطيل جهلة المؤرخين

فى عثمان رضى الله تعالى عنه

واعتذاره للقراء فى نشر رد شبلى النعمانى على جرجى زيدان

ففى صفحة ٢١ من فتاوى الجزء الأول من المجلد الخامس عشر من مجلة المنار سؤال مضمونه اطلاع سائل المنار على كتاب لأحد علماء فاس انتقد فيه صاحبه ما جاء فى مقدمة شرح نهج البلاغة صفحة ٤ من طبعة الحلبى الجديدة . من نقله مذهب البغاة والخوارج ومقالة أبى القاسم البلخى فى عبد الله بن الزبير فى الصفحة نفسها وانتقد أيضاً ما نقله الأبى فى شرح

مسلم عن بعض المؤرخين الأشياء التى نقمت على عثمان رضى الله تعالى عنه مستنداً فى نقده على ما قاله العلامة السنوسى صاحب العقائد فى اختصاره لشرح الأبى ، انه لايحل للأبى أن يفوه بهذا الكلام فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ولا أن يكتبه وحمل على الأبى إلى أن قال والواجب على من نسخ تأليفه هذا أن لا يكتب فيه هذا المحل ومن اطلع عليه فلا يحل له أن يفوه به ولا أن يعتقد صدقه اه . فحمل سائل المنار على المغربيين السنوسى والفاسى حملة شعواء ، وشرح سؤاله : بهل يسوغ حظر النظر فى كلام النقلة وهل يسوغ حذف كلام العلماء من التآليف وعدم التفوه به وهل وهل إلى أن قال وهل هذا يؤيد ما يرمى به القطر المغربى من التعصب الذى سبب له ما سبب مما حاق به ويحيق وطلب من صاحب المنار أن يشرح له هذه المسالة فأجاب صاحب المنار مؤيداً للسائل جميع ما شرحه فى سؤاله وزاد : أن السنوسى مخطىء فى تحريمه التفوه بما قاله أهل السير فى عثمان رضى الله تعالى عنه وكتابته وفى إيجابه على من نقل كتابا فيه شىء من ذلك أن يحذفه وقال لا يسوغ حذف كلام العلماء من التآليف ثم ناقض حضرته نفسه .

فى صفحة ٥٨ و ٥٩ من الجزء نفسه والمجلد لما شرع ينشر تأليف صديقه العالم المؤرخ شبلى النعمانى مؤسس ندوة العلماء بلكنو (الهند) فى رده على تاريخ التمدن الاسلامى لصديقه وزميله صاحب مجلة الهلال جرجى زيدان فقال فى تمهيد قدمه على ذكر رد صاحبه المسلم الغيور النعمانى على صاحبه النصرانى جرجى زيدان ما نصه : ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف بادرنا إلى نشره معتذرين عما فى أوله من شدة الحكم ووددنا لو لم يصرح به وإن أثبته ولولا انه طبعه لحذفناه منه اه. ثم سرد مقدمة النعمانى وشدة الحكم التى زعمها فى كلام النعمانى المحق وود أنه لم يصرح باسم صديقه المبطل جرجى زيدان أو إسم كتابه ولولا أنه طبع فى غير مناره وشاع وذاع لحذفها منه هى (ان جرجى زيدان خائن فى النقل محرف لكلام العلماء يجعل الحادثة الجزئية كليه عامة

يتعمد الكذب بما يفوق الحد) هذا الكلام الحق المطابق للواقع المدافع به عن تاريخ الاسلام باطل مناوئه مشوه حقائقه جرجى زيدان هو شدة الحكم عند حضرته التى اعتذر لقرائه من ذكرها وأباحت له حذف مقدمة الرد برمتها لولا انه طبع وشاع : فمنزلة ذى النورين أمير المؤمنين وثالث الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه عنده أو عبد الله بن الزبير أو أى سيد من سادات هذه الأمة الذين نصبوا رواقها على المعمورة لا تبيح لأى إنسان كان حذف نباح الأشرار وأباطيل أهل الأهواء والسفلة والأغمار على كواكب أعراضهم الحصينة وحصون جبالهم المتينة ، ومنزلة زميله وصديقه النصرانى عنده تبيح له حذف كلام صديقه المسلم فى رد باطله وكشف حاله لاخوانه المسلمين الذين لا يعلمون غشه ودخيلة أمره فبخ بخ لهذه الفتوى التى تداس فيها كرامة رجال الاسلام ويحافظ فيها على كرامة الزميل المناوىء لهم هكذا تكون الفتاوى والأجوبة تطبق على حسب الظروف والأحوال .

المحاضرة الثامنة

تقصيره فى اقسام الوحى التى تلقاها المبعوث رحمة للعالمين وتدليسه

قال (البعثة) الذين يختارهم الله لاصلاح الأمم يلقى اليهم ما يريد أن يبلغوه عنه بالوحى والوحى فى لغة العرب أعلام مع خفاء وسرعة ومعنى السرعة أن هذه المعلومات المتلقاة لا تكون نتيجة لمقدمات تبنى عليها تلك النتيجة بل هى من أشبه شىء بالعلم الضرورى الذى لا يتوقف على نظر واستدلال وقد استعملت هذه الكلمة فى القرآن فى لسان العرب لغير أعلام الله لأنبيائه فقال تعالى ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ﴾ وقال ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ وقال مخبرا عن يوسف فى صغره ﴿ وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ وكل هذا لا يعدو معنى الالهام الذى ربما شعر به كثير من الناس . أما إعلام الله تعالى أنبياءه المختارين فان العبارة العلمية تضيق عن تحديد كنهه وغاية مايمكن الانسان هو أن يحوم حوله مستعيناً بما قاله الأنبياء أنفسهم فيما نزل على ألسنتهم ليقتطف منها مايقرب ذلك الى العقل الانسانى . هـذا الاعلام له مراتب : الأولى أن يخاطب فى النوم وتلك هى الرؤيا الصادقة وقد ورد ذكرها كثيرا فى التوراة وكتابات الرسل وتعبر التوراة عنها بمثل قولها صار كلام الرب الى ابرام فى الرؤيا قائلا الخ ، ويعبر عنها القرآن بمثل قوله عن لسان ابراهيم صلوات الله عليه مخاطبا لابنه الذبيح ﴿ يا بنى إنى أرى فى المنام انى أذبحك ﴾ ومن هنا يقول محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (رؤيا الأنبياء حق)(ونحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا) المرتبة الثانية أن يلقى مايراد القاؤه على قلبه من غير وساطة وهو يقظان وذلك هو المسمى بالإلها والالقاء فى الروع ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة التي تحدث بالخير وتلقيه في النفس ملكا على العكس من

القوة التى تحدث بالشر وتلقيـــه فى النفس فانه يسميها شيطانا ولفلاسفة المسلمين غرائب فى كلامهم عن الملائكة والشياطين وقد يستروحون بقوله تعالى فى الكتاب ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ . المرتبة الثالثة ان يرسل الله تعالى اليه رسولا يخبره بما يريد أعلامه إياه وهو المسمى بالملك فيحدثه ويصف القرآن هذا الرسول بقوله ﴿ انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ ويظهر هذا الملك للانبياء فى التوراة كثيرا . المرتبة الرابعة ان يسمعه الله تعالى كلامه مباشرة كما حصل لموسى عليه السلام حينما سمع الصوت من العقلية المتقدة كما عبرت التوراة وقال القرآن عن هـــذه الحادثة ﴿ وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ﴾ هذه هى المراتب التى عرف ان الوحى يبلغ قلوب الانبياء عليها ولا تكاد تتباعد باعتبار نتيجتها وهى ركوز المعانى فى القلب بحيث يعلم المخاطب علماً ضرورياً ان ذلك من الله اه أقول ماعـرف المحاضر الرسول على مقتضى ماعرفه به علماء الاسلام ولا بين كون بعثة الانبياء عليهم السلام جائزة كما هو مذهب أهل السنة والجماعة لا واجبة كما قاله المعتزلة بل أتى بعبارة مجملة محتملة للمذهبين فقال (الذين يختارهم الله لاصلاح الأمم يلقى اليهم مايريد ان يبلغوه عنه بالوحى) وقوله (ومعنى السرعة أن هذه المعـــلومات المتلقاة لاتكون نتيجة لمقدمات تنبنى عليهـا تلك النتيجة بل هى أشبه شىء بالعلم الضرورى الذى لايتوقف على نظر واستدلال) غير صحيح فان نزول الوحى عليه عليـه السلام تقدمه تسليم الأحجار والاشجار عليه عليه الصلاة والسلام فقد ذكر ابن سحاق فى سيرته انه عليه الصلاة والسلام لما أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج لحاجته ابعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى إلى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام

عليك يارسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة فمكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ماشاء الله تعالى ان يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان اه . قال الامام السهيل فى روضه وفى صحيح مسلم ومصنف الترمذى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل على) وفى بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يسلم عليه هو الحجر الاسود وهذا التسليم الاظهر فيه أن يكون حقيقة وان يكون الله أنطقه انطاقاً كما خلق الحنين فى الجذع ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف الحياة والعلم والارادة لأنه صوت كسائر الاصوات والصوت عرض فى قول الاكثرين ولم يخالف فيه إلا النظام فانه زعم أنه جسم ، وجعله الاشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض . وقال أبو بكر بن الطيب ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم . أى ذلك كان أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم فيكون الحجر به مؤمنا أو كان صوتا مجرداً غير مقترن بحياة وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة ، وأما حنين الجذع فقد سمى حنيناً وحقيقة الحنين تقتضى شرط الحياة وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن ويعمرونها فيكون مجازا من باب قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ والأول اظهر وان كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته عليه السلام غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين إلا ماتحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته اه .

فان قيل مانقل عن ابن اسحاق والسهيلى هو من الرواية والتاريخ الثابت عند جميع المسلمين بل لبه فلم أعرض عنه المحاضر وزعم ان نزول الوحى

على الرسول لم يتقدمه شيء فالجواب ان هذا تاريخ متضمن أعلام نبوته ومعجزاته عليه السلام والمحاضر واضرابه لايؤمنون بها بل ينكرونها أشد الانكار وقد تقدم تقرير هذا فى قصة بحيرا الراهب ثم قال السهيلى فى روضه فصل وذكر (أى ابن هشام فى سيرته) نزول جبريل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى الحديث فأتانى وأنا نائم وقال فى آخره فهبت من نومى فكانما كتبت فى قلبى كتاباً وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها بل فى حديث عروة عن عائشة مايدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان فى اليقظة لأنها قالت فى أول الحديث. أول مابدىء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب الله اليه الخلاء الى قوله حتى جاءه الحق وهو بغار حراء. فجاءه جبريل فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقا به لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف اه .

تحقيق انواع الوحى

إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للامام السهيلى

وقد حقق فى روضه أنواع الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن تحقيق قال مانصه :

١ ـ فمنها النوم كما فى حديث ابن اسحق وكما قالت عائشة أيضا أول مابدىء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصادقة وقد قال ابراهيم عليه السلام ﴿ إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ فقال له ابنه ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ فدل على أن الوحى كان يأتيهم فى المنام كما يأتيهم فى اليقظة .

٢ - ومنها أن ينفث فى روعه الكلام نفثاً كما قال عليه الصلاة والسلام إن روح القدس نفث فى رُوعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب . وقال مجاهد وأكثر المفسرين فى قوله سبحانه ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ﴾ قال هو أن ينفث فى روعه بالوحى .

٣ - ومنها أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع والقن لما يلقى .

٤ - ومنها أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة ويروى أن دحية كان إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر اليه لفرط جماله وقال ابن سلام فى قوله تعالى ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً ﴾ قال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية لجماله .

٥ - ومنها أن يتراءى له جبريل فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت .

٦ - ومنها أن يكلمه الله تعالى من وراء حجاب . إما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الاسراء ، وإما فى النوم كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى : (قال أتانى ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدرى فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثندُوَتىّ فتجلى لى علم كل شىء وقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت فى الكفارات فقال : وما هن فقلت الوضوء عند الكريهات. ونقل الأقدام إلى الحسنات. وانتظار الصلوات بعد الصلوات. فمن فعل ذلك عاش حميداً ومات حميداً وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث .)

فهذه ستة أحوال فى كيفية نزول الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع . وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية اه .

قلت وبتحقيق هذا الامام لمراتب الوحى ظهر تقصير الخضرى فيها

وبطلان حصره لها فى أربع مراتب الذى دل عليه كلامه بقوله . (هذه هى المراتب التى عرف أن الوحى يبلغ قلوب الأنبياء عليها) كما ظهر بعد هذا بنحو نصف صفحة إعجابه بكلامه الأجوف وازدراؤه لابن خلدون بقوله : (وقد عقد العلامة ابن خلدون فصلا تكلم فيه على الوحى والرؤيا ولكن قلما يظفر الانسان منه بطائل) كأنه أتى بطائل وحقق الوحى والرؤيا بما لم يحققه الأولون والآخرون . مع أن ابن خلدون حقق ذلك ببيان خير من كلامه .

وقوله : وقد استعملت هذه الكلمة (يعنى الوحى) فى القرآن وفى لسان العرب لغير إعلام الله لأنبيائه ، فقال تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ﴾ وقال : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ وقال مخبراً عن يوسف فى صغره ﴿ وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ (وكل هذا لا يعدو معنى الإلهام الذى ربما شعر به كثير من الناس) صحيح ، ولكن ليس معنى هذه الكلمة مقصوراً على الإعلام الخفى والالهام كما يشعر به كلامه، بل استعملت فى لغة العرب حقيقة فى معان كثيرة قال المجد الفيروز آبادى فى قاموسه : الوحى الاشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفى وكل ما ألقيته إلى غيرك والصوت يكون فى الناس وغيرهم، وأوحى إليه بعثه وألهمه ونفسه وقع فيها خوف. وقال تلميذه الحافظ بن حجر العسقلانى: الوحى لغة الإعلام فى خفاء والكتابة والمكتوب والبعث والالهام والأمر والايماء والاشارة والتصويت شيئاً بعد شىء اه .

وقوله فى الثلاث الآيات (وكل هذا لا يعدو معنى الإلهام) صحيح فى آية ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ وفى آية ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ غير صحيح فى قوله تعالى ﴿ وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا ﴾ فان الراجح

فى الوحى فى هذه الآية وحى النبوة والرسالة ، عزاه محى السنة البغوى فى تفسيره للأكثرين من المفسرين ، وكذلك الخازن وزاد ، وللمحققين والرازى للمحققين أيضاً والقرطبي إنه الأظهر .

وقوله ﴿ مخبراً عن يوسف فى صغره ﴾ دعوى غير متعينة . فان للمفسرين قولين فى سن بعثته عليه السلام فقيل كان بالغاً ، ويرجحه مراودة امرأة العزيز له ، وتغليق الأبواب ، وقوله لها : ﴿ معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ والمسابقة إلى الباب ، وقولها لبعلها : ﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ﴾ وقوله عليه السلام ﴿ هى راودتنى عن نفسى ﴾ ، وقول العزيز لما ظهرت له الحقيقة : ﴿ يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ .

فالمتبادر من هذه الظواهر أنه عليه السلام كان بالغاً ، وإن جاز صدورها من الصبي المميز. وقيل كان صغيراً . وعليه فبعثة الصغير جائزة عقلا . وقد بعث الله يحي وعيسى بن مريم عليهما السلام وهما صغيران . قال الله تعالى فى يحي عليه السلام ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ وفى عيسى عليه السلام ﴿ قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركا أينما كنت ﴾

فان قيل : كيف بعث الله يوسف صغيراً وما فائدة هذا الوحى إليه فيه ولم يكن إذ ذاك أحد يبلغه رسالة ربه ، لأن فائدة الرسالة تبليغها إلى من أرسل إليه ؟ !

فالجواب : لا يمتنع أن يشرفه الله بالوحى ويكرمه بالرسالة فى ذلك الوقت، ثم يأمره بتبليغها فى وقت الحاجة إليها . وفائدة تقديم الوحى إليه فى صغره : تأنيسه وتسكين نفسه وإزالة الغم والوحشة عن قلبه .

وفى قوله تعالى ﴿ لتنبئنهم بأمرهم هذا ﴾ وجهان : أحدهما . انه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا ، فعلى هذا يكون الوحى إليه بعد إلقائه فى الجب تقوية لقلبه وتبشيراً له بالسلامة .

الثانى : انه أوحى إليه بالذى يصنعون به فعلى هذا الوحى إليه كان قبل إلقائه فى الجب إنذاراً له . وقوله تعـــالى ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يعنى : بايحائنا إليك وأنت فى البئر بأنك ستخبرهم بصنيعهم هذا . والفائدة فى إخفاء ذلك الوحى عنهم : انهم إذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له . وقيـل إن الله تعالى أوحى إلى يوسف لتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا بعـد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف ، والمقصود من ذلك : تقوية قلبه عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستولياً عليهم ويصيرون تحت أمره وقهره .

وقول المحاضر فى المرتبة الثانية من كلامه فى مراتب الوحى (ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة التى تحدث بالخير وتلقيه فى النفس ملكا على العكس من القوة التى تحدث بالشر وتلقيه فى النفس فانه يسميها شيطاناً ، ولفلاسفة المسلمين غرائب فى كلامهم على الملائكة والشياطين) تدليس من ناحيـة عدم تصريحه باسم هذا الفيلسوف المسلم الذى عرّف الملك بأنه قوة تحدث بالخير وتلقيه فى النفس والشيطان بأنه قوة تحدث بالشر وتلقيـه فى النفس وهذا الفيلسوف الذى لا ندرى لأى غرض أبهم اسمه هو «محمد عبده» ذكره فى تفسير سورة الناس ونقله عنه تلميذه صاحب المنار فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وأطنب فى ذلك واضطرب. قال فى أول كلامه حاكيا عن شيخه :(إن الملائكة خلق غيبى لا نعرف حقيقته وإنما نؤمن بهُ بإخبار الله تعالى الذى نقف عنده ولا نزيد عليه) ثم قال بعد كلام طويل مانصه (وأقول أن غرض الأستاذ من هـذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء والاشارة إقناع منكرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون وضل به آخرون فأنكروه عليه وزعموا انه جعـل الملائكة قوى لا تعقل. فرد عليهم كتابة بما نصه بحروفه).

وساق كتاب رده على العلماء الذين انكروا عليه ذلك برمته. ومضمونه كلام خطابى محشو بازدراء المنكرين عليه وتجهيلهم بأساليب من ضرب الأمثال لهم واستيلاء العادة والتقاليد عليهم وعبادتهم الألفاظ والذهاب بنفسه فى معرفة الأسرار الكونية الى درجة لا يستطيع هؤلاء المساكين عبدة الألفاظ فهمها فضلا عن الوصول اليها قال فى أثنائه : (لو عرفوا ذلك كله لأطلقوا لأنفسهم أن تجول فى تلك الشئون حتى تصل الى مستقر الطمأنينة حيث لا ينازع العقل شىء من وساوس الوهم ، ولا تجد طائفاً من الخوف، ثم لا يتحرجون من اطلاق لفظ مكان لفظ)

ثم قال تلميذه فى آخر كلامه شارحاً كلامه (فالأستاذ الامام يقول ان التسمية وحدها لا تعطى أحداً علم الحقيقة ، وان من فهم الحقيقة لا يحجبها عنه اختلاف التسمية ، وأراد بهذا أن يحتج على الماديين ويقنعهم بصحة ماجاء به الوحى من طريق علمهم المسلم عندهم ، كما صرح به فيما مر فى صفحة ٢٦٨ تفسير المنار) فأنكره عليه عباد الألفاظ وهم لا يعقلون مراده اه)

أقول : مراده بعبدة الالفاظ فى كتابه الذى رد به على المنكرين عليه وحكاه تلميذه فى آخر كلامه هذا الذى سقناه مقلداً له متلذذاً به بقوله : (فأنكره عليه عباد الالفاظ) جمهور الامة الاسلامية الذين قالوا : الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة كاملة فى العلم والقدرة على الافعال الشاقة شأنها الطاعات ومسكنها السماوات هم رسل الله تعالى الى انبيائه عليهم السلام وأمناؤه على وحيه. يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴿ لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾ والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة وتظهر منها أفعال عجيبة ، منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصى . والشياطين أجسام نارية شأنها القاء النفس فى الفساد والغواية بتذكير أسباب المعاصى واللذات وإنساء منافع الطاعات وما أشبه ذلك .

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ وما كان لى عليكم من سلطان إلا

أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ﴾ . فعلماء الأمة الاسلامية الذين سموا الملائكة والجن والشياطين بما سماهم الله ورسوله به عبدة ألفاظ فى رأيه ، وهذا منتهى البذاءة ! . . وكنا نظن أنه هو وأضرابه ومقلدوه من الهمازين اللمازين كلهم مقلدون لشيخهم الذى سن لهم سلق أعراض العلماء أبى محمد بن حزم الذى قال فيه زاهد الاندلس فى زمنه أبو العباس بن العريف : (سيف الحجاج ولسان ابن حزم فى هذه الامة شقيقان) فظهر لنا أن هؤلاء أربوا على ابن حزم بكثير ، أغاروا على الآيات الصريحة التى لا تقبل التأويل بحال كسورة الفيل وتبت يدا أبى لهب وغيرهما بالتأويلات الفاسدة البعيدة من لغة العرب التى نزل بها القرآن ، والزيادة عما لم يقله الله فى بيانه الصريح الواضح، فكتاب الله تعالى المقبول عندهم هو المطابق لفهمهم ، وفهمهم هو المعيار الذى لا يسوغ لأحد أن يخالفه : وابن حزم رحمه الله عالم حافظ لم تبلغ به الجرأة والبذاءة الى تحريف صريح آيات القرآن والزيادة على مالم يقله الله. والهجوم على الامة الاسلامية جمعاء بأساليب التهكم والتجهيل . أغاروا على بيان كتاب الله (سنته) عليه السلام فحكموا عليها بالبطلان ، وعلى حملتها بالكذب والتخريف إلا ماوافق أهؤاءهم منها ومن رواتها . وابن حزم لم يصنع جزءاً مما صنعوه ، بل يحترم السنة كلها ويدافع عنها ويحترم جل حملتها الثقاة عنده . وغاية أمره : انه لم يتأدب بآداب العلم والعلماء ووقارهما لكونه ابن وزير ووثق بنفسه ورأيه فلم يهذب حاشية منطقه نحو كثير من فقهاء الاسلام . وليس شتم عباد الله والهزء والازدراء بهم من أخلاق العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما يلجأ الى هذه البضاعة من يعوزه وقار العلم ورزانة العقل ليسد بها الفراغ .

فهل تسمية العلماء لتلك المخلوقات التى لا نراها بما سماها الله به وتعريفهم لها بما ذكر مناف لكتاب الله وسنة رسوله. والمعقول يستحقون على ذلك النبز بأنهم (عبدة ألفاظ) ؟ ! وتسميته وتعريفه هو لها بأنها القوة

التى تحدث بالخير وتلقيه فى النفس ، والقوة التى تحدث بالشر وتلقيه فى النفس موافق لكتاب الله وسنة رسوله والمعقول ؟ !

وقد قال فى كلامه الأول الذى نقلناه : (إن الملائكة خلق غيبي لانعرف حقيقته وإنما نؤمن به باخبار الله الذى نقف عنده ولا نزيد عليه) فما باله ناقض نفسه ؟! فسماهم وعرفهم بأنهم قوى طبيعية ... ولم لم يقف عند اخبار الله بهم ولم يزد عليه ؟ ! ولم لم يبال بتسمية الله ورسوله لهم بذلك كما قال : (ومن لم يبال فى التسمية بالتوقيف يسمى هذه المعانى القوى الطبيعية إذا كان لا يعرف من عالم الامكان إلا ماهو طبيعة ، أو قوة يظهر أثرها فى الطبيعة) .

وهل نصوص القرآن والسنة الصريحة الكثيرة فى تسمية هذه المخلوقات الغيبية قاصرة غير كافية فى بيان حقائقها ؟ ! والمسلمون كلهم لم يعلموا حقيقتها حتى جاء حضرته فبين حقيقتها ، كما قال تلميذه غير مبال بتسمية الله ورسوله وفهم علماء الاسلام منهما ذلك (فالأستاذ الامام يقول : إن التسمية وحدها لاتعطى أحدا علم الحقيقة ، وان من فهم الحقيقة لا يحجبها عنه اختلاف التسمية) فالنصوص القرآنية الكثيرة التى يصعب استقصاؤها الدالة على تسمية الله للملائكة بالملائكة واخباره تعالى عنهم بما يدل صراحة فى لغة الضاد بأنهم أجسام كاملة فى العلم والقدرة ، أعطاهم الله قدرة على الافعال العظيمة والتشكل بأشكال مختلفة يخاطبون ويخاطبون ﴿ لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾ لاتعطى أحداً علم حقيقتهم عنده . . .

بعض النصوص القرآنية

الدالة على كون الملائكة والجن والشياطين أجساما

قال الله تعالى فى الملائكة عليهم السلام : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ ﴿ ويستغفرون لمن فى الأرض ﴾ ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ ﴿ والصافاب صفا ، فالزاجرات زجراً ،

فالتاليات ذكرا ، إن إلهكم لواحد ﴾ ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ﴾ ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ﴾ ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾.

وجعل منهم تعالى رسلا الى خواص بنى آدم منادين بالبشارة . قال تعالى ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب إن الله يبشرك بيحيي ﴾ ﴿ وإذ قالت الملائكة ، يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ﴾

وبالبشارة والنذارة متشكلين بشكل الإنسان : ﴿ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين إذدخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم . فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم . قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين ﴾ .

ومتشكلين أيضاً فى صورة الانسان : ﴿ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا ﴾ .

ومتشكلين فى صورة خصمين آدميين : ﴿ وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط .

وحفظة لبنى آدم كتبة لأعمالهم : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون ﴾ .

وموكلين بقبض أرواح مخلوقات الله : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض ﴾ ﴿ ولو ترى

إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ﴾ .

وخزنة للجنة : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

وخزنة لجهنم : ﴿ وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ﴾ .

وقد أمد الله المسلمين فى بدر الكبرى بخمسة آلاف من الملائكة : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ ﴿ فالمدبرات أمرا ﴾ .

وفى الجن قال تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ وهؤلاء جن نصيبين كما ثبت فى الحديث والسير . وأنزل فيهم سورة مخصوصة وأخبر فيها أن منهم مؤمنين موحدين ومنهم مشركين ومنهم من يصعد إلى السماء يسترق السمع من الملائكة فترميهم هذه بالشهب : ﴿ ويقذفون من كل جانب دحورا ﴾ وسماهم فيها رجالا : ﴿ وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ وقد قرنهم الله فى النداء والخطاب مع الانس فى آيات كثيرة ، منها : تكرار ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فى سورة الرحمن فى نحو ثلاثين موضعا . ومنها فيها ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ ومنها أيضا فيها ﴿ يامعشر الجن والانس

إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفـذوا لاتنفذون إلا بسلطان ﴾ وسخرهم الله لسليمان عليه السلام . قال تعالى : ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾

وفى الشياطين إخباره تعالى عنهم بأنهم يروننا ولا نراهم : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ وقصة إبليس مع آدم عليه السلام فى عدم امتثال أمر ربه فى السجود له مع الملائكة واستكباره وقبح جوابه له لما سأله عن امتناعه عن السجود مع الساجدين بقوله : ﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ وحلفه لآدم وحواء كاذبا وهو أول من حلف يمينا فاجرة كما أنه أول من تكبر وأول من أعجب بنفسه وأول من حسد . فكل من اتصف بواحدة من هذه الأوصاف الذميمة فهو مقتد به . وطلبه من الله تعالى أن يؤخر أجله إلى قيام الساعة . وحلفه له بعزته حين أعطاه طلبه ليغوين جميع الآدميين الا المخلصين منهم . وإخباره تعالى بأن له ذرية وهم أعداؤنا . وتشكله . فى بدر الكبرى بصورة سراقة بن مالك المدلجى أحد رؤساء بنى بكر بن كنانة . وقوله لقريش : ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ﴾ من بنى بكر . قال به جمهور المفسرين : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾

هذا بعض النصوص القرآنية التى يصعب استقصاؤها . وأمثالها كثيرة فى السنة الصحيحة كلها لا تعطى أحداً علم حقيقة هذه المخلوقات الغيبية حتى يبطل صريح القرآن كله والسنة الثابتة الطافحة بذلك !! . ويقلد فى رأيه الذى هو مقلد فيه لطائفة من كفرة الفلاسفة .

ومن أين جاءه فهم حقيقة هذه المغيبات الذى جهلته الأمة الاسلامية ؟!

أمن العقل ؟ ! ولا سبيل إلى اثباتها به . أو من السمع ؟ ! وهو طريق اثباتها وقد أهدره !

قال العلامة السعد فى شرح المقاصد : والقول بوجود الملائكة والشياطين مما انعقد عليه إجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وحكى مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء ، فلا وجه لنفيها كما لا سبيل إلى إثباتها بالأدلة العقلية اهـ .

وقول تلميذه : (إن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء والاشارة إقناع منكرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم) فاسد . لأن تأويل نصوص القرآن الكثيرة الدالة صراحة على أن الملائكة والجن والشياطين أجسام بالقوى فاسد بل تحريف لكلام الله وللغة التى نزل بها . وما أفاد بهذا التأويل أو التحريف إلا الملاحدة الماديين وما أقنعهم به ، بل رمى بنفسه فى أحضانهم لأنهم لا يؤمنون بالاله القادر الحكيم ، لأنه من جملة الأمور الغيبية التى يكفرون بها ولا يؤمنون إلا بهذه المادة المحسوسة ، فكان الواجب على الأستاذ إن كان عنده علم أن يقيم الحجة عليهم باثبات وجود الإله القادر الحكيم . فاذا ألزمهم بذلك فقد لزمهم الايمان بجميع مخلوقاته الغيبية فى ضمن الايمان به . فعدوله عن إقامة البرهان عليهم باثبات وجود الإله القادر على كل شىء إلى تحريف كلام الله فى مخلوقاته الغائبة عنا ، وزجه نفسه فى تنور إلحادهم دليل على أنه عجز عن مقاومتهم .

وقول تلميذه (وقد اهتدى به كثيرون وضل به آخرون فأنكروه عليه) كلام موجه بوجهين ، الأول : فهمه من النصوص القرآنية ان الملائكة والجن والشياطين قوى لا أجسام قد اهتدى به كثير من الناس وكل من خالفه فى فهمه هذا وأنكره عليه واعتقد أنهم أجسام فهو ضال : لا سبيل لحل كلامه على هذا الوجه إلا بهذا . وعليه فيكون فهم محمد عبده مماثلا لوحى الأنبياء لا يسوغ لأى إنسان مخالفته .

وما أشد هذا التعبير سفاهة وقبحاً وبذاءة نحو الدين وعلمائه ، وحماقة وغلواً فى شيخه حيث وضعه فى مقام النبوة .

الوجه الثانى : وقد اهتدى بهذا الفهم الفاسد كثيرون وحاد به عن طريق الاعوجاج إلى طريق الاستقامة آخرون ، وهذ الوجه هو المتعين عندنا كما أن الوجه الأول هو المتعين عند تلميذه .

ويقال ألا أتحف قراء تفسيره بذكر بعض المهتدين بفهم شيخه من هؤلاء الكثيرين ولو واحداً ؟ !

وقوله (وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لا تعقل) صحيح ، وهم محقون فى هذا الزعم .

وقوله (فرد عليهم كتابة بما نصه بحروفه) تقدم شرحه . وقوله (وأراد بهذا أن يحتج على الماديين ويقنعهم بصحة ما جاء به الوحى من طريق علمهم المسلم عندهم) مكرر مع قوله : إن غرض الأستاذ الخ .

ثم إنا وجدنا الشيخ المجتهد مقلداً فى تعريف هذه المخلوقات الغيبية بأنها القوى لطائفة من الفلاسفة قائلين بوجود الجن والشياطين . قال السعد فى شرح المقاصد : وزعموا أن الجن جواهر مجردة لها تصرف وتأثير فى الأجسام العنصرية من غير تعلق بها تعلق النفوس البشرية بأبدانها . والشياطين هى القوى المتخيلة فى أفراد الانسان من حيث استيلاؤها على القوى العقلية وصرفها عن جانب القدس واكتساب الكمالات العقلية الى اتباع الشهوات واللذات الحسية والوهمية اه .

وقد نقل عنه تلميذه فى الجزء الأول من تفسيره صفحة (٢٨١) مايدل صراحة على أن قصة آدم عليه السلام مع الملائكة عليهم السلام وابليس ، وإخبار الملائكة بجعله خليفة فى الأرض ، وتعليمه جميع الأسماء ، ومخاطبة الملائكة له بقولهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، ﴾ ومخاطبته تعالى لهم بقوله : ﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ وقوله ﴿ أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، ﴾ وقولهم

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ وقوله لآدم : ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ ، وأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم وامتناع ابليس من ذلك ، كل هذه الحقائق قال الشيخ فيها : (أنها تصوير وتمثيل! .) فهل بين هذا التفسير وبين مذهب الباطنية الذين أهدروا نصوص القرآن وظواهره ، وزعموا أنها غير مرادة ، وأن المراد بها معان باطنية فرق ؟ !

وقول الخضرى : (ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة التى تحدث بالخير ملكا على العكس من القوة التى تحدث بالشر فانه يسميها شيطانا) قلب فى الكلام ، وتقويمه على رأى شيخه هكذا . ويسمى بعض فلاسفة المسلمين ماسماه الله ورسوله والمسلمون ملكا بالقوة التى تحدث بالخير ، وماسماه الله ورسوله والمسلمون شيطانا بالقوة التى تحدث بالشر انقلبت المسألة على المحاضر من شدة فرحه بهذا الفيلسوف بدليل قوله (ولفلاسفة المسلمين غرائب فى كلامهم على الملائكة والشياطين) فلم يحسن التعبير كما انقلب الكلام على الاعرابى الذى ضاع جمله فلما وجده قال من شدة فرحه : (اللهم أنت عبدى وأنا ربك) أراد أن يقول : اللهم أنت ربى وأنا عبدك ، فانقلب عليه الكلام .

ومن التلبيس المضحك تسمية المحاضر علماء الاسلام بالفلاسفة ، وزعمه أن عندهم غرائب فى الكلام عن الملائكة والشياطين . وكان الواجب عليه حيث حشر نفسه فى هذا البحث أن يصرح باسم الفيلسوف الذى رجح رأيه ، ويصرح باسم الفلاسفة الذين لهم غرائب فى الملائكة والشياطين ، ويسرد غرائبهم ، وينتقد ولو بعضا منها ، فيكون بذلك قد أدى أمانة نقل العلم عن العلماء كاملة وسلك جادة العلماء الباحثين ، ونزه قلمه عن جادة التدليس والتلبيس . . .

وقوله (وقد يستروحون بقوله تعالى فى الكتاب) : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ يعنى : يجد فلاسفة المسلمين الراحة فى الاستشهاد بهذه

الآية الشريفة على أن الملائكة والشياطين ، والجن أجسام من شدة تعبهم فى فهم هذه المخلوقات التى فهم حقيقتها الأستاذ محمد عبده بأنها القوى - بسهولة - فكأن علماء الاسلام ، أو فلاسفة المسلمين على تعبيره لم يجدوا عند حضرة المحاضر آية فى كتاب الله يحتجون بها على مذهبهم إلا هذه الآية وتعبيره بقد والمضارع. يشعر بأن راحتهم فى معرفة حقيقة هذه المخلوقات قليلة . ولا حاجة بى الى التعليق - على هذا الهراء الذى لم نستفد منه إلا اعجابه - بأكثر من هذا .

عقيدة المؤمنين بالغيب

واذا كنا نؤمن بالإله القادر على كل شيء إيماناً صادقاً فما المانع من كون ذلك الإله خلق أجساماً نورانية تسمى الملائكة ، قادرة على التشكل ، تقطع المسافات والأرض فى مدة قصيرة جدا ، وتمر أمامنا ولا نراها ، وتفعل أفعالا تعجز عنها القوى البشرية ، والسماوات مملوءة بها ؟! كما أنه تعالى أوجد أجساماً أخرى تشابه الملائكة فى بعض خواصهم من الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار والقدرة على أفعال عظيمة وتخالفهم فى أنها ليست نورانية مثلهم إلى آخر مامر ، وتسمى هذه الأجسام جنا ، ويمكن أن تكون كمادة الهواء : كونها الله تعالى وجمع أجزاءها بكيفية تجعلها صالحة لتلك الخواص التى ذكرت لها ، كما كون الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية أكسبته الحياة وجميع آلاتها من الادراك والحركة وغير ذلك بعد أن لم يكن للعناصر شيء مما ذكر ؟!

وعدم رؤيتنا لتلك المخلوقات الغيبية إما للطافتها كالهواء ، وإما لعدم خلقه تعالى فينا رؤيتها عادة لا لإستحالة رؤيتها ، واقتدارها على التشكل جائز عقلا ، داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى

وفى الأعمال الكيماوية التى أقدر الله تعالى البشر عليها من تحويل الاجسام الى بعضها كتحويل الكثيف لطيفاً وعكسه مايقرب فهم تشكل

الاجسام الغيبية الى العقول السليمة . وحيث إن تشكل تلك الاجسام كيف ماكان مسند الى عظمة قدرة الله تعالى الذى أدهشت أفعاله الافكار فيما أعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فيه أصلا . ومن أمعن النظر فى أعمال عواصف الرياح التى تقلع بها الأشجار العظيمة ، ويخرب بها العمران ، وأعمال القوة الكهربائية التى تعجز عنها أوفى الرجال ، لا يستغرب عمل هذه المخلوقات الغيبية أعمالا تعجز عنه القوى البشرية ، مع كونها أجساماً لطيفة ، إذا كان مؤمناً بأن الذى أقدرها على ذلك هو الله تعالى الذى لا يعد ذلك بالنسبة الى عظمة قدرته شيئاً صعبا .

واذا نظرنا الى أن بعض الناس الاقوياء الابدان يحمل ويرفع الاثقال أو يكسر بقوة ذراعه الحديد أو يلويه ، وماقوة ذراعه إلا عمل أعصابه التى تنتهى أخيرا إلى مخه اللطيف النحيف الذى هو مبدأ الحركة كما قالوا ، وهو لا يحتمل أدنى مصادمة من جسم غريب ، بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم اليه قد تعدمه وتعدم صاحبه الحياة ، ظهر لنا ان الله تعالى قادر على إعطاء اللطيف قوة لا توجد فى الصلب الكثيف ، سبحانه من قادر قاهر ولا مانع عقلا من كون الملائكة عليهم السلام يقطعون المسافات الشاسعة بين تلك الاجرام السماوية فى مدة قصيرة جداً ، لأن سرعة الحركة ليست محصورة فى حد محدود ، ولا مخصوصة بمخلوق معين .



المحاضرة التاسعة

قد تحقق مما تقدم فى حادثة الفيل وفى بحث الوحى انكار المحاضر للحوادث الكونية - أى دلائل نبوة الأنبياء ومعجزاتهم عليهم الصلاة والسلام وللملائكة والجن والشياطين تقليداً لمحمد عبده فى الأمرين ، وانكار دلائل نبوته ومعجزاته عليه السلام انكار للقرآن كله ، لأنه من جملة المعجزات التى أتى بها عليه الصلاة والسلام ، وانكار القرآن تكذيب برسالة الانبياء من الله الى الخلق ، وتكذيب أيضاً بوجود الخالق القادر على كل شيء المرسل لهم .

وحينئذ فالايمان بالقرآن الذى هو من جملة المعجزات ، ومشتمل أيضاً على خوارق ومعجزات كثيرة مع انكارها لا يعقل، لأنه جمع بين المتناقضين : الانكار وعدم الانكار ، كما لا يخفى على اللبيب .

- وانكار كون الملائكة والجن والشياطين أجساما ، تكذيب للقرآن الذى أثبت ذلك فى آيات لا تحصى ، ولا يمكن تأويلها بحال من الأحوال وحينئذ تكون نتيجة هذا الانكار : بطلان الوحى كله ، قرآنا وسنة على مقتضى رأى المحاضر وأضرابه . لأن الوحى كله هو سيرته وتاريخه عليه السلام. الذى لم يصل الينا الا من طريق الرواة الذين يستلزم انكار جميع ما ذكر تكذيبهم فى جميع الوحى المنقول كتابا وسنة جزما !

فعلى أى شيء بنى المحاضر وامثاله كتابتهم فى التاريخ الاسلامى والحالة هذه ؟ !

يمكن أن يلفق لهم عن هذا الالزام جوابان باطلان. أحدهما : أن يقال إنما كتبوا تآليفهم من القرآن الذى تفرد رواته بنقله مجرداً عن تلك الحوادث الكونية والأجسام الغيبية - أى رواة غير خرافيين . فحينئذ يلزمهم تمييز الراوة المقبولين عندهم عن غيرهم واحداً واحداً ، وتترتب عليهم أسئلة

كثيرة على هـذا ، يستحيل تخلصهم منها ، علاوة على كونهم ليسوا من أهل الرواية ، ولا علم لهم بها أصلا .

الثانى ، أن يقولوا إجمالا : إنما كتبنا عنهم ما صـدقوا فيه ، وتركنا ما كذبوا فيه .

ونتيجة هذا الجواب : الجمع بين المتناقضين فى جميع الرواة جزما ، يعنى أنهم صادقون كاذبون ، صادقون فى غير الحوادث الكونيـة والأجسام الغيبية ، كاذبون فى هـذه . وهذا تحكم لا مبرر له من النقل ولا من العقل ، ساقط بديهة عند كل من له إلمام بالعلم .

ولكن كان الواجب على الخضرى ، مع تأليهه هواه ، أن يؤدى أمانة علم التاريخ الاسلامى فيذكره كله لطلبة الجامعة ، ولا يغشهم بترك شىء منه ، ولو كانوا كلهم أجانب ، فكيف بهم إذا كانوا كلهم مسلمين أو بعضهم ؟ !

وما يؤمنـه أن يقول له قائل : حيث حكمت على الرواة بأنهم كاذبون فى كل التاريخ أو فى جزء عظيم منه صادقون فى الجزء الآخر منه ثبت عندى بمقتضى حكمك هـذا : أنهم كاذبون فى الـكل . لأن كذبهم فى جزء منه يرفع الثقة بصدقهم فى الجزء الآخر ، للقاعدة المشهورة : (ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر) وحينئذ يكون التاريخ الاسلامى كله لا أصل له ! .

فمحاضراته ومؤلفات أضرابه فيه على هذا كلها مبنية على الأساطير ! .

فعلى أى أساس بنوا كتابتهم فى التاريخ الاسـلامى ؟ ! فان قيـل : إن المحاضر لم يحكم على الرواة بالكذب ، فمن أين علمتم ذلك حتى ألزمتموه به ؟! فالجواب : علمناه من عدم وثوقه بمؤرخى الاسلام فى قصة بحيرا التى تقدمت ووثوقه بمؤرخى الاجانب ومن حادثة الفيـل ومن تركه جميع الحـوادث الـكونية ـ دلائل نبوته عليه السـلام فى كتابه هـذا ، والأخبار المتعلقة بالملائكة والجن والشياطين فيـه . والترك يستلزم عدم وثوقه بالرواة فى هذه الامور وعدم الوثوق بهم هو عين تـكذيبهم لا محالة ؟ !

وفى هذه المحاضرة من المآخذ عليه مايأتى :ـ

١ ـ ذكر ذهابه عليه السلام الى ثقيف بالطائف يدعوهم الى الاسلام وتكذيبهم له ، وتسليطهم سفهاءهم عليه عليه السلام يرمونه بالحجارة ،قال (حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه الى حائط لعتبة وشيبة بنى ربيعة ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه اه).وطمس قصة ابنى ربيعة مع غلامهما حين رقا له صلى الله عليه وسلم للقرابة التى بينهما وبينه لما دخل حائطهما فبعثا اليه الغلام بقطف من عنب ، لأن فيها علماً من أعلام نبوته عليه السلام قال ابن هشام فى سيرته : « فعمد إلى ظل حبلة من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان مالقى من سفهاء أهل الطائف . قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ومالقى تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً ، يقال له (عدّاس) فقالا له : خذ قطفاً من العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كل : فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال: بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس فى وجهه ثم قال له : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد أنت ياعداس ومادينك ؟ ! قال : نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح : يونس بن متى. فقال له عداس ومايدريك مايونس بن متى ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى ،كان نبياً وأنا نبى،فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل رأسه ويديه وقدميه . قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عداس قالا له ويلك ياعداس : مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ ! قال ياسيدى : مافى الارض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر مايعلمه إلا نبى .. قالا له : ويحك ياعداس، لا يصرفنك عن دينك ، فان دينك خير من دينه اه » .

٢ ـ ذكر بيعة الانصار رضى الله عنهم ، البيعة الثانية الكبرى عند العقبة ، قال : (بعد أن انتهت المبايعة أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعودوا إلى رحالهم فذهبوا إلى مضاجعهم فناموا . ولما أصبحوا كان الخبر قد بلغ قريشا ، فجاء رؤساؤهم إلى منازل الانصار وقالوا : يا معشر الخزرج قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا) يقال له : من بلغ قريشا ؟ ! والمبايعة كانت ليلا ، والمشركون من الأنصار وغيرهم ممن كان بمنى لم يشعروا بها فالجواب : الشيطان صرخ بعد فراغهم من البيعة بأهل منى منذراً لهم . والمحاضر طمسه لأنه لا يؤمن بوجود الشياطين ! .

قال ابن هشام فى السيرة عن كعب بن مالك رضى الله عنه ، قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب ! (والجباجب المنازل) هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم . قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أزبُ العقبة (أى شيطانها) هذا ابن أزيب .

قال ابن هشام. ويقال ابن أزيب استمع أى عدو الله أما والله لأفرغن لك والمحاضر حذف هذا التاريخ لأنه لا يتمشى على مذهبه كما حذف .

٣ ـ تمثل الشيطان لقريش فى دار الندوة لما تحققوا أنه عليه السلام صار له شيعة ودار ورأوا خروج أصحابه مهاجرين إلى المدينة فحذروا خروجه عليه السلام إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فيما يفعلونه به عليه السلام ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ فوقف لهم الشيطان فى هيئة شيخ جليل على باب الدار ، فقالوا له : من الشيخ فقال : شيخ من أهل نجد سمع بالذى أتعدتم له فحضر معكم ليسمع ماتقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا منه ونصحا . قالوا أجل فادخل ! فدخل معهم وإنما قال لهم انه من أهل نجد لأنهم قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع محمد ، وزيف لهم الرأيين القائلين بحبسه

حتى يموت أو إخراجه من مكة وصوب رأى أبي جهل القائل بارسال جماعة من الشبان الأقوياء اليه ليلا يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه .

ولا نؤاخذ الخضرى على مشيه على مذهبه فى هذه المشورة ولكن نؤاخذه بتدليسه وغشه بقوله : فقال شيخ فيهم ما هذا لكم برأى . وساق كلام ابليس كما ذكره ابن هشام فى السيرة تاما ، وقوله أيضا فى الرأى الثانى فقال ذلك الشيخ : ما هذا لكم برأى ، وساقه كذلك ، وحذف قول إبليس فى رأى أبي جهل (القول ماقال الرجل هذا الرأى لا رأى غيره) واكتفى بقوله: فكان رأيه هذا (أى أبو جهل) مقبولا عند جميعهم ، تدليسا وجريا على مذهبه فى إنكار الملائكة والجن والشياطين .

هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

إلى المدينة

ذكر المحاضر أسماء الأماكن التى مر بها عليه الصلاة والسلام فى هجرته الى المدينة تفصيلا . فيقال: من أين عرفها وبينه وبين الهجرة أكثر من ثلثمائة وألف سنة ، وهى - نقل محض ؟ ! فالجواب : عرفها معرفة قطعية من الرواة الذين وثق بهم فى نقلها اليه ، ولم يثق بهم فى نقل الحوادث الكونية ، وهواتف الجن التى وقعت فيها ونقلوها اليه .

(٤) قال ابن هشام فى سيرته : قالت أسماء بنت أبى بكر : فمكثنا ثلاث ليال وماندرى أين وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ويسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بنى كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

وحكايات الجن فى أقوالهم وأفعالهم فى السنة الثابتة عنه عليه السلام يصعب استقصاؤها وكذلك فى أشعارهم ومحاوراتهم مع العرب جاهلية واسلاما لايمكن حصرها . وقد ألف العلامة القاضى بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلى الدمشقى الحنفى المولود سنة ٧١٠ ، المتوفى سنة ٧٦٩ مجلداً حافلا فى ذلك سماه (آكام المرجان فى أحكام الجان) وهو مطبوع ولخصه مع بعض زيادات الحافظ جلال الدين السيوطى وسماه (لقط المرجان فى أخبار الجان). واستحضار الأرواح الذى شاع وذاع الآن فى القارتين أمريكا وأوربا ضربة قاضية على المنكرين .

وقد طبع فيه تأليف لطنطاوى جوهرى (١) ويروى : أن قريشا

---

(١) والمستحضر عندنا يقينا هو القرين أى الشيطان لا أرواح الموتى ،

لما سمعت الهاتف من الجن أرسلوا إلى أم معبد وهى بخيمتها، فقالوا: هل مر بك محمد الذى من خليته كذا فقالت: لا أدرى ما تقولون، وإنما ضافنى حالب الشاة الحائل .

(٥) علم من أعلام نبوته عليه السلام طمسه الخضرى أيضاً : مر صلى الله عليه وسلم فى هجرته مع رفقائه بقديد على أم معبد الخزاعية فنزلوا فى خيمتها فقالوا عندها ، وكان القوم مرملين ـ أى نفدت أزوادهم ـ ومسنتين ـ أى أصابتهم سنة جدبة ـ فطلبوا منها لبناً أو لحما يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئا ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها : هل بها من لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك . فقال أتأذنين لى أن أحلبها ؟ ! فقالت بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فتفاجت ودرت واجترت ودعا بإناء يشبع الجماعة ، فحلب فيه حتى ملأه ، وسقى القوم حتى رووا ، ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه مرة أخرى، ثم تركه عندها وذهبوا فجاء أبو معبد بعدهم وكان غائبا ، فلما رأى اللبن قال ما هذا يا أم معبد ؟ ! أنى لك هذا ـ والشاء جمع شاة عازب ، أى غائبة فى المرعى حيال ، أى لم تلقح ، ولا حلوبة بالبيت ـ فقالت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك . فقال صفيه يا أم معبد ! فوصفته له ، فقال : هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته .

أسلمت أم معبد وهاجرت وأسلم أخوها (حبيش) ، وكان آل أبى معبد يؤرخون بذلك اليوم، ويسمونه : يوم الرجل المبارك ، يقولون : فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارك .

وروى : أن حسان بن ثابت رضى الله عنه لما بلغه شعر الجنى وما هتف به فى مكة قال يجيبه :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسرى اليهم ويغتدى

ترحل عن قوم نضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ـ ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عمى . وهداة يهتدون بمهتدى

وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

(٦) قصة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى . وهى أيضاً علم من أعلام نبوته عليه السلام وملخصها من صحيح الامام البخارى وكتب السيرة . أن قريشا جعلت مائة ناقة لمن رد عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ومثلها لمن رد الصديق . وكان هذا الاعلان منهم بهذا الجعل قد بلغ سراقة هذا . فلما رحل عليه السلام مع رفقائه من عند أم معبد بقديد رآهم رجل من بنى مدلج يمشون على الساحل ، فأتى إلى سراقة فأخبره ، فلبس سراقة سلاحه وركب فرسه ولحقهم طمعاً فى ذلك الجعل ، فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : يارسول الله أتينا ، قال : كلا ! ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه فى الأرض إلى الركبتين بعد عثورها به مرتين قبل هذه قال فعلمت انه ممنوع منى وأنه ظاهر فناداهم : أنا سراقة بن مالك ، وطلب منهم الأمان ، وقال انظرونى أكلمكم : (فوالله لا يأتيكم منى شىء تكرهونه ، أعلم أن قد دعوتما على ، فادعوا لى ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما)

فوقفا له فجاءهما ، قال : (فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى) . وطلب منه عليه السلام كتاب أمان له ولقومه فأمر عليه السلام فكتب له ذلك . ولما رجع قال لقريش قد عرفتم نظرى بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئاً) .

ولما بلغ قريشا ما لقى سراقة لامه أبو جهل على تركهم . فقال سراقة وكان شاعراً .

أبا حكم ، والله لو كنت شاهداً لأمر جوادى ، إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك : بأن محمداً رسول ببرهان ، فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه ، فاننى أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طراً يسالمه

وبهذا ظهر : أن المحاضر ترك لباب تاريخ هجرته عليه السلام واشتغل بذكر أسماء منازل طريقها .

المحاضرة العاشرة

القرآن كلام الله تعالى أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة

المعجزة ـ وسميت فى القرآن بالبرهان والبينة والآية وهذه أكثر ـ فعل الله الخارق للعادة المقارن لدعوى الرسالة متحدى به قبل وقوعه غير مكذب يعجز من يبغى معارضته عن الاتيان بمثله .

فخرج عن الأول القديم ، فليس فعلا لله ، واحترز بالخارق للعادة من المعتاد فانه يستوى فيه الصادق والكاذب ، ومن المعتاد السحر ونحـــوه كالشعوذة وان كان سببه العادى نادراً ، ومن المعتاد ايضاً مايوجد فى بعض الأجسام من الخواص كجذب الحديد بحجر المغناطيس ، واحترز بقوله المقارن لدعوى الرسالة من الخارق المتقدم على دعوى الرسالة كحادثة الفيل ، وشق صدره عليه السلام ، وتسليم الحجر عليه ، واظلال الغمام له وغير ذلك . فان هذه الأمور وان كانت من دلائل نبوته وعلاماتها ، فانها تسمى إرهاصا ـ اى : تأسيساً للنبوة عند جمهور علماء الأصول .

واحترز بقوله : متحدى به قبل وقوعه مما تحدى به بعدوجوده.واحترز بقوله : غير مكذب مما إذا قال مدعى الرسالة مثلا آية صدقى ان ينطق الله يدى فنطقت بتكذيبه ، فلا يكون نطقها فى هذه الحالة معجزة له . وقوله : يعجز من يبغى معارضته عن الاتيان بمثله ظاهر ، فلو امكن المعارض ان يأتى بمثله لم يكن خارقاً جزماً . وهى دالة على صدق مدعى الرساله من الله الى الخلق .

والمرادبخوارق العادة : أمور ممكنة فى نفسها،ممتنعة فى العادة بمعنى أن العادة لم تجر بوقوعها.فامكانها ضرورى،وإبداؤها على يد مدعى الرسالة لم ير بأبعد من ابداء خلق السماوات والأرض ومابينهما . ووجه كونها دالة على صدق الرسول : انها عند التحقيق بمنزلة صريح التصديق له من الله لما جرت العادة به من ان الله تعالى يخلق عقيبها العلم الضرورى بصدقه .

واذا علم صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام بدلالة المعجزة وجب تصديقهم فى كل ماأتوا به من عند الله ويستحيل منهم الكذب عقلا، والمعاصى شرعاً، لأنا مأمورن بالاقتداء بهم. فلو جازت عليهم المعصية لكنا مأمورين بها ﴿قل ان الله لا يأمر بالفحشاء﴾.

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أعقل الخلق على الاطلاق

وقد كان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله على الاطلاق. وقد قطع القول فيما اخبر به عن ربه عز وجل بأنهم لا يأتون بمثل ماتحداهم به. فقال تعالى ﴿فان لم تفعلو ولن تفعلوا﴾ فلولا علمه ان ذلك من عند الله علام الغيوب، وان لا يقع فيما اخبر عنه خلف. لم يأذن له عقله بجزم القول فى شىء بأنه لا يكون وهو يكون. وهذا من احسن مايكون فى هذا المجال وأبدعه وأكمله وأبينه. فانه تعالى نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة حيث قال ﴿ولن تفعلوا﴾ فنفى قدرتهم فى المستقبل. فلو قدروا لحميتهم فعلوا. واخبر تعالى بعجزهم قبل ظهور المناقضة منهم فى اقوالهم الدالة على ذلك. صارخاً بهم على رؤوس الأشهاد، فلم يستطع احد منهم الإلمام به مع توفر الدواعى، وتظاهر الاجتهاد وهم فى كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته، يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والافتراء، يقولون ﴿ان هذا إلا سحر يؤثر﴾ ﴿وسحر مستمر﴾ ﴿وافك افتراه﴾ ﴿وأساطير الأولين﴾ والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم ﴿قلوبنا غلف﴾ ﴿وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ و ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ والادعاء مع العجز (لو نشأ لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم. فلو استطاعوه مامنعتهم مشيئتهم عن معارضته وقد تحداهم، وقرعهم بالعجز بضعاً وعشرين سنه، ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم ان يغلبوا خصوصا فى الفصاحه، قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الانس

والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴿ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ فذكر الاجتماع والاستظهار بالغير فى مقام التحدى إنما يحسن فيما لا يكون مقدوراً للبعض ويتوهم كونه مقدوراً للكل ، فنفى تعالى استطاعة الاتيان بمثله عن كل الثقلين وحيث انتفى الاتيان بمثله عند التظاهر فانتفاؤه عند عدمه من باب أولى .. ثم تحداهم بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم بأقصر سورة كذلك ورضيت هممهم السرية وأنفسهم الأبية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بما ذكر ، وعناداً بعدم الايمان به ..

هذا مع كونه عليه الصلاة والسلام بعث والعرب اكثر ما كانت شاعراً وخطيباً ، وأحكم ما كانت شاعراً وخطيباً ، واحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة ، فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله تعالى وتصديق رسالته دعاهم بالحجة ، فلما قطع العذر وأزال الشبه وصار الذى يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباح مساء الى معارضته ان كان كاذباً بسورة واحدة ، أو بآيات يسيرة فكلما أراد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها قالوا له : انت تعرف من أخبار الأمم مالا نعرف ، فلذلك يمكنك مالا يمكننا ، قال فهاتوها مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ، ولا طمع فيه شاعر . ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامى عليه ويكابر فيه ، ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستفحال لغتهم ، وسهولة ذلك عليهم ، وكثرة شعرائهم ، وكثرة من عارض شعراء أصحابه وخطباء امته . لأن سورة واحدة أو آيات يسيرة كانت أنقض لقوله ، وأفسد لأمره ، وابلغ فى تكذيبه ، واسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وانفاق الأموال وهذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش والعرب فى

الرأى والعقل بدرجات وقد كان لهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم يتحدى به اقصاهم بعد ان اظهر عجز أدناهم فمحال ان يجتمع هؤلاء كلهم فى الامر الظاهر والخطاب المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق أنفة واكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم،وقد احتاجوا اليه والحاجه تبعث على الحيلة فى الامر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة فكما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط فى الامر الجليل المنفعة فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه ، فان قيل يحتمل ان محمداً عليه الصلاة والسلام حصلت له درجة فى البلاغة لم يصل اليها احد من العرب فاتى بهذا القرآن من عنده وكثيرا ما يوجد بين اهل كل صناعة من يبلغ الدرجة القصوى فيها حتى يقر له سائر اهلها بانه رئيسهم وهم عاجزون عن شق غباره فيها . فالجواب : ان صناعة البلاغة وان كانت ترتكز على استعداد صاحبها فى أصل فطرته ولكن لابد لبلوغه فيها درجة سامية من ممارسة وتدرج فى طرقها من قول الاشعار وروايتها ومعاناة الخطب ودراستها ومحاورة الفصحاء ومغالبة البلغاء حتى تقوى فيه ملكتها ويصبح من رجالها الأفذاذ حسب استعداده الفطرى ومهما بلغت درجتها من السمو فلابد لها من نظير من نوعها ومثال من صنفها ولو كان دونها بدرجات والناس كلهم يعلمون يقيناً انه عليه الصلاة والسلام وان كان فى اصل فطرته مستعداً لتلك الصناعة ولكنهم جازمون جميعاً بانه عليه السلام لم يكن من اول نشأته الى بعثته فى الاربعين من عمره هذه المدة التى هى سن التحصيل والممارسة قد مارس تلك الصناعة ممارسة تستلزم له بلوغ تلك الدرجة ولم يكن له فى تلك المدة معاناة للاشعار وروايتها ، وكذلك الخطب والرسائل ولم يعرف فيها بكونه مولعاً بمحاوره الفصحاء ومغالبة البلغاء وهو بين أظهرهم لايخفي عليهم حاله وكيف يخفي ومن يعانى تلك الصناعة يشتهر عندهم اشتهار

الغزالة لانهـا من اعظم مفـاخرهم ، فعندما بلغ الاربعين فاجأهم بالرسالة من الله تعالى وتلا عليهم قرآناً خرست عند سماعه ألسنة بلغائهم . وتبلدت به افكار عقلائهم وطاشت منه أحلام زعمائهم وقد تفرد هذا القرآن الذى أتى به عليه الصلاة والسلام من ربه فى منهجه الذى سلكه فى البلاغة بما لا يوجد له نظير فلا هو كالشعـر ولا الأراجيز ولا من نوع الخطب والرسائل ولا له مثال يحتذى عليه وهذا يكون اعرق فى الغرابة ، فعلى من تعلم محمد عليه الصلاة والسلام هذه الطريقة الراقية فى البلاغة التى فى القرآن وهى لم تعهد بين العرب كلهم أكان هو اول مخترع لها وبلغ فيها هذه الدرجة التى لا تلحق كلا . ماهذه عادة المخترعين للاشياء بل عادة كل مخترع أن يصدر عنه اختراعه كالطفل وسواه يربيه حتى يبلغ الغاية التى تمكن فيه أما كون المخترع يبلغ باختراعه الغاية القصوى التى لا تستطاع . وليس بعدها منزلة من اول مرة فهذا شىء لم يعهد فى المخترعين من البشر ولا يبـالى اذاً من يجـزم بانه غير ممكن فى قدرتهم حسب الاستقراء ، فعدم ممارسة محمد عليـه الصلاة والسلام لتلك الصناعة فى الماضى من عمره بما يبلغه تلك الدرجة التى لا تلحق وانفراد القـرآن الذى أتى به بذلك الاسلوب الذى بلغ الغـاية فى البلاغة حتى عجز الثقلان جميعا عن معارضته دليل على بطلان هذا الاحتمال وعلى ان القرآن كلام الله تعالى .

انكار طائفة من اهل العصر

معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام

قد انـكر طائفة من اهل العصر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما انـكروا وجود الملائـكة والجن والشياطين وزاد جمـاعة منهم فى هـذه السنين الأخـيرة تلقيب الانبياء عليهم السلام بالعبقرية بدل النبوة ، وقدوتهم الذى سن لهم هذه الامور ومهد لهم سبيلهـا محمد عبده وكلهم متأثرون بالماديين والمستشرقين وقد رد على هذه الطائفة رداً محكماً مدللا

مسهباً العلامة الشيخ مصطفى صبرى التوقادى فى كتابه المسمى (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) ، وقد اقتطفت منه ما يأتى بنصه من عدة مواضع من المجلد الرابع قال فى صفحة ٥ منه (١) وأبرز مميزات هؤلاء الكتاب والعلماء المتفقين معهم انهم ينكرون المعجزات الكونية ، ويعتبرونها من المستحيلات ، وقد علم القارىء مما سبق كيف انكرها الاستاذ فريد وجدى بك ، وانكر معها البعث بعد الموت ، ورد جميع آيات القرآن الواردة فى كل من الموضوعين الى المتشابهات التى لا تفهم معانيها . (٢) صفحة ٥ ايضا وبعضهم يخص انكاره بمعجزات نبينا من ذلك القبيل ، ويعتبر تجرده منها ميزة له على سائر الانبياء ، (٣) صفحة ١٦ ومن مميزات الطائفة العصرية انهم لا يعولون على كتب الحديث وما فيها من الروايات المتعلقة بمعجزات نبينا ولذا جاء كتاب (حياة محمد) خلواً عن المعجزات الكونية واقره عليه فضيلة الاستاذ المراغى والشيخ رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) ، وللوصول الى هذه الغاية يطعن من يطعن منهم فى مكان كتب الحديث مطلقا من الثقة ، ويعنى من يعنى بعبقرية سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بدل نبوته ، لكنهم متفقون فى هذه المرحلة من الدس على الاعتراف باهمية القرآن وسمو مكانه قائلين : انه المعجزة الوحيدة وقولى لهؤلاء القائلين - وهم دعاة العبقرية - إن القرآن كان معجزة وكان افضل واعظم ماوصل الينا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو معجزة نبوته لا معجزة عبقريته ، لان العبقرية لا معجزة لها وان الذين لجؤا اليها ارادوا أن يتخلصوا من المعجزات التى تدور مع النبوات (٤) ، صفحة ٣٩ الحاصل ان المعجزات لا ينكرها الا المنكرون لوجود الله تعالى ، ومن الغرابة ان جمهورهم يتمسكون هنا بنظام العالم الذى انكروه حين انكروا وجود الله تعالى فيقولون : إن نظام العالم ناشىء من طبيعة الاشياء لا يمكن خرقه بالمعجزات . وقد علم القارىء مما سبق فى هذا الكتاب ان (بوخنر) إمام الملاحدة او بالأصح لسانهم المحامى عن مذهب الالحاد يجعل نظام

العالم عبارة عن المصادفة والفوضى ، فكيف يمكنه ان يدعى فى مسألة المعجزة أنها تخالف نظام العالم مع أنه منكر لنظام العالم قبل انكاره المعجزة بحجة أنها تغيير لنظام العالم ، فاى مانع فى المصادفة والفوضى يمنع تغيير شيء فى مجاريها احتفاظاً بنظامها الذى هو عدم النظام. و(٥) قال فى صفحة ٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ حاكيا تعريف محمد عبده للنبي والرسول معترضاً عليه ناقضاً له ما نصه : وقد يكون تصوير الانبياء كما صور اولئك الكتاب موافقاً لرأى الشيخ محمد عبده حيث قال فى تعليقاته على شرح الجلال الدوانى للعقائد العضدية بعد ذكر الاقوال فى تعريف النبي صفحة ٣ (اقول قد يعرف النبي بانسان فطر على الحق علما وعملا اى بحيث لا يعلم إلا حقاً ولا يعمل الا حقاً على مقتضى الحكمة ، وذلك يكون بالفطرة اى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعليم الآلهى ، فان فطر ايضا على دعوة بنى نوعه الى ماجبل عليه فهو رسول ايضا والا فهو نبي فقط ، وليس برسول فتفكر فيه فانه دقيق)، وأنا اقول ليس فى تعريف الشيخ شيء من خصائص النبوة والرسالة لا وحى ولا ملك مرسل ولا كتاب منزل ولا معجزة ، وعليه فمن أين يعرف كونه (لا يعلم الا حقاً ولا يعمل الا حقا) من اين يعرفه هو نفسه ومن اين يعرفه بنو نوعه اذا دعاهم ، نعم فى تعريف الشيخ (ولكن التعليم الآلهى) لكنه يمكن حمل هذا التعليم ايضاً على الفطرة ، ثم يرد عليه السؤال المذكور: من اين يعرف أنه تعليم آلهى ، ويؤيد ما قلنا ان الشيخ بنى حتى دعوة بنى نوعه على الفطرة لا على امر خاص من ربه كما يؤمر به الانبياء ، حيث قال معرفاً للرسول بعد تعريف النبي (فان فطر على دعوة بنى نوعه الى ماجبل عليه) فنص فى موضعين من هذه الجملة على الفطرة والجبلة ثم ختم كلامه بقوله (فتفكر فيه فانه دقيق) . وتفكر انت ايها القارىء فى ان النبي والرسول على تعريف الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا ليس بالنبي والرسول اللذين يعرفهما الاسلام والمسلمون بل المليون كلهم ، وانما هو رجل من أمثال الذين يثقون بانفسهم فى صحة آرائهم ومبادئهم ، ويأمل

الناس فيهم الصلاح والاصلاح . ولا يكون مراد الشيخ الحاق هذه الطائفة الممتازة من الناس بالانبياء والرسل ، بل مراده تنزيل الانبياء والمرسلين المعروفين صلوات الله تعالى عليهم الى منزلتهم تفاديا من مؤونة الخوارق التى تلازمهم فى معجزاتهم وكيفية الايحاء اليهم ، تفكر فيه وفى صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الاسلامية الى الثقافة الغربية لاتزال تشيد باسم الشيخ قائل هذا القول والآمر فى خاتمته بالتفكر الدقيق ، ثم تفكر فى انكار الاستاذ فريد وجدى معجزات الانبياء جهارا نهارا على صفحات (الاهرام) اثناء مناقشته اياى فى امكانها بله وقوعها ، تلك المناقشة التى استمرت اياما وعين الاستاذ قبل انتهائها مدير (مجلة الازهر) المسماة يومئذ (نور الاسلام) ورئيس تحريرها ، ثم تفكر فى كتاب (حياة محمد) لمعالى الدكتور حسين هيكل باشا وهو مثل فؤاد ام موسى فى معجزات نبينا الممثلة لحياته المعنوية والتى خصص لها الاستاذ الهندى كاتب حياته صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل الكاتب المصرى فى مجلدات ، مجلدين و(٦) صفحة ٥٤ وما اعجب عقلية الكتاب العصريين لايرون فى انفسهم وهم صفوة الشرق ، ولا فى كتاب الغرب وهم قادتهم ، معجزة فينكرون معجزات الانبياء ، ولايرون فى انفسهم قدرة وحماسه فى حفظ احاديث نبيهم ، ولا لتدقيق ماحفظ الحفاظ حتى ولا دافعاً دينيا اليه فينكرون صحة الأحاديث المحفوظة ، ويحطون من قيمة الدافع الدينى ويعللون انفسهم بدعوى الطريقة العلمية فى تأليف الكتب من غير دليل لهم على هذه الدعوى غير تقليد الغربيين . فان كان الغربيون المؤلفون فى السيرة المحمدية يلتزمون الطريقة العلمية وينتهجونها فى تدقيق حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين لاينتهجها ائمة الاسلام المحدثون وكانت الطريقة العلمية توصل منتهجيها الى الحق وكان معالى مؤلف (حياة محمد) يعتقد بكون نبوة محمد صلى الله تعالى وسلم حقا ، لزم ان يُصدّق الغربيون اصحاب التأليف فى السيرة المحمدية نبوة محمد صلى الله تعالى وسلم فيسلموا أو ان لاتكون الطريقة التى سلكوها فى تدقيق حياته طريقة علمية او ان لاتكون الطريقة العلمية تذهب

بسالكها الى الحق والحقيقة . فلا مندوحة من ان تكون النتيجة المنطقية للمقدمات الثلاث المذكورة احد هذه الامور الثلاثة ولا يمكن نقض هذا الانتاج المنطقى ولو حدث مائة الف (موضه) من الطريقة العلمية يتمسك بها العصريون مستخفين بالمنطق القديم . نعم لامندوحة من احد الامور الثلاثة الأولى التى الزمناها احد الثلاثة الاخرى . وأجدر مافى تلك الثلاث بالرجوع عنه هوكون طريقة الغربيين المؤلفين فى حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم طريقة علمية أقوم من طريقة علماء الاسلام اهـ)

ثم نقل العلامة التوقادى كلاما نفيسا للعلامة شبلى النعمانى الهندى من مقدمة كتاب له فى حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نصه (٧) صفحة ٥٧

ثم ان كل ملة وكل طائفة من معتنق الأديان تقدس دينها وتفضله على دين غيرها فلو وجهنا سؤالا عاما إلى جميع أهل الأرض عمن له الموجودية الفائقة من بين مؤسسى الأديان فلا شك أن الأجوبة على هذا السؤال ترد مختلفة بعدد اختلاف مرسليها فى الدين، ولكن إذا زدنا تفصيلا وايضاحا فى لفظ السؤال فقلنا مثلا : من ذا الذى ضبط جميع نصوص كتابه المنزل عليه ضبطا وثبت حرفيا بموفقية وصداقة لم تكونا من حظ الكتب المقدسة ومن ناحية أخرى قيد ونقل جميع وقائع حياته وجميع أفعاله وأقواله وأسفاره وأخلاقه وعاداته حتى شكل لباسه وصورة تلبسه وخطوط وجهه وكيفية تكلمه ومشيه وطرز معاشرته ، وحتى أكله وشربه ونومه وتبسمه ومساعيه بجميع فروعه وتفاصيله ، فالجواب لا بدأن يكون : محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و(٨) صفحة ١٢٨ فيا أيها المتكلمون بلسان الاسلام ، لا تحدثوا الناس من غير ميزان ولا مقياس فمن أسمى ميزان الاسلام على سائر الأديان السماوية أنه ضامن لتلك الأديان أيضا فاذا دخلت شبهة فى أصل واحد منها يتأثر الإسلام بها أيضا ولا يسلم من عدواها . فإياكم أن تستهينوا بمعجزات الأنبياء عند إكبار معجزة القرآن أو تستهينوا بالسنة عند اعظام شأن الكتاب فالكتاب لا ينفصل من السنة والقرآن لا ينفصل من التوراة

والانجيل فانتم تعلمون دعوى اختلاق الشعر الجاهلي بعد الاسلام ولعلكم تعلمون أيضا ماترمى اليه تلك الدعوى من إثارة الشبهة فى القرآن من ناحية الرواية بواسطة إثارة الشك فى أمانة الرواة المسلمين مطلقا .

وكانت تلك الدعوى قد قوبلت بضجة فى الرأى العام الاسلامى بمصر ثم ظهر كتاب الوحى المحمدى فطعن صاحبه فى الوحى الموسوى والعيسوى وظهر كتاب «حياة محمد» فطعن صاحبه فى سنة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الطعن فى الطبعة الثانيـــة كل الظهور فلم يحرك كل من ذلك ساكنا فى الرأى العام وما أخل برغبة المسلمين لا سيما فى الكتاب الثانى مع أن صلة السنة بالكتاب وصلة التوراة والانجيل بالقرآن أشد وأقرب من صلة الشعر الجاهلى بالقرآن . والفرق المشهود بين الحالين لا يسفر الا عما طرأ على الاسلام بمرور الزمان من ضعف فى الحماسة أو ضعف فى التفكير اه

وقد ذكر العلامة المذكور حمل محمد عبده انفلاق البحر لموسى عليه السلام على المد والجزر الطبيعيين ، وعدم سماع تلميذه صاحب المنار نص القرآن على معجزة انشقاق القمر ، وطعنه فى الأحاديث الواردة فى ذلك ودفاعه مع الشيخ المراغى عن كتاب هيكل باشا (حياة محمد) وتخبط شلتوت فى تأويل الآيات الدالة على رفع عيسى عليـــه السلام الى السماء وأبحاثا كثيرة نميسة غير هذه اه .



انواع المعجزة التى ظهرت منه

عليه الصلاة والسلام ثلاث

أولها وأعظمها القرآن ، المعجزة الخالدة أعجز الثقلين بألفاظه ومعانيه والجمهور على أن اعجازه لكونه فى الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق بمهارتهم فى فن البيان واحاطتهم بأساليب الكلام وهذا مع اشتماله على الإخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الالهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم الأخلاق والارشاد إلى فنون الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والدنيوية على ما يظهر للمتدبرين ويتجلى للمتفكرين .

النوع الثانى إخبار القرآن عن الغيوب الماضية والمستقبلة .

أما الماضية : فكقصة نوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام وفرعون وتلك الأمم التى بادت بتكذيبهم لأنبيائهم على تفاصيلها وطولها واشتمالها على كثير من معجزات أولئك الرسل الكرام من غير سماع من أحد ولا تلقن من كتاب حسبما أشار اليه القرآن الكريم بقوله ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ . وأما المستقبلة : فمنها ما فى القرآن كقوله تعالى فى اليهود ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ وقوله ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، وقوله ﴿ فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ ، وقوله ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ ، وقوله ﴿ الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح

المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ ، وقوله ﴿ إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد ﴾ وقوله ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ ، وقوله ﴿ قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ وقوله ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ، وغير هذه كثير . ومنها ما ليس فيه كقوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله تعالى عنه « أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا علىُّ على هذه (يعنى قرنه) حتى يبل منه هذه (يعنى لحيته) أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح ، وقوله لعمار رضى الله تعالى عنه (تقتلك الفئة الباغية) أخرجه الشيخان ، وقوله (زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها) أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن ثوبان مرفوعاً ، وقوله (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) أخرجه الأئمة أحمد بن حنبل وأبو داود والترمذى والنسائى وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكإخباره عن هلاك كسرى وقيصر وزوال ملكهما وانفاق كنوزهما فى سبيل الله . وغير هذه كثير مذكور فى مصنفات أئمة الاسلام المعتمدة . وقد اقترن هذا النوع كله بدعوى النبوة فيتميز بذلك عن الكرامات ، وطهارةُ نفسه الشريفة وأعماله الجليلة وشمائله الكريمة وعدم نظره فى أحوال الكواكب وآلاتها يميزها عن السحر والكهانة والتنجيم وأشباه ذلك .

النوع الثالث : أفعال ظهرت منه عليه الصلاة والسلام على خلاف العادة تربو على ألف رواها وجمعها أئمة الحديث الاثبات وسموها دلائل النبوة ، فمن صنف فيها الحافظان أبو نعيم الاصبهانى وأبو بكر البيهقى وسمى تصنيف كل منهما بدلائل النبوة بعضها ارهاصية ظهرت قبل النبوة وبعضها تصديقية ظهرت بعدها . وتنقسم إلى أمور ثابتة فى ذاته وأمور متعلقة بصفاته وأمور خارجة عنهما . فالأول كولادته عليه الصلاة والسلام مختوناً مسروراً وخاتم النبوة بين كتفيه وطول قامته مع الطويل وتوسطه مع المتوسط ، ورؤيته

من خلفه كرؤيته من قدامه . والثانى كاستجماعه الغاية القصوى من الصدق والأمانة والعفاف والشجاعة والفصاحة والسماحة والزهد والتواضع لأهل المسكنة والشفقة على الأمة والمصابرة على متاعب النبوة والمواظبة على مكارم الأخلاق وكبلوغه النهاية فى العلوم والمعارف الإلهية ، وتمهيد المصالح الدينية والدنيوية وكونه مجاب الدعوة ـ فقد دعا لابن عباس بقوله (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل) فصار أمام المفسرين ودعا على ابن أبى لهب بقوله (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) فافترسه الأسد ، وعلى مضر بقوله (اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) فمنــع الله تعالى عنهم القطر سنين ، وعلى سراقة بن مالك المدلجى حين لحقه فى طريق الهجرة فساخت قوائم فرسه فى الأرض وقد تقدمت قصته مفصلة . وغير هذا من دعائه كثير مذكور فى الصحاح والمسانيد . والثالث كخرور الأوثان سجداً ليلة ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم وسقوط شرفات إيوان كسرى وإظلال السحاب عليـه . وانشقاق القمر . وتسليم الحجر . ونبع الماء من بين أصابعه . واشباع الخلق الكثير من الطعام اليسـير . وحنين الجذع حين انتقل منه إلى المنبر ، وإخبار الشاة المشوية له يوم خيبر بأنها مسمومة ، ودرور ضرع الشاة الحائل عند أم معبد ، وتسبيح الحصى ، وغير ذلك مما لا يعـد ولا يحصى .

الاسراء والمعراج

من المعجزات القرآنية ـ الاسراء

الاسراء بروح وجسد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على البراق يقظة من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هذه إلى ما فوق السماء السابعة وفرض الصلاة عليه وعلى أمته ، ورؤيته من آيات ربه الكبرى ثم رجوعه إلى بيته فى جزء من الليل من جملة المعجزات التى تفضل بها عليه القادر الحكيم أمر ممكن . ودليل إمكانه إما تماثل الأجسام فيجوز الخرق على السماء كما يجوز على الأرض وعروج الانسان كغيره من الأجسام العلوية. وإما عدم دليل الامتناع لأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال . وقد ثبت بالدليل أن خالق العالم قادر على كل الممكنات وثبت أن حصول الحركة البالغة فى السرعة إلى هذا الحد فى جسده عليه الصلاة والسلام ممكن فوجب كونه تعالى قادراً على هذا الممكن وقد جاء فى القرآن أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى البلدان البعيدة فى الزمن اليسير قال تعالى ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ بل الحس يدل على أن الرياح تنتقل عند شدة هبوبها من مكان الى مكان فى غاية البعد فى اللحظة الواحدة وهذا يدل على أن مثل هذه الحركة السريعة ممكنة فى نفسها .

ودل القرآن أيضا على أن الذى عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى اليمن الى الشام فى مقدار لمح البصر قال تعالى ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ . واذا كان ممكنا فى حق بعض الناس علمنا أنه فى نفسه ممكن الوجود فادعاء استحالة المعراج باطل لأنه مبنى على أصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتئام على السماوات والخرق والالتئام عليها جائز عند أهل الحق والقول بجواز الاسراء والمعراج وثبوتهما فرع عن تسليم

جواز أصل النبوة والقول بامتناعهما عقلا طعن فى نبوة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن المعجزات من لوازم نبوتهم ونفى لوجود القادر على كل شيء ، والأجسام العلوية والسفلية كلها متماثلة فى الجسمية مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر بضرورة التماثل المذكور فان أمكن خرق الأجسام السفلية أمكن خرق الأجسام العلوية والله تعالى قادر على كل الممكنات فهو قادر على خرق السماوات على أن النصوص القرآنية قد نطقت بأن للسماء أبوابا تفتح وتغلق فلا عبرة بأوهام الفلاسفة ، قال المحققون دلت الآية الكريمة على الاسراء من مكة إلى بيت المقدس نصاً وصحيح الأخبار من هذه إلى السماوات استفاضة قال تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ . وتقرير الدليل أن العبد اسم للجسد والروح معاً فوجب أن يكون الاسراء حاصلا بجميع الجسد والروح. ويؤيده قوله تعالى ﴿ أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ﴾ فلا شك أن المراد هنا مجموع الجسد والروح لأن العبد هنا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جزماً والناهى له عن الصلاة هو أبو جهل لعنه الله ولا يعقل نهيه له عن الصلاة بروحه دون جسده . ويؤيده أيضا قوله تعالى فى سورة الجن ﴿ وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﴾ فالعبد فى هذه أيضا هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و ﴿ يدعوه ﴾ يعبده ليلا ببطن نخلة لما رجع من الطائف ، بالصلاة وتلاوة القرآن ﴿ كادوا ﴾ أى جن نصيبين كما فى الصحاح والسير ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ جماعات مزدحمين عليه حرصا على استماع القرآن وتعجبا مما رأوه من عبادته واقتداء أصحابه به وإعجابا بما تلاه من القرآن . ولا تعقل عبادة روح هنا دون جسد كما لا يعقل ازدحام واستماع طائفة من الجن على غير جسد ، والقرآن يفسر بعضه بعضا ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده حال يقظته استحالة تؤذن بتأويل ، إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده ، وقوله تعالى

﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ أى ما عدل عن رؤية ما أمر به من عجائب الملكوت ، وما جاوزها صريح بظاهره فى أنه بجسده يقظة لأنه أضاف الأمر إلى البصر وهو لا يكون إلا يقظة بجسده بشهادة ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

ولو كانت مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة ، دالة على صدقه وإن كانت رؤيا الأنبياء وحيا إذ ليس فيها من الأبلغية وخرق العادة مافى اليقظة . قال بعض المحققين فان قيل لم أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم أولا من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من هذا إلى السماء ولم لم يعرج به من مكة إلى السماء رأسا؟ فالجواب : أن بيت المقدس هو القبلة الأولى وهو أحد المواضع الثلاثة التى تعمل اليها المطى فجمع له صلى الله عليه وسلم الأسراء بين القبلتين واجتمعت له الفضيلتان والجواب عن كون المعراج صار من المسجد الأقصى إلى السماء ولم يكن من مكة إلى السماء أن ذلك من الله تعالى لحكمة استأثر بهافيجب الايمان به كما ورد به الخبر من غير تعليل . وإن قلنا إن الحكمة فى ذلك معقولة نقول والله أعلم هو أن يكون ذلك دالا على صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه لو عرج به من مكة لكان الكفار ينكرون ما يدعيه ولا يجد ما يستدل به عليهم ويلحق بسبب ذلك لمن ضعف إيمانه الشك ، فلما أن أسرى به إلى بيت المقدس أولا وسأله الاعداء المنكرون عن أمور فيه يعرفونها اختبارا لصدقه لانهم يعلمون أنه عليه السلام لم يدخلها قط فهو لا يعرفها قطعا فأخبرهم فى الحال عن كل ما سألوه عنه كان ذلك أكبر آية على تصديقه عليه السلام فيما ادعاه بخلاف أن لوكان الاسراء من مكة إلى السموات رأسا فانهم يكذبونه جزما لأنهم لا معرفة لهم بالعالم العلوى حتى يسألوه عنه اه . وقريب من هذا ما قاله الخازن فى تفسيره : —

« إن فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط دون السماء انه لو ذكر عليه الصلاة والسلام لهم صعوده إلى السماء لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبرهم

انه أسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات التى سألوه عنها فيه وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك بمعراجه الى السماء فكان الاسراء كالتوطئة للمعراج اه.

قال ابن كثير فى تفسيره ما نصه : قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية فى كتابه (التنوير فى مولد السراج المنير) وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات فى الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبى حبة وأبى ليلى الانصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبدالله وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى امامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانىء وأسماء وعائشة ابنتى أبى بكر رضى الله تعالى عن جميعهم قال فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون اه . فهؤلاء خمسة وعشرون صحابيا . وذكر الزرقانى فى شرحه على المواهب اللدنية انه رواها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة وأربعون صحابيا وسرد بقيتهم منهم الخليفتان الصديق الاكبر وذو النورين رضى الله تعالى عنهما .

تخبطه فى معجزة الاسراء والمعراج

وترجيحه القول بكونهما مناماً وابطال ذلك باسهاب

اتفق المؤلفون من علماء الاسلام على إدراج حادثة الاسراء والمعراج فى مؤلفاتهم قبل الكلام على هجرته عليه السلام وقد خالفهم هذا المحاضر فذكر الهجرة اولا ، ثم ذكر الاسراء والمعراج بعدها وإنما ركب هذا الشذوذ ليتسنى له التشبث بما نسب الى عائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما من كونهما كانا مناماً لا يقظة فيتخلص بذلك من هذه المعجزة القرآنية التى لم يمكنه حذفها من كتابه كما حذف غيرها من المعجزات التى ثبتت بسنته عليه السلام وعادة هذا المحاضر وحزبه التى تحققنا هامنهم عدم اعتبار سنته عليه الصلاة والسلام مهما بلغت درجتها فى الصحة والثبوت بل ولو تواترت مالم تكن موافقة لاهوائهم فاذا وجدوا فى الاحاديث مايوافق اهواءهم فهم متمسكون به أشد التمسك ولو كان أوهى من بيت العنكبوت مصادماً لصريح القرآن ، قال الخضرى صفحة ٨٩ (وقد اختلف المؤرخون فى الوقت الذى فرضت فيه الصلاة : فقال بعضهم إنها فرضت ليلة الاسراء حينما عرج برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الملأ الأعلى وقال آخرون : بل قبل ذلك اه.) اقول اتفق علماء الاسلام على ان الصلاة فرضها الله تعالى ليلة الاسراء والمعراج فهذا الخلاف الذى نصبه حضرته باطل ، ومن المضحك تعبيره بقوله اختلف المؤرخون ، كأن أئمة السلف من الصحابه وغيرهم منقسمون الى مؤرخين وغير مؤرخين ، فالمؤرخون منهم هم الذين اختلفوا فى هذه المسألة العويصه او كلهم مؤرخون لا يعرفون غير التاريخ لانه رأس العلوم وأدقها عنده ولا ندرى ماوجه حيدته عن التعبير ب (اختلف العلماء) الذى هو اللفظ العام والطريقة المسلوكة للمؤلفين فى مؤلفاتهم . قال الخضرى : فى الصفحة نفسها (وقد اتفق المؤرخون على وقوع الحادثة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

بمكة لان السورة مكية ولكنهم لم يعينوا وقتها بالضبط وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبربها قومه فى صبح تلك الليلة فكانت مثاراً لعجبهم وسخريتهم ، وصدق بها المؤمنون وفى مقدمتهم ابو بكر الذى سمى فى ذلك اليوم بالصديق ، وكذب بها المشركون وبعض الضعفاء المفتونين من المسلمين حتى إن بعضاً منهم ارتد اه) يقال اذا كان العلماء اتفقوا على وقوع حادثة الاسراء والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فلم خالفتهم أنت ، وذكرتها بعدها ، وقوله ولكنهم لم يعينوا وقتها بالضبط ، لايضر ذلك ماداموا متفقين على انها بعد البعثة وقبل الهجرة وقوله وان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بها قومه فى صبح تلك الليلة فكانت مثاراً لعجبهم وسخريتهم الى آخر الكلام هذا كله يدل على ان الاسراء كان يقظة لامناماً ولو كان رؤيا منامية ماكان مثارا لتعجبهم وسخريتهم ولا كان فيها مزية للمؤمنين عن المشركين بتصديقه ولا للمشركين عن المؤمنين بتكذيبه ولما امتاز بها ابو بكر فى ذلك اليوم بالتسمية بالصديق بل ولا الرسول عليه الصلاة والسلام بالصادق عند المؤمنين والكاذب عند المشركين إذلا فضيلة للحالم ولامزية للنائم ولو كان رؤيا منام لما افتتن به أحد من الناس لاضعيف من المسلمين ولا مشرك إذلا يستبعد الناس عادة على نائم يرى نفسه يخترق السماوات او يطير الى نواح بعيدة من الارض اوفى مغاربها فقد ساق حججاً دامغة لرأيه من حيث يشعر اولا يشعر . قال المحاضر (واختلف المتكلمون فى امر الاسراء فروى عن معاوية بن ابى سفيان أن الاسراء كان رؤيا صادقة رآها رسول الله صلى عليه وسلم . وروى عن عائشة ان الاسراء إنما كان بروحه لان جسمه لم يزل فى مكانه ، ونرى ان نتيجة القولين واحدة لان الاسراء بالروح ليس معناه ان الجسم قد مات اذ لم يقل بهذا القول احد لاعائشة ولاغيرها ، وانما تلك الروح الطاهرة اطلعها الله تعالى فى حالة النوم على شىء من الآيات التى هى فى جهات بعيدة عن موطنها ، والرؤيا كما قدمنا نوع من الوحى للأنبياء ويستدل

اصحاب هذ الرأى بقوله تعالى فى السورة نفسها ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس ﴾ ، وقد قال الحسن البصرى راوى حديث الاسراء فانزل فى ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ الخ اه . اقول : القول بأن الاسراء كان مناماً لايقظة منسوب لعائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما وهو قول واحد مقابل لقول جمهور الامة الاسلامية الصحابة فمن بعدهم لاقولان كما هذى به بقوله واختلف المتكلمون فى امر الاسراء وبقوله فروى عن معاوية انه كان رؤيا صادقة ، وروى عن عائشة انما كان بروحه، وبقوله، ونرى ان نتيجة القولين واحدة الى آخر هرائه ، وسيأتى التحقيق فى ابطال نسبة هذا القول لام المؤمنين ومعاوية، ونسأله وأمثاله الذين لايقيمون للرواية وزناً . من اى طريق وصل اليكم ان عائشة ومعاوية كانا يستدلان على ان الاسراء مناما لايقظة بهذه الآية ؟ وهل معناها عند المفسرين محصور فى كون الاسراء مناما لايقظة ؟ وجوابهم ان يقولوا نقله العلماء عنهما فقلنا بما نقلوه فيقال لهم اذاً انتم مقلدون وتقليدكم مبنى على الهواء فان العلماء انما نسبوا اليهما القول بانه كان مناما ولم ينسبوا اليهما انهما احتجا بهذه الآية على رأيهما بل ثبت عنهما كما سيأتى فى كلام القرطبى فى تفسيرها مايدل على ان الاسراء كان يقظة لامناما عكس دعواكم فاذاً قولكم هذا عليهما كذب لامحالة ، واحتجاجكم بها على انه كان مناما فاسد معكوس بل هى حجة ظاهرة لعلماء الاسلام على انه كان يقظة لان الرؤيا فيها لوكان المراد بها المنامية لما افتتن الناس بها ، والرؤيا والرؤية تطلق كل واحدة منهما على الاخرى فى لغة الضاد كقربى وقربة . فعلى فرض حصر نزولها فى حادثة الاسراء معناها رؤية البصر عند علماء الاسلام وذلك لايكون الا فى اليقظة فهى دليل لهم على ان الاسراء يقظة كما قررنا على ان معناها ليس محصوراً فى هذا بل ذكر الرازى فيها اربعة اقوال للمفسرين : هذا ، وقال انه الاصح وقول الاكثرين . الثانى ان الله أرى نبيه فى النوم مصارع مشركى قريش ببدر واقتصر عليه النسفى فى تفسيره . الثالث رؤياه انه يدخل هو واصحابه مكة فلما صده المشركون

عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم فانزل الله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن ﴾ الخ. الرابع انه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه بنى مروان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فقيل له انما هى الدنيا اعطوها فسرى عنه وهذا القول قاله من الصحابه سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه . والثالث والرابع ذكرهما ايضاً القرطبى والخازن فى تفسيريهما والقول بان هذه السورة مكية وهذه الأحوال فى الاقوال الثلاثة إنما كانت بعد الهجرة فلا تصح مجاب عنه بانه لا بعد فى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم.رأى مصارع مشركى قريش ببدر فى نومه ثم تحققت رؤيته بعد الهجرة ، ورأى كذلك انه يدخل مع اصحابه مكة محرمين ثم تحققت بعد الهجرة فى عمرة القضاء ، ورأى كذلك ان له بالمدينة منبراً ينزو عليه بنو مروان ثم تحقق ذلك بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بدهر ، وقول الخضرى قال الحسن البصرى راوى حديث الاسراء فانزل فى ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ الخ . من المضحكات فكانه ماروى حديث الاسراء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلا الحسن البصرى وكانه يعتقده صحابياً لا تابعياً ، والحسن البصرى احد المئين من التابعين الذين رووه عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه خصوصاً وانس واحد من خمسة واربعين صحابيارواه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكل واحد من هؤلاء الصحابة رواه عنه امة من التابعين ورواه عن هذه الامم من التابعين اضعافهم من اتباع التابعين وهلم جراً ، ومن هنا قال أئمة الحديث : ان احاديث الاسراء متواترة ، وكلام الحسن هذا الذى احتج به المحاضر حجة عليه ، لان الحسن احتج به على كون الاسراء يقظة لا مناما . قال القرطبى فى تفسيره مانصه : وفى البخارى والترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس ﴾ قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به الى بيت المقدس ، قال ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ هى شجرة الزقوم.

قال ابو عيسى الترمذى هذا حديث صحيح . وبقول ابن عباس قالت عائشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن ابى نجيح وابن زيد . وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا حين اخبرهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه اسرى به . وقيل كانت رؤيا نوم . وهذه الآية تقضى بفساده ، وذلك ان رؤيا المنام لافتنة فيها ، وما كان احد لينكرها . اه).

قال الخضرى : (وجمهور المسلمين على ان الاسراء كان بجسمه ويستدلون على رأيهم بان الاسراء لو كان رؤية ما كان هناك داع لاستغراب المشركين وضعفاء المسلمين لانه ما الذى يستبعد من اطلاع انسان على اقصى ما فى الارض فى رؤيا يراها اه) اقول ولو لم يرد فى السنة الصحيحة ما يدل على ان الاسراء كان يقظة بجسمه وروحه معا لكانت الآية الشريفة ﴿ سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ﴾ كافية شافية فى ذلك كل مسلم سلمت عقيدته من الزيغ ومن يحاول تأويلها بالمنام إنما هو مكذب لصريح القرآن وللغة الضاد التى نزل بها مشاق لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متبع غير سبيل المؤمنين فما ذكره المحاضر من بعض ادلة علماء الاسلام على كون الاسراء يقظة صحيح وليس استدلالهم محصورا فيما ذكره كما توهمه عبارته بقوله (ويستدلون على رأيهم الخ)، وليست المسألة رأيا كما زعم بل اجماع بعد النص القرآنى الصريح، ومن ادلة علماء الاسلام ان التسبيح لا يكون إلا فى الامور العظيمة ولا يستعظم ما كان مناما، ومنها أن العبد مجموع الجسد والروح عادة ولغة ، ومنها أن مادة اسرى لا تستعمل فى لغة العرب الا فى انتقال الاجسام ، ومنها أن الرؤيا المنامية تستعمل فى الرؤية البصرية فى لغة العرب وقد تقدم ، ومنها فى السنة الثابتة قالت له ام هانىء لاتحدث الناس فيكذبوك ويؤذوك روى الحافظ ابو يعلى وغيره عن ام هانىء انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ضجوا وأعظموا ذلك حتى قال له المطعم بن عدى كل امرك قبل اليوم

كان أيما غير قولك اليوم أنا اشهد انك كاذب نحن نضرب أكباد الابل مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً تزعم انك قد اتيته فى ليلة لا اصدقك. فقال: ابو بكر يامطعم بئس ماقلت لابن اخيك جبهته وكذبته أنا اشهد انه صادق، فسألوه عن صفة بيت المقدس ولم يأته عليه السلام قبل ذلك فوصفه لهم، ومنها سؤالهم له عن عيرهم فاخبرهم بها وانها تصل يوم الأربعاء يقدمها جمل اورق عليه غرارتان فكان كما وصف، ومنها ارشاده اصحاب العير على مكان البعير الذى ند لهم فوجدوه وشربه من إنائهم وهو مغطى وغير هذه.

قال الخضرى (بعض المؤرخين يميلون الى رأى عائشة ومعاوية لا لأنهم يحيلون ان يقع للانبياء امر خارق للعادة، بل لأنهم لا يتمسكون من هذه الخوارق الا بما شاهده رواته عيانا وصرحوا بمشاهدته فى رواياتهم ووصل اليهم من طرق مأمونة الخطأ او صرح به الكتاب اه). اقول: المحاضر مولع بلفظ المؤرخين قال فيما سبق وقد اختلف المؤرخون فى الوقت الذى فرضت فيه الصلاة، وقال ايضا وقد اتفق المؤرخون على وقوع الحادثة ورسول الله بمكة، وهنا قال: بعض المؤرخين يميلون الخ كما انه حذر من تعيين إسم إمامه الذى قلده فى انكار الملائكة والجن والشياطين وانكار الخوارق للعادة وهو «محمد عبده» قال فيما سبق فى بحث الوحى حاكياً عنه خطله فى تعريف الملائكة والشياطين ويسمى بعض فلاسفة المسلمين القوة الخ وقال حاكياً عنه هنا بعض المؤرخين يميلون الى رأى عائشة ومعاوية، وتقدم فى قصة أصحاب الفيل وفى بحث الوحى انه الذى سن لأتباعه هذه المصائب، وقوله لا لأنهم يحيلون ان يقع للأنبياء امر خارق للعادة تمويه وغش بل هم يحيلونها مطلقا نقوله موهما انهم يؤمنون بها بهذه الشروط: بل لانهم لا يتمسكون من هذه الخوارق الا بما شاهده رواته الى آخر الكلام فاسد ومصيبة كبرى فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحق اصحابه رضوان الله تعالى عليهم وهم اس الرواة الذين حملوا الشريعة كلها الينا. وشرحه يلزم من ظاهر كلامه هذا ان يكون كل امر خارق

لم يشاهده الصحابة منه عليه الصلاة والسلام وانما اخبرهم به مستحيلا اى يكون عليه الصلاة والسلام غير صادق فى اخباره نعوذ بالله من فلتات اللسان وفساد الجنان فان كثيراً من الخوارق لم يشاهدها الصحابة منه كاخباره عن الامور الغيبية الماضية والمستقبلة وكتاب الله تعالى مملوء بذلك وسنته عليه السلام كذلك فيلزم تكذيب القرآن ، وتكذيب القرآن يستلزم تكذيب الآتى به ، وتكذيب الآتى به يستلزم تكذيب مرسله وهو الله جل جلاله . ومن الخوارق القرآنية اخباره عليه السلام بحادثة الاسراء هذه فان الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم لم يشاهدوها منه ولم يصرح بها القرآن على رأيهم فتكون مستحيلة. يجب تأويلها وقد اولوها بالمنام وكذلك قصة اصحاب الفيل اخبر بها القرآن الذى أتى به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبينها أحسن بيان لم يشاهدها الصحابة ولم يصرحوا بمشاهدتها وكذلك جميع الآيات التى أهلك الله بها الامم السابقة والآيات التى منحها الله تعالى لرسله وجاءت فى القرآن مفصلة واضحة . لا تقبل التأويل كناقة صالح واهلاك قومه بالصيحة. وعاد بالريح العقيم. والقاء الخليل فى النار . وخوارق موسى كقلب العصا حية . واليد البيضاء . وانفلاق البحر . وغيرها وخوارق عيسى عليه السلام كابراء الاكمه والأبرص واحياء الموتى كل هذه لم يشاهدها الصحابة ولم يصرحوا بمشاهدتها وانما اخبر بها القرآن الذى أتى به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من عند الله واخباره تعالى ليس صريحاً عندهم فيجب تأويلها بما يوافق اهواءهم ، وحملنا الرواة فى شرطيه الاولين (١) ماشاهده رواته عيانا (٢) وصرحوا بمشاهدته فى رواياتهم ، على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هو المتعين لان التابعين ـ فمن بعدهم من الرواة الى وقتنا هذا ـ لا تعقل مشاهدتهم للمعجزة من محمد عليه الصلاة والسلام لانهم لم يدركوا زمنه(٣) قال : ووصل اليهم من طرق مأمونة الخطأ أى وصل الأمر الخارق إلى الرواة من طرق مأمونة الخطأ فان فرضنا الرواة الواصل اليهم الخارق هم التابعون فهو طعن فى عدالة الصحابة رضوان الله عليهم

الذين عدلهم القرآن واثنى الله تعالى عليهم فى آيات كثيرة والطعن فى المعدلين طعن فى المعدل لهم لانهم هم الذين اوصلوه الى التابعين .

فاذا كانوا غير مأمونين من الخطأ فالثقة بهم مفقودة وتعديل الله لهم غير مجد وهذه مصيبة عظمى ، وإن حملنا الرواة الواصل اليهم الخارق على الصحابة أنفسهم فهو مصيبة أعظم لأن الصحابة لا يصل اليهم الخارق من طرق وإنما يصل اليهم من الرسول عليه الصلاة والسلام بمشاهدة ذلك منه والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أمين الله على وحيه لخلقه الصادق فيما بلغه لهم لا يعقل أن يكون طرقا ، فان قيل يحمل هذا الشرط الثالث على أتباع التابعين مثلا بالنسبة للتابعين المشروطة فيهم العدالة والمعنى : ووصل اليهم أى إلى أتباع التابعين من طرق مأمونة الخطأ ، أى من التابعين العدول الضابطين لما رووه عن الصحابة . قلت هذا الاحتمال مخالف لظاهر الكلام يلزم عليه تشتيت الضمائر لأن إرجاع ضمير اليهم فى هذا الشرط إلى أتباع التابعين الذين لم يتقدم لهم ذكر صراحة وإنما دخلوا فى جنس الرواة بعد إرجاعه فى الأول والثانى إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بعيد ، وبهذا ظهر فساد هذه الشروط التى اشترطوها فى إيمانهم بالخوارق كما ظهر فساد قوله . أو صرح به الكتاب ، يعنى أن إيمانهم بالخوارق يشترط فيه ثلاثة شروط (١) مشاهدة رواته للخارق عياناً من الرسول (٢) وتصريحهم بمشاهدته فى رواياتهم ، (٣) ووصوله اليهم من طرق مأمونة الخطأ ، أو تصريح القرآن به فانه يقوم مقام الشروط الثلاثة ، وهذا كله تمويه منهم وذر الرماد فى العيون . والحقيقة إنهم لا يؤمنون بها مطلقا وأى تصريح يؤمنون به أوضح من سبحان الذى أسرى بعبده ، وقد أولوه بالروح مناما وأى تصريح يطلبون فوق تصريح الله بحادثة أصحاب الفيل وقد زادوا على نصوصها ما لم يقله الله تعالى .

وأى تصريح يطلبون فوق تصريح الله بقصة الملائكة وآدم وابليس

وقد قال إمامهم فيها انها كلها تصوير وتمثيل وأى تصريح يقصدون وقد قال أيضا فى نفخ إسرافيل فى الصور : إنه تمثيل لبعث الله تعالى الناس يوم القيامة بسرعة وأى تصريح يصدقون به فوق إخبار الله بتفتيح السماء أبوابا عند القيامة وانفطارها وانشقاقها ، وقد قال أيضا تفتيح السماء عبارة عن تغيير نظام الكون وانفطارها وانشقاقها فساد تركيبها واختلال نظامها ، وأى تصريح يطلبون فوق انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام وقد قال فيه أيضا إنه عبارة عن المد والجزر الطبيعيين ، وأى تصريح يريدون فوق ﴿ قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وقد أولوها بمعنى ظهر الحق وأى تصريح يطلبون فوق نصوص القرآن الكثيرة الدالة على ان الملائكة والجن والشياطين أجسام وقد أولوها بقوى معنوية ، فهل أبقوا فى القرآن صريحا بعد هذا الخبط العظيم حتى يتمسكوا به وهل أبقوا بعد هذا الوثوب على النصوص القرآنية بالتأويلات الفاسدة للباطنية شيئا لم يوافقوهم عليه ، قال الخضرى حاكيا حجج مشايخه المائلين لرأى عائشة ومعاوية رضى الله عنهما (قالوا إن إقدام عائشة ومعاوية على القول بأن الاسراء كان رؤيا صادقة يدل على أن هذا القول لم يكن بدعا فى زمنهما لانه لم ينقل الينا التاريخ أن أحداً قام فى وجهما راداً عليهما رأيهما ، بل بالعكس رأينا ابن اسحق يقول فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن ان هذه الآية : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناكها ﴾ الخ . أنزلت فى ذلك اه .) أقول رأى عائشة رضى الله تعالى عنها هذا الذى تمسك به المنكرون للخوارق موضوع عليها قال الحافظ بن دحية فى كتابه التنوير انه موضوع عليها وقال فى معراجه الصغير قال إمام الشافعية ابو العباس بن سريج : هذا حديث لا يصح وانما وضع رداً للاحاديث الصحيحة ، وأجاب بعض العلماء على تقدير صحته بأربعة أوجه : الأول العلة القادحة فى متنه ، الثانى انقطاع فى سنده ، الثالث راو واهٍ فى سنده ، الرابع قولها بضده ،

أما الاول فاضطراب الرواية عنها فى رأيها هذا فقد روى عنها ما فقد جسده الشريف ولكن أسرى بروحه وعلى هذه الرواية لم تكن حدثت به عن مشاهدة وانما حدثت به عن غيرها وعلى هذا فلا يرجح رأيها والحالة هذه على رواية خمسة وأربعين صحابيا فى مقدمتهم الخلفاء الأربعة إلا زائغ جاهل جهلا مركبا أو معاند لا يقيم للصحابة والأمة الاسلامية جمعاء وزناً ، وروى عنها ما فقدت ببناء الفعل للفاعل وضم التاء وهذه الرواية تقتضى أن الاسراء كان بعد دخوله عليه الصلاة والسلام بها ودخوله بها إنما كان بعد الهجرة وعمرها تسع سنين وقد أجمع العلماء على أن الاسراء كان قبل الهجرة وبعد البعثة وحينئذ تحقق بطلان هذه الرواية أيضا وظهر الاضطراب فى الرأى .

٢ ـ وأما انقطاع السند اليها فذلك ظاهر من قول ابن اسحاق حدثنى بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول الخ : فقوله أن عائشة ، هذا انقطاع فى السند قطعاً لان هذا البعض المنسوب لابى بكر لم يصرح بسماعه من عائشة فيحتمل على أقل تقدير أن يكون الساقط فى السند بينه وبينها راوياً واحداً وقد حذفه ولم يسمه على أن هذا البعض المنسوب للصديق مجهول .

٣ ـ وأما الراوى الواهى فهو ابن اسحاق فجمهور أئمة الرواية على أنه غير ثقة فى الحديث رغم كونه إماماً فى السيرة .

٤ ـ وأما قولها بضد هذا الرأى المنسوب اليها فقد تقدم فى كلام القرطبى الذى نقلناه فى تفسير قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ إنها هى ومعاوية والحسن البصرى رضى الله تعالى عنهم قالوا كالجمهور انها رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وثبت عنها فى الصحيح من طريق مسروق انه سألها هل رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج فأنكرت ذلك أشد الانكار وقالت من زعم أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله فلو كان الاسراء والمعراج عندها مناما كما زعموا فى هذه الرواية التى نسبوها اليها لم تنكره لان رؤيا الله تعالى فى المنام جائزة باتفاق العلماء .

فان قيل قال الله تعالى ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ فجعل مارآه للقلب وهذا يدل على أن الاسراء كان مناماً . فالجواب ان هذا يرده امران، الاول قال المفسرون فى تفسيرها : معناها لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها . الثانى : قوله تعالى ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ فانه تعالى أسند الرؤيا للبصر على أن عائشة رضى الله تعالى عنها لم تحدث بهذا الرأى المنسوب اليها عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما معاوية رضى الله عنه فقد كان وقت الاسراء كافراً غير مشاهد له أو شاهده ولكنه كان إذ ذاك من جملة المكذبين له ، ولم يحدث به أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم وإنما هو رأى رآه . فعلى فرض صحته هل يسوغ لمسلم أن يدفع به رواية خمسة وأربعين صحابيا فيهم ساداتهم : علماؤهم الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبى ابن كعب وابن عمر وابن عباس وابن عمرو وجابر بن عبدالله وأبو ذر وحذيفة وأبو سعيد وأبو الدرداء ، وفيهم أبوه أبو سفيان ؟ ! (وقول الخضرى يدل على أن هذا القول لم يكن بدعا فى زمنهما لانه لم ينقل الينا التاريخ أن أحداً قام فى وجههما رادا عليهما رأيهما) تهويش أجوف ، يقابل بالبرهان الآتى ، فيقال : ولم تكن رواية خمسة وأربعين صحابيا بدعا فى ذلك الزمان ولم ينقل التاريخ أيضا أن عائشة ومعاوية حيث كانا محقين فى رأيهما . انهما قاما فى وجه هذا الجم الغفير من الصحابة القائلين بأنه كان يقظة رادين عليهم . ولم ينقل التاريخ أيضا انهما نفيا الاسراء يقظة ، ولو فعلا ذلك فرضا لرد عليهما صريح القرآن ، واللغة التى نزل بها والمسلمون جميعا .

ونحن نتحدى كل متشبع بما لم يعط أن ينقل لنا هذا ، ولو عن واحد من أئمة الرواية الاقدمين . واحتجاجه بقول ابن اسحاق بقوله (بل بالعكس رأينا ابن اسحاق يقول فلم ينكر ذلك من قولهما) ساقط : لان ابن اسحاق غير ثقة فى الحديث كما تقدم ولا هو من فقهاء الدين ، فلا عبرة بنقله هذا عنهما ، ولا برأيه الموافق لهما .

وقوله لقول الحسن فأنزل الله فى ذلك : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى ﴾ الخ صحيح . ولكن لاحجة له فى استشهاد الحسن بها على مدعاه . لأنه احتج بها على الذين ارتدوا فى حادثة الاسراء .

وهذا دليل على أنه كان يراه يقظة لا مناما ، وقد تقدم ذلك عنه وعن عائشة ومعاوية فى كلام القرطبى .

قال الخضرى مطرياً عائشة ومعاوية رضى الله عنهما : (وعائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وإن لم تكن كذلك حين وقوع الحادثة ـ أدرى الناس بما كان من حوادثه التى أكرمه الله بها فمن البعيد أن تكون أقدمت على هذا القول من غير توقيف منه ، والمعروف عنها انها كانت تسأله عن مشكلات القرآن فيفسرها لها . ومعاوية كان خليفة للمسلمين . فيبعد أن يظهر برأى يتفق على خلافه جمهور أمته ، خصوصاً فى مثل هذه الحادثة الكبرى ، ثم لا يقوم فى وجهه الصحابة معارضين ، على حين أنهم كانوا يردون عليه القول رداً شديداً فى أيسر الأمور . فكيف بهذا الأمر الجليل اه) .

أقول : قد تقدم بطلان هذا الرأى عن عائشة ، فقوله : وعائشة زوج النبى ، وإن لم تكن كذلك ، إلى آخر ما يتعلق بها كله هراء . . وقوله : (وان لم تكن كذلك حين وقوع الحادثة) جواب عن قول العلماء : انها لم تكن وقت حادثة الاسراء فى سن من يضبط . لأنها صغيرة ، أو لم توجد أصلا وقولهم هذا حق . وقوله : (أدرى النـــاس بما كان من حوادثه التى أكرمه الله بها) دعوى عريضة عليها رضى الله عنها ، لا ترضى هى أن تدعيها على أى واحد من الصحابة ، فكيف بعلمائهم ؟ ! فكيف على أبيها أعلم الخلق بعد الأنبياء . لفضلها وأدبها وحيائها .

ولو قال المحاضر : عالمة من علماء الصحابة لكان أقرب إلى الحق . أما أدرى الناس فمجازفة .

والحقيقة انها عالمة مبرزة خصوصاً فيما يتعلق بمسائل النساء . ولا نكون مجازفين ان شاء الله إذا قلنا فى كل واحد من الخلفاء الاربعة وابن مسعود ، وابن عباس انه أعلم منها على أنها لو كانت أدرى الناس على الاطلاق لايجديه شيئاً .

وقوله : فمن البعيد أن تكون أقدمت على هذا القول من غير توقيف منه - أى : من النبي صلّى الله عليه وسلم ، جوابه أن نقول : من أبعد البعيد أن يقدم هذا الجم الغفير من الصحابة على القول بأن الاسراء كان يقظة من غير توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله : والمعروف عنها انها كانت تسأله عن مشكلات القرآن فيفسرها لها صحيح ، هذا فيها وفى جميع علماء الصحابة فيصح أن يقال فى كل واحد منهم : انه كان يسأله عليه الصلاة والسلام عن مشكلات القرآن فيفسرها له فلا ميزة لها فى هذا على غيرها .

وقوله : (ومعاوية كان خليفة للمسلمين تقدم بطلان نسبة هذا الرأى لمعاوية رضى الله عنه ، وإذا كان رأى عائشة الصديقة بنت الصديق التى هى أعلم من معاوية بكثير باطلا ، فرأى معاوية أشد بطلانا . وإذا كان الترجيح بالخلافة فلا شك أن قول واحد من الخلفاء الأربعة فى هذه الحادثة يرجح قطعاً على رأى معاوية فيها لو صح ، فكيف باتفاق الاربعة فيها ؟ ! . . ولا نظن مسلما يبلغه اتفاقهم فى مسألة من مسائل العلم دون هذه . ومخالفة أى صحابى لهم فيها يقدم رأى ذلك المخالف لهم فيها على اتفاقهم .

وقد جاءت أحاديث كثيرة عنه عليه السلام حاثة على ملازمة الجماعة والسواد الأعظم من المسلمين ، ومحذرة من الشذوذ لا حاجة لذكرها . منها ما يخص الخلفاء الراشدين : (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) وهو بعض حديث طويل أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح اه . ومنها خصوصا فى الشيخين :

(اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن حذيفة . زاد العقيلى : (واهتدوا بهدى عمار وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه) ورواه الرويانى بلفظ (اقتدوا باللذين من بعدى من أصحابى ـ أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتعهدوا بعهد ابن مسعود) وبهذا اللفظ أخرجه الترمذى عن ابن مسعود والطبرانى عن أنس . وله من حديث أبى الدرداء : (اقتدو باللذين من بعدى أبى بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها)

وقوله : (فيبعد ان يظهر برأى يتفق على خلافه جمهور امته ، خصوصاً فى مثل هذه الحادثة الكبرى ، ثم لا يقوم فى وجهه الصحابة معارضين الخ الكلام) تهويش أجوف . وذلك ان ظهوره بهذا الرأى فرع عن ثبوته عنه ولم يثبت من أصله وعلمه باتفاق الصحابة مهاجرين وأنصارا مع تقدير ثبوته عنه يبعده كل البعد عن الشذوذ عنهم ومضادتهم وقيامهم فى وجهه معارضين له مفرع عن تحديه لهم برأيه وتحديه لهم به مفرع عن ثبوته عنه ولم يثبت فلم يقع تحديه لعدم الثبوت ...

وقوله : (على حين انهم كانوا يردون عليه القول رداً شديداً فى أيسر الأمور ، فكيف بهذا الأمر الجليل) صحيح يردون عليه ولكن فى المسائل العظيمة لا فى أيسر الأمور كما سنذكر بعضاً من ذلك. على انه لو صح عنه من الممكن ان يكون غير عالم باتفاق الصحابة المخالف له وعلى تقدير علمه باتفاقهم يمكن ان يظن انه موافق لرأيه ، وخفاء هذا على كلا الاحتمالين عليه غير بعيد .

قال العلماء : كان معاوية رضى الله عنه يرى ان النهى والتحريم فى بيع الذهب والفضة متفاضلا انما هو فى الدينار المضروب والدرهم المضروب ، لا فى التبر من الذهب والفضة بالمضروب ولا فى المصوغ بالمضروب ، حتى وقعت له قصة فى خلافة الفاروق مع عبادة بن الصامت رضى الله عنه وذلك : انه غزا الروم وفى جيشه عبادة ، فغنموا غنائم كثيرة . منها أوان من فضة

فأمر معاوية ببيعها فى أعطيات الناس فتنازع الناس فى ذلك فبلغ عبادة ابن الصامت ذلك ، فقام وقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواء بسواء عينا بعين،من زاد أو ازداد فقد أربى .

فرد الناس ما اخذوا فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً فقال : (ألا ما بال رجال يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث قد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه) فقام عبادة واعاد القصة ثم قال : (لنحدثن بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان رغم معاوية . ما ابالى ان لا أصحبه فى جيشه ليلة سوداء) قال قبيصة بن ذؤيب :إن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنكر على معاوية شيئا فقال له : لاأساكنك بأرض أنت فيها ورجع الى المدينة ، فقال له أمير المؤمنين عمر : ماأقدمك ؟ ! فأخبره فقال : (ارجع الى مكانك ، قبح الله أرضاً لست فيها ياعبادة ولا أمثالك) وكتب الى معاوية : (لاإمارة لك على عبادة !)

خرج هذه القصة الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه وغيره من أئمة الحديث.

وقد وقعت لمعاوية قصة مثل هذه مع ابى الدرداء رضى الله عنه

فهذا يبطل جعجعة غلوه فى إطراء معاوية . ولم يختلف العلماء فى كون فعل معاوية فى هذه القصة غير جائز ، وانه غير مستنكر ولا مستبعد ان يخفى على معاوية ماقد علمه عبادة وابو الدرداء رضى الله عنهما وهما أعلم وأفضل منه ، فإنهما جليلان من فقهاء الصحابة وكبارهم .

وقد خفى على شيخى الإسلام : الصديق الأكبر والفاروق ماوجد عند غيرهما ممن هو دونهم من الصحابة ، فمعاوية أحرى ! ..

وحيث قد أبطلت الكثير من كلامه فى حادثة الاسراء ، فلا حاجة الى تتبع بقية خطله ...

قال الخضرى فى آخر هذه المحاضرة : (مما شرع فى آخر أيامه بمكة : الاذن له بالقتال) قلت : الاذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال انما شرع بالمدينه فى أو السنة الثانية للهجرة فى شهر صفر ، فكلامه غير صحيح ...

المحاضرة الثانية عشرة

فيها فى غزوة بدر ستة مآخذ على الخضرى . الأول :وعدالله للمؤمنين باحدى الطائفتين . إما العير وإما النفير إى : الجيش . وقد تحققهذا الوعد فى الجيش بقتل سبعين منهم واسر سبعين . قال تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ وهذا الوعد من المعجزات القرآنية الغيبية التى وقعت وتحققت كما أخبر تعالى .

الثانى : رؤيته عليه السلام مصارع القوم ببدر قبلها وتعيينها لأصحابه فى محل المعركة بعد ان استشار عليه السلام أصحابه فى الطريق وهوذاهب الى بدر ، فأجابوه بالسمع والطاعة ، وبما يقر عينه فى جهاد المشركين . قال لهم عليه السلام : سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم .

أخرج الامام مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه : ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثه عن اهل بدر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس،يقول : (هذا مصرع فلان غداً ان شاء الله تعالى ، وهذا مصرع فلان غداً ان شاء الله تعالىوهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى) قال عمر رضى الله عنه : فوالذى بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التى حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : تمثل الشيطان لقريش قبيل الحرب بصورة سراقة بن مالك ابن جعشم أحد رؤساء بنى بكر بن كنانة ورئيس بنى مدلج منهم ، وذلك ان بنى بكر بن كنانة كانت لهم دماء عند قريش . فلما وصلت قريش الى بدر تذكروا الدماء التى لبنى بكر عندهم فخافوا منهم ان يغيروا على مكة بعدهم ليأخذوا بثأرهم منهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة المذكور

وقال لهم : انا جار لكم من بنى بكر بن كنانة من ان يأتيكم منهم شيء تكرهونه . قال الله تعالى : ﴿ واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ﴾ اى : من بنى كنانة ﴿ فلما تراءت الفئتان ﴾ اى : التقى الجمعان ، ورأى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء نكص على عقبيه وقال : انى برىء منكم ، رجع مدبرا هاربا ، وكانت يده فى يد الحارث بن هشام المخزومى ، فقال له الحارث : أفراراً ياسراقة من غير قتال ؟ ! فقال : ﴿ أنى أرى مالاترون انى اخاف الله والله شديد العقاب ﴾ .

وفى موطأ الامام مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(مارأى الشيطان نفسه يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفه ، وماذاك الا لما رآى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا مارآى يوم بدر) .. قيل ومارآى يوم بدر يارسول الله؟اقال:(اما إنه رأى جبريل يزع الملائكة) ومعنى يزع الملائكة يكفهم ويصفهم للقتال . والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصلحه .

الرابع : نزول الملائكة مدداً للسلمين ، مقاتلين كقتال الانس . قال تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ المستغيث هو النبي صلى الله عليه وسلم .

روى الامام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : (لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف وأصحابه ثلاثمائةوبضعة عشر رجلا، فاستقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديده فجعل يهتف بربه يقول : (اللهم أنجزلى ماوعدتنى . اللهم آتنى ماوعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد فى الأرض) ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه ابو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك

ماوعدك فأنزل الله تعالى : ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ فأمده الله بالملائكة .

قال سماك حدثنى ابن عباس رضى الله عنهما قال : بينا رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى إثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه ـ وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم ، إذ نظر الى المشرك أمامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف ، فأحصى ذلك أجمع. وجاء فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء ـ الثالثة . ومعنى : ﴿ مردفين ﴾ متتابعين تأتى فرقة بعد فرقة .

وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله سينجز لك ماوعدك ، خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو فى العريش ثم انتبه فقال : ياأبا بكر اتاك نصر الله : هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع .

وأخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب .

وممن رأى الملائكة يومئذ من المشركين أبو سفيان بن الحارث ، وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما . وممن رآهم من الصحابة أبو أسيد الساعدى رضى الله عنه ، قال بعدما ذهب بصره لأصحابه لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة . قال الله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ والسيما العلامة .

الخامس : رميه صلى الله عليه وسلم قريشاً بكف من تراب . قال له جبريل عليه السلام : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى به عليه السلام وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه يعنى : قبحت الوجوه ، فلم يبق مشرك

إلا ودخل فى عينه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء ، فأنزل الله تعالى فى ذلك:﴿ وما رميت ـ اذ رميت ولكن الله رمى ﴾ يعنى ماأوصلت التراب إلى جميع المشركين برميتك ولكن الله (رمى) اى : أوصلها اليهم. فصورة الرمى صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها فى المشركين صدر من الله تعالى فنفيه عنه صلى الله عليه وسلم باعتبار التأثير واثباته له باعتبار الكسب ، واثباته لله تعالى باعتبار الخلق والإيجاد فوصوله الى جميع المشركين آية من آيات الله .

السادس : قاتل عكاشة بن محص الأسدى يوم بدر بسيفه حتى انقطع فى يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا اى عرجونا وقال له : قاتل به فهزه فعاد فى يده سيفاً طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى : (العون) ولم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده فى زمن ردة العرب فى خلافة الصديق .

هذا كله لباب من سيرة النبى.والتاريخ تركه المحاضر ... لانه لا يؤمن به وقد أشار الى الملائكة بعبارة تنطبق على رأيه بقوله : (وزادهم الله تثبيتاً حين الموقعة بما أيدهم به من الملائكة تثبت قلوبهم وتفيض عليهم الطمأنينة والثقة الخ) فالذى يقرأ عبارته هذه قراءة سطحية يظن أنه يؤمن بالملائكة ، اى : انهم اجسام ولاسيما من اولها الى قوله : (بماايدهم به من الملائكة) ولكن اذا أمعن النظر فى قوله (تثبت قلوبهم وتفيض عليهم الطمأنينة والثقة) وجد السم مدسوسا فى الدسم انالذى ثبت قلوب الصحابة وأفاض عليهم الطمأنينة والثقة هو الله عز وجل لا الملائكة الذين هم قوى طبيعية عندهم لااجسام كما دلت عليه نصوص القرآن العربى المبين . ومن يحاول تأويل﴿ مردفين ﴾ و﴿ مسومين ﴾ و﴿ منزلين ﴾ بقوى معنوية فانه عابث بنصوصه ولغته عبثا قبيحا ، وأشد منه عبثا من يؤول ﴿ أنى ممدكم بألف من الملائكة ﴾ و ﴿ اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة

آلاف من الملائكة ﴾ و ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ﴾ .
فان المفهوم من العدد والمعدود عقلا ولغة فى هذه المواضع انما هو الذوات . فلو كان المراد بهذه المعدودات كلها قوى طبيعية لكانت هذه النصوص إطنابا ينافى بلاغة القرآن وإيجازه ، ولكان اللازم على مذهبهم التعبير بالأخصر فيقال مثلا : يمددكم ربكم بقوى طبيعية، والقوى الطبيعية لاتتوقف على عد وحد مخصوص .

وماذا يصنع هؤلاء فى قوله تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها ﴾ ؟! فهل يعقل فى هذه الجنود المرسلة من الله على المشركين ان تكون اموراً معنوية؟! وهل يعقل ان تقابل جنود المشركين بجنود طبيعية لم يرها المشركون والمسلمون فان كانت هذه الجنود قوى معنوية كما زعموا فنفى رؤيتها عن الفريقين المشركين والمسلمين حينئذ عبث أو تحصيل الحاصل وتكون هذه الجملة فى كتاب الله تعالى : ﴿ لم تروها ﴾ زائدة لامعنى لها . لأن الأمر المعنوى ليس من شأنه أن يرى وانما تنفى الرؤية عما من شأنه ان يرى . فدلت الآية على ان هذه الجنود المرسلة من الله على الأحزاب اجسام غير مرئية ، ولامانع من هذا عقلا ، وقد دل عليه السمع .

المحاضرة الثالثة عشرة

وفيها فى غزوة أحد على المحاضر سبع مآخذ : الاول : صراخ إزب العقبة (شيطانها) لما قتل ابن قمئة الليثى مصعب بن عمير العبدرى رضى الله عنه وهو حامل لواء المسلمين فظن ابن قمئة انه قتل النبى صلى الله عليه وسلم فصاح ألا أنى قد قتلت محمداً ، مبشراً للمشركين وقيل أن الصارخ هو إبليس الأكبر وبه جزم ابن سعد ، وجزم ابن هشام فى سيرته بالاول . ولا منافاة بين هذه الأقوال فالثلاثة صاحوا : ابن قمئة لظنه الخائب ، وإزب العقبة وإبليس لمحاولة مالم يصلا اليه .

وصاح إبليس أيضاً كما فى صحيح البخارى أى عباد الله أخراكم ، أى احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون.

الثانى رؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجمعة فلما أصبح قال قد رأيت بقراً تذبح ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة . فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وأولت الدرع الحصينة المدينة . وقد اعترف المحاضر فى أنواع الوحى التى ذكرها سابقاً بأن رؤيا الأنبياء من أقسام الوحى وهى حق فتركه لهذا التاريخ العظيم هنا مع اعترافه به هناك تناقض منه ، وإنما تركه لأن فيه علماً من أعلام نبوته وهو إخباره صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الأمور قبل وقوعها فوقعت كما أخبر ، وهو مع طائفته منكرون لأعلام النبوة كلها وإن كانت متواترة .

الثالث : أصيبت عين قتادة بن النعمان الأوسى رضى الله عنه بسهم يومئذ حتى وقعت على وجنته فأتى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها عليه الصلاة والسلام بيده وردها إلى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً ، وقد وفد حفيده عاصم بن عمر بن قتادة على عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له عمر : من الرجل ؟ فقال عاصم :

«أنا ابن الذى سالت على الخد عينه   فردت بكف المصطفى أحسن الرد»
«فعادت كما كانت لأول أمرها   فياحسن ماعين و ياحسن ماخد»

فقال عمر : «تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا»

ووصله وأحسن جائزته .

الرابع : رمى أبورهم الغفارى بسهم فوقع فى نحره (فسمى المنحور) فبصق صلى الله عليه وسلم عليه فبرىء .

الخامس : انقطع سيف عبد الله بن جحش رضى الله عنه فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجوناً فعاد فى يده سيفاً فقاتل به حتى قتل وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى أحد أمراء المعتصم بالله فى بغداد بمأتى دينار ، وهذا نحو حديث عكاشة السابق فى غزوة بدر إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العون ، وهذا يسمى العرجون .

السادس : حضور الملائكة عليهم السلام يومئذ فى صورة البشر ، أخرج الامام مسلم بن الحجاج فى صحيحه فى كتاب المناقب عن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل يقاتلان عنه كأشد القتال ،

السابع : قصة قزمان . قال ابن اسحاق حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال كان فينا رجل أتى لا يدرى ممن هو يقال له قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له : انه لمن أهل النار . قال فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، قال فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فابشر ، قال بما ذا أبشر فوالله إن قاتلت الا عن أحساب قومى ولولا ذلك ما قاتلت . قال فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه اه . من سيرة ابن هشام بالحرف .

المحاضرة الرابعة عشرة

قال الخضرى فيها فى غزوة الخندق (وجاءت غطفان حتى نزلوا بذنب نعمى الى جانب أحد) . الصواب نقمى بفتح النون والقاف والميم مقصوراً وقد ترك فى هذه الغزوة من لباب سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ست مسائل مهمة لانها لا توافق هواه

الأولى : ثبت فى الصحاح والمسانيد أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما كانوا يحفرون الخندق عرضت لهم فى بعض الخندق كدية شديدة صخرة لا تأخذ فيها المعاول فشكوها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عليه السلام وبطنه معصوب بحجر فقال بسم الله وضربها بالمعول فقطع ثلثها وخرج منها نور أضاء مابين لا بتى المدينة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال الله اكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن .

ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتى المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة .

الثانية : خبر الحفنة من التمر الذى جاءت به ابنة بشير بن سعد لابيها وخالها عبدالله بن رواحة ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ فى أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل يزيد حتى صدروا عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب رواه بن اسحاق .

الثالثة : شبع أهل الخندق من الصحابة وهم الف من صاع شعير وعناق . أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى

عنهما قال رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نحفر الخندق يوماً خمصاً شديداً فانكفيت إلى امرأتي فقلت هل عندك شيء فاني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديداً فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحها وطحنت الشعير حتى جعلت اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : يا أهل الخندق إن جابراً صنع سورا فحيهلا بكم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء ثم جاء وأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادعى خابزة فلتخبز معك واقدحي أي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وأن برمتنا لتغط كما هي وأن عجيننا ليخبز كما هو .

الرابعة : حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وفيه آيات عظيمة .
أخرج الامام مسلم في صحيحه عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت ، فقال حذيفة أنت كنت تفعل ذلك ، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه أحد فقال قم ياحذيفة فاتنا بخبر القوم فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم قال : اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي ، قال فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد القوس وأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تذعرهم علي ، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا امشي في مثل الحمام ، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت

عليه يصلى فيها ، فلم أزل نائماً حتى أصبحت ، فلما أصبحت قال : قم يانومان وذكره ابن هشام فى سيرته مطولا .

الخامسة : قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً ﴾ وهى ريح الصبا .

أخرج أحمد والشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) ﴿ وجنوداً لم تروها ﴾ يعنى الملائكة عليهم السلام ، ولم يقاتلوا وإنما كانوا يكبرون فى جوانب جيش المشركين ، والريح قلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القدور ، وماجت الخيل بعضها فى بعض ، وكثر تكبير الملائكة فى جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حى يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا إلى فاذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء ، فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب . وفى صحيح الامام البخارى عن عبدالله ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال: (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم) . وروى الامام احمـــد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

قلنا يوم الخندق ، يارسول الله هل من شىء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر ، فقال نعم قولوا : (اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) قال فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح .

السادسة : أخرج الامام البخارى فى صحيحه عن سليمان بن صرد والبزار باسناد حسن عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال بعد انصراف تلك الجموع التى تحزبت عليه خائبين ، وكانوا قدجمعوا له جموعاً كثيرة (لا يغزونكم بعدها أبداً ولكن أنتم تغزونهم) فكان الأمر كما قال عليه السلام . قال الخضرى فى قصه لغزوة الخندق ما نصه :

(وقد استفزت النعرة بعض الشبان من قريش فاقتحموا الخندق بأفراسهم

فمنهم من وقع فيه وأندق عنقه ، ومنهم من برز له شجعان من المسلمين فقتلوه ومنهم من فر اه) . أقول كلامه هـــذا مشتمل على خطأين وإبهام وإيهام وتدليس . أحد الخطأين فى قوله بعض الشبان من قريش . من أنباه إنهم كانوا شباناً بل كانوا رجالا وهم عمرو بن عبد ود العامرى وهو كبشهم وأسنهم وكان شيخاً منادما لأبى طالب ولذلك قال لعلى رضى الله عنه لما بارزه وعرفه : ارجع يا ابن أخى فان أباك كان صديقا لى فوالله ما أحب أن أقتلك ، فقال له على لكنى والله أحب أن أقتلك وهو المقتول وحده من بينهم ، وهذا مما أطبق عليه كتب السير والتاريخ وهو فيها أشهر من نار على علم . وضرار بن الخطاب الفهرى الشاعر وعكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب ، ونوفل ابن عبد الله المخزوميون ، وهذا الأخير هو الذى سقط فى الخندق بعد رجوعه منهزما مع رفقائه لما قتل كبشهم لا فى اقتحامه أولا كما تدل عليه عبارته وهذا هو الخطأ الثانى فى كلامه . وأما الابهام فيه ففى قوله (فمنهم من وقع فيه واندق عنقه ، ومنهم من برز له شجعان من المسلمين فقتلوه) وفى قوله (ومنهم من فر) وأما الايهام فالتعبير بمن التى هى من صيغ العموم ودالة على الجمع إلا بقرينة تعين إنها للمفرد ، ولا قرينة فى كلامه بل فيه ما يعينها للجمع وذلك فى قوله (ومنهم من برز له شجعان من المسلمين) فمقابلة قوله من برز له شجعان من مقابلة الجمع بالجمع قطعا وحينئذ ينحل كلامه هكذا : المقتحمون للخندق من شبان قريش اندقت أعناق جمع منهم ، وجمع منهم برز لهم شجعان من المسلمين فقتلوهم ، وجمع منهم فر . وهو فاسد فى الأولين كما بينا ، صحيح فى الثالث فان الفارين ثلاثة . عكرمة وابن عمه هبيرة بن أبى وهب وضرار بن الخطاب . وأما ارتكابه التدليس فهو لنصبه لأمير المؤمنين حيدرة رضى الله عنه وسيأتى هذا واضحا فى فى محاضراته ولو قال مثلا : وقد اقتحم فوارس من قريش الخندق منهم عمرو بن عبد ود فقتله على مبارزة وفر رفقاؤه فسقط منهم فى الخندق نوفل ابن عبد الله فاندقت عنقه لكان موافقا لأهل السير وسلم من الخطأ والإبهام

والايهام والتدليس ، وأى ضرر عليه فى هذا التعبير .

قال الخضرى : (وبعد الانصراف من الآحزاب انضم إلى صفوف المسلمين قائدان عظيمان من قواد قريش وهما عمرو بن العاص السهمى وخالد بن الوليد المخزومى وذلك يدل أن الحرب قد شرعت تضع أوزارها بين الفريقين وقد كان ذلك. فانه لم تحصل مواقف مهمة بين الفريقين بعد ذلك اه) . أقول دل قوله (وبعد الانصراف من الآحزاب الخ) على أن خالداً وعمراً أسلما عقب غزوة الخندق مباشرة وهو غير صحيح على كلا القولين فى وقت وقوع غزوة الأحزاب هل كانت فى السنة الرابعة للهجرة كما قاله مالك الامام وموسى بن عقبة فى مغازيه وغيرهما ، أو كانت فى السنة الخامسة وهو قول ابن اسحق وأكثر العلماء، وإنما أسلم عمرو وخالد بعد الحديبية وكانت هذه فى السنة السادسة ، وقيل أسلما بعد غزوة خيبر وكانت فى السنة السابعة أى قبل الفتح ، ويدل لهذا إنه لم يكن لهما ذكر فيها . قال الحافظ بن حجر فى إصابته فى ترجمة خالد : كان أحد أشراف قريش فى الجاهلية وكان إليه أعنة الخيل فى الجاهلية وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية كما ثبت فى الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة ، ثم أسلم فى سنة سبع بعد خيبر وقيل قبلها ووهم من زعم إنه أسلم سنة خمس اه) .

والذى اوقع الخضرى فى هذا الخطأ اختطافه اول كلام ابن هشام فى سيرته عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : (لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش الخ) وغفلته عن آخره وهو (ثم خرجت عامداً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة الخ) كما دل على انه لم يكن معهما أحد وهو غير صحيح أيضاً . والنقل المعروف : ان خالداً وعثمان بن طلحة العبدرى خرجا من مكة مترافقين قاصدين المدينة للهجرة والاسلام فلما وصلا عسفان لقيهما عمرو بن العاص قادماً من الحبشة مسلماً على يد النجاشى وكان نزل بالساحل ولم يعرج على مكة قاصداً مايقصدانه ، فقال

عمرو لخالد الى اين يا أبا سليمان . قال والله لقد استقام الميسم اى العلامة اي قد تبين الأمر واستقامت الدلالة وروى بفتح الميم والنون اى استقام الطريق ووجبت الهجرة فان الرجل لنبي أذهب والله فأسلم فحتى متى ، قال عمرو قلت والله ماجئت الا لأسلم الخ . وقد لام عبد الله بن الزبعرى السهمى رضى الله تعالى عنه وهو اذ ذاك مشرك عثمان بن طلحة وخالداً على اسلامهما بأبيات مذكورة فى سيرة ابن هشام منها .

فلا تأمنن خالداً بعـــد هذه وعثمان جاءا بالدهيم المعضل

وقوله : (قائدان عظيمان من قواد قريش) القائد الذى يوصف بالعظمة انما يطلق غالبا على القائد الاعظم للجيش ولم يكن عمرو بن العاص قبل اسلامه قائدا صغيراً من قواد قريش فضلا عن كونه عظيما وانما كان رسولا لهم الى النجاشي بل ولا خالد وانما كانت له اعنة الخيل كما قال ابن حجر وقائد الخيل مندرج فى طاعة القائد الأعظم للجيش . واول تولية خالد قيادة خيل المشركين فى غزوة احد ، ثم الخندق ، ثم الحديبية خرج طليعة لقريش الى مر الظهران ، ومعلوم ان القيادة العظمى لجيش قريش كانت فى بدر اول الأمر لعتبة بن ربيعة وهو من بنى عبد مناف ثم لما قتل مبارزة قبل اشتباك الحرب تولاها ابو جهل بن هشام وهو ابن عم خالد ، وفى غيرها من الوقائع الى الفتح تولاها ابو سفيان بن حرب وهو أيضا من بنى عبد منـاف . وقوله : (وذلك يدل ان الحرب قد شرعت تضع أوزارها بين الفريقين وقد كان ذلك . فانه لم تحصل مواقف مهمة بين الفريقين بعد ذلك) غير صحيح فمن اين له هذه الدلالة وكانت قريش مع حلفائهم مصممين على محاربته صلى الله تعالى عليه وسلم معتزين بقوتهم وشوكتهم حتى يوم الفتح لما جاءهم ابو سفيان رئيسهم مسلماً ناصحاً لهم مشفقا عليهم آمراً لهم بالتسليم قائلا أتاكم مالاقبل لكم به ، لم يلتفتوا اليه وخرجوا على رؤسائهم الثلاثة الى الخندمة فدهمتهم جنود الله من ثلاث جهات . فبايعوا النبى صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء ولا يلزم من كون المواقف المهمة

لم تحصل بين الفريقين بعد الخندق،وضع الحرب أوزارها بين الفريقين ، ولم يؤثر اسلام عمرو وخالد وعثمان فى رابطتهم وشوكتهم،والسر فى كونهم لم يغزوا المدينة بعد هذه الغزوة بل المسلمون هم الذين غزوهم : إخباره صلى الله عليه وسلم المؤمنين بعد انصراف تلك الاحزاب الى ديارها بقوله: (لا يغزونكم بعدها ابداً ولكن انتم تغزونهم)فكان الامر الواقع كما اخبر عليه الصلاة والسلام ، وهذا من اعلام نبوته التى لا يؤمن بها المحاضر وأشباهه ويؤمن بها جميع المسلمين ﴿ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ﴾ وقد تقدم هذا الحديث فى المسألة السادسة . ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم نزوله عليه الصلاة والسلام بالحديبية على ثمد (حفرة) فيها قليل من الماء فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا اليه عليه الصلاة والسلام العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم أن يجعلوه فيه فما زال يفور بالماء حتى صدروا عنه وكانوا الفا وخمسمائة. قال الخضرى : (ولما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه الصلاة والسلام بأصحابه الذين صدوا فى العام الماضى ليقضوا تلك العمرة التى فاتتهم حسب عهدة الحديبية اه).
قوله ليقضوا تلك العمرة الخ غير صحيح وانما سميت عمرة القضاء قضاء للاتفاق الذى صار بين قريش وبينه عليه الصلاة والسلام وهو انه يرجع عنهم هذا العام ويأتى العام القابل ، ولا يدخل مكة بالسلاح الا بالسيوف فى القرب ويمكث بها ثلاثة ايام ولا يزيد عليها ، وعمرة الحديبية تامة معتبرة فى عمره الاربع عند العلماء فلا تحتاج الى قضاء وتسمى عمرة القضاء أيضاً عمرة القصاص لانهم صدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست فاقتص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منهم فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع ، قال السهيلى وهذا الاسم أولى بها . ومن دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم اخباره عن قتل امراء جيش مؤتة الثلاثة : زيد بن حارثة مولاه وجعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحة يوم الوقعة وفى مغازى موسى

ابن عقبة أن يعلى بن امية رضى الله تعالى عنه قدم بخبر اهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن شئت فاخبرنى وان شئت اخبرتك قال أخبرنى فأخبره خبرهم كله ووصف له ، فقال يعلى والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم حين توجههم من المدينة : اميركم زيد بن حارثة فان قتل فاميركم جعفر ابن ابى طالب ، فان قتل فاميركم عبد الله بن رواحة ،فان قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم . قال الخضرى فى صفحة ١٢٩ فى قصة معركة مؤتة بعد قتل الأمراء الثلاثة مانصه (فأخذ الراية رجل من المسلمين وطلب منهم ان يصطلحوا على أمير لهم فاتفقوا على خالد بن الوليد وفى ذلك الوقت اظهر مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا انفسهم فيه ، وصار يتأخر بهم قليلا قليلا - مع حفظ نظام جيشه ولم يتبعه الروم لانهم ظنوا أنه يخدعهم حتى يرمى بهم فى الصحراء ، ثم عاد خالد بذلك الجيش الى المدينة ، وعندنا ان تلك الاعداد التى يذكرها المؤرخون لجنود الروم والعرب الذين معهم مبالغ فيها ، لان غاية مارآه المسلمون انهم رأوا عدداً كثيراً امامهم ولايمكن بحال ان يعطوه قدره الحقيقى له ، وثلاثة آلاف عدد قليل جداً فى جانب مائتى الف لاتمكنهم المقاومة بحال.والمؤرخون اذا عدوا من قتل فى هذه الوقعة لايزيدون عن اثنى عشر رجلا،ومن المحال ان يصطدم جيش عظيم القدر بجيش نسبته اليه ضئيلة ثم لا يقتل فى الميدان الا اثنا عشر نفرا اه) اقول الرجل الذى اخذ الراية بعد ابن رواحة هو ثابت بن اقرم العجلانى . وقوله فى خالد رضى الله تعالى عنه (وفى ذلك الوقت أظهر مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا انفسهم فيه الى قوله حتى يرمى بهم فى الصحراء) اى انحاز خالد بالمسلمين لقلتهم وانحاز الروم عنه لظنهم ان للمسلمين كمينا غير الذى رأوه . هذا احد الاقوال الثلاثه . والقول الثانى ان المسلمين انهزموا وقتل من قتل منهم . والقول الثالث قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة اى انهزم

المشركون وقوله اظهر مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا انفسهم فيه ؛ تعبير قبيح وسوء ادب فى حق الصحابة رضى الله عنهم يقتضى أنهم لجهلهم تهوروا وورطوا أنفسهم فيما لا يستطيعونه ولولا خالد خلصهم لهلكوا . وقوله (وعندنا ان تلك الاعداد التى يذكرها المؤرخون لجنود الروم والعرب الذين معهم مبالغ فيها الى قوله وثلاثة آلاف عدد قليل جداً فى جانب مائتى ألف لاتمكنهم المقاومة بحال) اتهام للمؤرخين بالكذب بل وللصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الذين شهدوا الوقعة واحصوا جيش الروم والعرب بمائتى الف، ورمى للصحابة ايضا بانهم بسطاء لا يعرفون سياسة الحروب ومكايدها من بث الجواسيس وغير ذلك وغاية امرهم عنده انهم رأوا عدداً كثيراً من العدو أمامهم لا يمكنهم بحال ان يعطوه قدره الحقيق له ، ورمى للصحابة رضى الله تعالى عنهم أيضاً بالخور وانهم كغيرهم من المشركين انما يقاتلون بكثرة العدد وقوة العدة لا بالشجاعة الفائقة على جميع الامم الجبارة التى اكتسبوها من قوة الايمان بالله وبرسوله ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ ﴿ ان الله مع الذين اتقوا والذين هو محسنون ﴾ . اما اتهامه للمؤرخين بالكذب فهذا امر هين عنده قد تعودناه سابقاً منه فقد كذب مؤرخى العرب فى قتل الزباء لجذيمة الابرش بحيلة التزوج بها آخذة منه بثار ابيها وقتل ابن اخته عمرو بن عدى اللخمى لها أخذاً بثار خاله بتدبير قصير ، وصدق مؤرخى الروم فى ان الرومان حاربوها وأسروها وماتت عندهم بالقسطنطنية ، ورمى باتفاق مؤرخى المسلمين على اثبات قصة بحيرا الراهب عرض الحائط لتنقيبه عنها فى كتب من عنوا بالبحث عن الرهبان بالشام فلم يجدها ، والذى يضرب برواية خمسة وأربعين صحابياً والامة الاسلامية جمعاء معها على ان الاسراء والمعراج كان يقظة لا مناماً عرض الحائط ، ويتمسك عناداً برأى مكذوب منسوب لعائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما لا يصعب عليه اتهام الصحابة وتجهلهم فى كون جيش الروم والعرب المتنصرة مائتى ألف ،

ولا يصعب عليه ايضا اعتقاد أن ثلاثة آلاف من الصحابة لا يمكنهم مقاومة مائتى الف من الكفار بحال ، وهذه غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المهمة : بدر، وأحد، والخندق ، كان المشركون فيها اكثر عدداً واقوى عدة من المسلمين . فبدر كان المشركون فيها ألفا والمسلمون نحو ثلثهم ، وفى احد كانوا ثلاثة آلاف والمسلمون اقل من ربعهم سبعمائة ، وفى الخندق كانت قريش مع حلفائها عشرة آلاف وغطفان وحلفاؤها عدة آلاف والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف . بل معظم الوقائع المهمة التى كانت بين الصحابة وبين دولتى العالم اذ ذاك فارس والروم كانت جيوش اعدائهم فيها اضعافهم فى العدد واقوى منهم فى العدة ، فقد كانت جيوش الروم فى اليرموك (وهى اعظم وقعة بينهم وبين الصحابة) مائتى ألف واربعين ألفا ، وكان جيش المسلمين فيها لا يتجاوز ستة وثلاثين ألفاً . وهكذا فى اجنادين وغيرها وكان جيش المسلمين فى القادسية لا يتجاوز بضعة وثلاثين ألفاً وكان جيش الفرس فيها ستين ألف متبوع كل واحد منهم يتبعه على الاقل أربعة جنود ، ومعهم ثلاثة وثلاثون فيلا محاربة عدا خيالتهم . وهكذا فى جلولاء ونهاوند وهما من اعظم الوقائع التى وقعت بينهم وبين المسلمين . بل هزم اربعون رجلا من الخوارج جيشاً مكونا من الفين فى أمارة زياد ابن ابيه لمعاوية رضى الله تعالى عنه . قال شاعرهم :

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا

وهزم شبيب الخارجى وهو فى الف ، خمسين ألفاً جيشاً للحجاج أميره عتاب بن ورقاء الرياحى ، وهزم عبد الله بن على بن عبدالله بن العباس وهو فى عشرين ألفا مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وهو فى مائة وعشرين الفا . وهزم طاهر بن الحسين قائد المأمون وهو فى أربعة آلاف عيسى بن ماهان قائد الأمين وهو فى خمسين الفا . وهزم السلطان آلب آرسلان السلجوقى وهو فى عشرين الفاً . ملك الروم وهو فى نحو مائتى الف . وهزم ملك مراكش العادل يوسف بن تاشفين وهو فى عشرين الفا لذريق ملك

الاشبان عند اشبيلية بالاندلس وهو فى أكثر من مائة وعشرين الفا وافنى جيشه قتلا ونجا جريحا فى شرذمة من رجاله ومات كمداً بعد أيام . وهزم طارق بن زياد وهو فى اثنى عشر الفاً ملك الاشبان وهم فى أكثر من مائة ألف. وهزم أسد الدين شيركوه الكردى عم صلاح الدين وقائد السلطان نور الدين زنكى وهو فى الف الجيش المصرى الذى ناف عن عشرين الفا وهزمت جيوش هذا السلطان وجيوش قائده صلاح الدين بن أيوب وهى قليلة جيوش الأوربيين فى الحروب الصليبية الكثيرة الجرارة فى وقائع كثيرة . فهل يصح تعليل هزيمة هذه الجيوش الكثيرة العدد والعدد كلها ، وهل يصح أن يقال فى قوادها كلهم أنهم ما كانوا محنكين مدربين، وهل يمكن تعليل غلبة الغالبين لهم مع قلة عددهم وعددهم.ومع العلم أيضا بأن نسبة من بعد الصحابة من المسلمين وقوادهم فى قوة الايمان والحزم والشجاعة الى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جزء ضئيل ، وبهذا بطل قوله (ومن المحال أن يصطدم جيش عظيم القدر بجيش نسبته اليه ضئيلة ثم لا يقتل فى الميدان إلا اثنا عشر نفراً) ويزاد فيقال له ان كان هذا المحال عقليا فهو باطل فان العقل يجوز غلبة العدد القليل للكثير بدون قتل أحد منه أو بقتل فرد أو أفراد منه كما يجوز العكس.وان كان عاديا فكذلك ، وهذا جيش الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ببدر لم يتجاوز بضعة عشر رجلا وثلاثمائة وكانوا فى غاية الضعف يعتقب الأربعة والخمسة منهم على البعير الواحد ولم يكن معهم من السلاح إلا السهام والرماح ولم يكن معهم من السيوف إلا ثمانية ومع هذا قتلوا من قريش الذين هم أضعافهم فى العدد وأقوى منهم عدة سبعين وأسروا سبعين وغنموهم ولم يستشهد منهم إلا أربعة عشر رجلا . فعلى رأيه كان اللازم قتل أكثر من هذا العدد من المسلمين . على الأقل حتى يكون مساويا لقتلى قريش لضعف شوكتهم وقلة عددهم فبم يعلل هذا .

وهذه غزوة أحد : المشركون فيها أضعاف المسلمين عددا وأقوى منهم عدة وعندهم خيل ، والمسلمون كلهم رجالة . والدائرة دارت لقريش وهم

حنقون موتورون ومع ذلك لم يقتلوا من المسلمين إلا سبعين ولم يستطيعوا أخذ غنيمة ولا أسر أحد منهم ، وقتل منهم ثلث قتلى المسلمين تقريبا قتل منهم اثنان وعشرون رجلا فبم يعلل هذا .

وهذه غزوة الأحزاب جيش المشركين فيها ينوف على إثنى عشر ألفاً والمسلمين فيها نحو ربعهم وسهام المشركين كالمطر تنهال عليهم مدة الحصار ومع ذلك لم يستشهد من المسلمين إلا ستة ، وقتل من المشركين نصفهم فبم يعلل هذا . فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم بمؤتة لم يقدموا على تلك الجيوش المجتمعة من الروم والعرب المتنصرة إلا بعد العلم بها والتروى والمشاورة . قال ابن هشام فى سيرته ما نصه : (ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة الف منهم عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له مالك بن رافلة فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له ، قال فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم : والله أن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون (الشهادة) وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة . ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة ، قال فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس اه) . قلت على القولين القول بأن المسلمين هزموا الروم وأخذوا منهم غنيمة والقول بأن الروم هزموا المسلمين يكون استشهاد اثنى عشر رجلا منهم فقط عند اشتباك الحرب،ولم تطل فوقعت الهزيمة على أحد الفريقين وأى استحالة فى هذا.وعلى القول بانحياز كل من الجيشين يكون الانحياز قدحصل عقب قتل من قتل وأى استحالة فيه أيضاً وقد روى أن ذلك كان مع المساء وأن خالداً رضى الله تعالى عنه غير نظام الجيش بالليل فجعل الميمنة ميسرة . والميسرة ميمنة ، والمقدمة ساقة ، والساقة مقدمة ، فلما أصبح الروم وعاينوا ذلك

ظنوا أن المسلمين جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين .

وقد كان الصحابة كلهم قادة أبطالا سادة حكماء نبلاء محنكين مدربين يعرفون من سياسة الحروب ومكايدها ما لم يعرفه غيرهم وان كانوا متفاوتين فى ذلك كل ذلك تعلموه منه عليه السلام فى تلك المدة الوجيزة وقد كان الاعرابى الجلف يأتى اليه عليه الصلاة والسلام فيسلم فيصبح سيداً مهذب الاخلاق محنكا .

وترك المحاضر غزوة خيبر وهى من غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم المهمة فلم يسردها فى جملة الغزوات ولو مجردة من دلائل النبوة كما جرد غيرها من الغزوات التى ذكرها منها ولا ندرى لأى شىء تركها . وفيها من دلائل النبوة ثلاث ، الأولى : أخرج الامام البخارى فى ثلاثياته عن يزيد ابن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه الضربة ، قال هذه ضربة أصابتها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة ، فأتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة .

الثانية : فى البخارى أيضاً والطبرانى ومسند ابن أبى شيبة وكتب السير عن سلمة بن الأكوع رضى الله تعالى عنه. كان على بن أبى طالب تخلف عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى خيبر وكان أرمد شديد الرمد فقال أنا أتخلف عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلحق ، فلما بتنا الليلة التى فتحت خيبر فى صبيحتها قال عليه الصلاة والسلام (لأعطين الراية غداً رجلا يحبه الله تعالى ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بفرار لا يرجع حتى يفتح الله له) وكان عليه السلام دفع أول يوم اللواء لأبى بكر رضى الله تعالى عنه فقاتل به قتالا شديداً فرجع ولم يفتح له ، وفى اليوم الثانى دفعه لعمر رضى الله تعالى عنه فقاتل به قتالا شديداً فرجع ولم يفتح له ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال أين على بن أبى طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكى عينيه قال فأرسلوا اليه فأتى به فبصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية ، فقال على يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال (أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام واخبرهم بما يجب

عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير من أن يكون الك حمر النعم) زاد مسلم من حديث سلمة بن الاكوع قال وخرج مرحب اليهودى فقال :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول :

انا الذي سمتنى امي حيدره كليث غابات كريه المنظره
اكيلهم بالسيف كيل السندره

وضرب مرحباً ففلق هامته وقتله . قال ابو رافع مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرجنا مع على حين بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده فتناول على باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه.ثم القاه من يده حين فرغ . فلقد رأيتنى فى سبعة معى انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فلم نقلبه .

الثالثة : قصة الراعى الأسود . وملخصها انه أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له كان فيها اجيراً لرجل من يهود.فقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم فلما اسلم قال يا رسول الله انى كنت اجيراً لصاحب هذا الغنم وهى امانة عندى فكيف اصنع بها قال اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها فقال ارجعى الى صاحبك) فوالله لا اصحبك ابداً فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين - فأصابه حجر فقتله وماصلى لله صلاة قط.فأتى به الى رسول صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من اصحابه ثم اعرض عنه .

فقالوا يارسول الله لم اعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين

فتح مكة وحنين

وفى فتح مكة من دلائل النبوة سبعة .

الأولى لما تهيأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للسير اليها دعا فقال: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها) فاستجاب الله دعاءه فعميت عليهم الأخبار مع شدة بحثهم وخوفهم حتى وصل عليه الصلاة والسلام إلى مر الظهران .

الثانية : كتب حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بغزو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وأرسله مع امرأة فأطلع الله نبيه على ذلك. فقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا: أخرجى الكتاب . قالت . مامعى كتاب . فأنخنا بها وفتشنا حوائجها فلم نر كتاباً فقلنا لها ماكذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب . فلما رأت الجد أخرجته من عقاصها ، فأتوا به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقال: ياحاطب ماهذا قال يارسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقاً فى قريش (حليفا) ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى ولم أفعله ارتداداً عن دينى ولا رضى بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أما إنه قد صدقكم) .

الثالثة : هم فضالة بن عمير الليثى بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضالة ؟ قال نعم يا رسول الله . قال ما ذا كنت تحدث به نفسك .

قال لاشيء كنت اذكر الله تعالى . فضحك صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال استغفر الله تعالى ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلق الله شيئا أحب إلى منه .

الرابعة : لما حانت الظهر أمر عليه الصلاة والسلام بلالا أن يؤذن فوق الكعبة ليغيظ المشركين وقد فر جماعة من وجوه قريش وتغيبوا ، وابو سفيان وعتاب وخالد ابنا اسيد والحارث بن هشام والحكم بن ابى العاص وبعض بنى سعيد بن العاص جلوس بفناء الكعبة . فقال عتاب وخالد لقد اكرم الله اسيداً ان لا يسمع هذا فيغيظه ، وقال الحارث اما والله لو اعلم انه محق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره . وقال ابو سفيان لا اقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، وقال الحكم بن أبى العاص هذا والله الحدث العظيم ان يصيح عبد بنى جمح على بنية ابى طلحة . وقال بعض بنى سعيد بن العاص لقد اكرم الله سعيدا ان قبضه قبل ان يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة . فأتى جبريل عليه السلام فأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج عليهم وقال قد علمت الذى قلتم واخبرهم . فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك

الخامسة . قصة ابى محذورة الجمحى ، كان ابو محذورة مع فتية من قريش خارج مكة فلما سمعوا اذان بلال اقبلوا يستهزئون ويحكون صوته غيظا فكان ابو محذورة من احسنهم صوتا فرفع صوته مستهزئا بالأذان فسمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال فامتلأ قلبي والله إيماناً ويقيناً وعلمت أنه رسو الله ، فألقى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وعمره ست عشرة سنة فكان مؤذنهم حتى مات ، ثم عقبه بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر وفى ابى محذورة قال الشاعر :

أما ورب الكعبة المستوره　　وما تلا محمد من سوره
والنغمات من أبى محذوره　　لأفعلن فعلة مذكوره

السادسة : خرج صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو سفيان جالس فى المسجد فقال فى نفسه مادرى بم يغلبنا محمد . فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك . فقال اشهد انك رسول الله .

السابعة : رأى ابو سفيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمشي والناس يطأون عقبه فقال فى نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا . فجاء رسول لله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ضرب فى صدره وقال إذاً يخزيك . فقال اتوب الى الله واستغفر الله ماايقنت انك نبي إلا الساعة ، انى كنت لأحدث نفسى بذلك .

وقد اشار المحاضر الى الأولى بقوله (كانت قريش محسة بأنه لا بد من شيء بعد ان فعلت مافعلت ولكن عميت عليهم الأخبار فلم يعلموا بشيء من مسير المسلمين اه) . وما ضره لو قال ـ عميت عليهم الاخبار بسبب دعائه عليه الصلاة والسلام . وأشار الى الثانية بقوله ـ (فكتب حاطب بن ابى بلتعة كتابا الى اهل مكة يخبرهم بمسير المسلمين وارسله مع امرأة فعلم بذلك عليه الصلاة والسلام فأرسل اليها من جاء بالكتاب منهااه) ، فقوله فعلم بذلك عليه الصلاة والسلام مجمل وماضره لو قال ـ فجاءه عليه الصلاة والسلام الوحى بذلك وقد اعترف، بالوحى فيما سبق وجعل له انواعا اربعة وقوله (فأرسل اليها من جاء بالكتاب منها) مبهم ، وماضره أيضا لو قال فأرسل اليها عليا والزبير والمقداد فجاؤا بالكتاب منها ، وقوله فى الذين استثناهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الفتح من المشركين فقال اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ، (فقتل اكثرهم) غير صحيح ، بل اكثرهم اسلم .

وفى غزوة حنين اثنان :

الأول : لما انهزم جيش المسلمين فى بدء الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة العبدرى اليوم أدرك ثارى اقتل محمداً فأدرت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأقتله فأقبل شيء

حتى غشي فؤادي فعلمت أنه ممنوع مني ، وعند ابن أبي خيثمة : لما هممت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد ، فالتفت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتبسم وعرف ماأردت فمسح صدري فذهب عني الشك .

الثاني : تناول عليه الصلاة والسلام قبضة من حصى وتراب ثم قال شاهت الوجوه أي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين فما من إنسان منهم إلا ملأ عينيه من تلك القبضة .

غزوة تبوك

وفيها من دلائل النبوة ثمانية :

الأولى : تعب جمل أبي ذر فأخذ متاعه على ظهره وخرج يتبع أثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ماشيا فنظر ناظر من المسلمين فقال يارسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كن أباذر . فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو والله أبوذر . فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده . فكان كذلك لما سكن الربذة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنهما لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه فلما حضره الموت أوصاهما أن غسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولوا هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعينونا على دفنه فلما مات فعلا به ذلك وأقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق معتمرين فلم يرعهم إلا والجنازة على ظهر الطريق وقد كادت الابل تطؤها ، فقام اليهم الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه فدفنوه ثم حدثهم بحديثه هذا .

الثانيـة : لما مر عليه الصلاة والسـلام بالحجر ديار ثمود قال لأصحابه لاتشربوا من مائها ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ماأمرهم به إلا رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لقضاء حاجتـه والآخر فى طلب بعيره . فأما الذى خرج لحاجته فخنق (أى صرع) فى مكانها ، وأما الذى خرج فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طيء فأخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ألم أنهكم ثم دعا للذى خنق على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فاهدته طيء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة .

الثالثة : روى الامام احمد وابنا خزيمة وحبان والحاكم عن عمر رضى الله تعالى عنه قال خرجنا الى تبوك فى يوم قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع وحتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله إن الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله تعـالى لنا . قال نعم . فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملأوا مامعهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

الرابعة : لما كان عليه الصلاة والسـلام ببعض الطرق ضلت ناقته القصواء فقال زيد بن اللصيت وكان منافقاً أليس يزعم محمد انه نبى ويخبركم عن خبر السماء وهو لايدرى أين ناقته . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن رجلا يقول كذا وذكر مقالته . وانى والله لا أعلم إلا ماعلمنى الله وقد دلنى الله تعالى عليها وهى فى الوادى فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها . فانطلقوا فجاؤا بها .

الخامسة : روى الامامان مالك فى موطئه ومسلم فى صحيحه عن معاذ ابن جبل رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (انكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى

يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى) قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشىء من ماء فسألهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا، قالا نعم، فقال لهما ماشاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شن ثم غسل صلى الله تعالى عليه وسلم به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الجيش (وهو ثلاثون الفا) وسقوا دوابهم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام يامعاذ (يوشك إن طالت بك حياة ان ترى ماههنا قد ملىء جنانا) أى بساتين وعمرانا .

السادسة : روى الشيخان فى صحيحيهما عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل عليه السلام ودعانى مع على بن أبى طالب وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقنا فتلقينا امرأة بين مزادتين من ماء على بعير لها فقالا لها أين الماء ، فقالت عهدى بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوف (أى غائبون عن الحى) ، فقالا لها انطلقى إذن ، قالت الى أين ، قالا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، قالت الذى يقال له الصابىء ، قالا هو الذى تعنين فانطلقى فجاءا بها الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باناء ففرغ من أفواه المزادتين ثم أوكأ أفواههما وأطلق العزالى ونودى فى الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهى قائمة تنظر الى مايفعل بمائها وأيم الله لقد أقلع وانه ليخيل الينا انها أشد ملئة منها حين ابتدأ فيه . فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اجمعوا لها) فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيراً فجعلوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم (تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً ولكن الله تعالى هو الذى أسقانا) فاتت أهلها فقالت العجب لقينى رجلان فذهبا بى الى هذا الرجل الذى يقال له الصابىء ففعل كذا وكذا إنه

لأسحر الناس كلهم أو أنه لرسول الله حقاً . فقالت يوماً لقومها ما أرى ان هؤلاء يدعونكم من الاغارة عمداً فهل لكم فى الإسلام. فاطاعوها فدخلوا فى الاسلام .

السابعة : روى الامام أحمد والشيخان عن أبى هريرة وسلمة رضى الله تعالى عنهما انهما قالا : لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر رضى الله تعالى عنه ادعهم يا رسول الله بفضل أزوادهم ثم ادع الله تعالى لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجىء بكف ذرة ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شىء يسير قال سلمة فحزرته كربضة العنز فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه ، قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة) ومعجزتا إيجاد الماء وتكثير الطعام القليل بدعائه عليه الصلاة والسلام تكررتا فى مواطن وشهدهما الجم الغفير من الناس .

الثامنة : أرسل عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فى ثلاثمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل وقال عليه الصلاة والسلام له إنك ستجده ليلا يصيد البقر فتأخذه فيفتح الله لك دومة الجندل فان ظفرت به فلا تقتله وأت به إلى فان أبى فاقتله ، فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه فى ليلة مقمرة إلى بقر يطاردها هو وأخوه حسان وكانت بقر الوحش جاءت الى حصنه وصارت تحك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط ، قال لا والله . قالت فمن يترك هذه ، قال لا أحد ولقد كنت أضمر لها الخيل شهراً ونزل فأسرج له فرسه وخرج يطاردها فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر وقتل أخاه حسان وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتى به رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة رمح على أن ينطلق به وباخيه مضاد إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيحكم فيهما حكمه فلما قاضاه على ذلك خلى سبيله ففتح الحصن فدخله خالد وأوثق مضاداً وأخذ ماصالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح فعزل خالد صفيه له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يقسم ثم خمسها ثم قسم مابقي في أصحابه فصار لكل واحد منهم خمس قلائص، ثم قدم خالد باكيدر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله فرجع الى قريته فقال بجير الطائي رضي الله تعالى عنه

تبارك سائق البقرات إني رأيت الله يهدي كل هاد
فمن يك حائدا عن ذي تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لبجير (لا يفضض الله فاك) فأتت عليه تسعون سنة وما تحركت له سن وهذه معجزة أخرى. وقال عليه الصلاة والسلام مثل هذا الكلام أيضا للنابغة الجعدي لما أنشده قصيدته الرائية ومنها:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يفضض الله فاك) مرتين فبقي عمره أحسن الناس ثغرا كلما سقطت له سن نبتت أخرى وكان من المعمرين

المحاضرة السادسة عشرة

قال فيها : (الدعوة ونتائجها) (هاجر عليه الصلاة والسلام من مكة والذين دخلوا فى دينه جمع من قريش ومن حلفائهم ومواليهم وقليل غيرهم من سائر العرب ثم جماعة الأوس والخزرج من سكان يثرب وهم الذين سموا بالأنصار وكاد الإسلام يعمهم لولا توقف عدد قليل منهم تشابهت عليهم الطرق أو خافوا على سيادتهم أن يزيلها الاسلام فوقفوا وتبعهم فريق ممن لهم الرياسة عليه إلا انهم كانوا فى الظاهر مشاركين المسلمين فى الاسلام وأضمروا خلاف ما أظهروا فسماهم المؤمنون باسم المنافقين ، ويظهر لى أن هذا الاسم من المحدثات الدينية فانى لم أر العرب تستعمل النفاق بهذا المعنى قبل الاسلام) اه . أقول : نص العلماء على كراهة تسمية المدينة بيثرب لما جاء من النهى عنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقد أخرج الامام احمد وأبو يعلى عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه باسناد صحيح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى ثلاثا هى طابة هى طابة) وما وقع فى سورة الأحزاب من تسميتها به انما هو حكاية عن قول المنافقين . وما وقع فى حديث الهجرة فى الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (فذهب وهلى الى اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب) . وفى حديث مسلم (وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب) وكذا جاء بعض الاحاديث فى غيرهما مجاب عنه بان ذلك كان قبل النهى وبهذا علم مافى قوله (ثم جماعة الأوس والخزرج من سكان يثرب) ولو بنى الفعل للمعلوم فى قوله (وهم الذين سموا بالأنصار) فقال (وهم الذين سماهم الله بالأنصار) لسلم من الابهام وحصل شرف التسمية للأوس والخزرج بكونها من الله تعالى لا من المخلوقين وقوله (وتبعهم فريق ممن لهم الرياسة عليه) أى على العدد القليل مكرر مع قوله (أو خافوا على سيادتهم أن يزيلها الاسلام) ثم ان الفريق الذين لهم الرياسة على العدد القليل من المنافقين ليس جمعا كما تدل عليه عبارته بل هو شخص واحد وهو عبد الله بن أبى رئيسهم .

وقوله (فسماهم المؤمنون باسم المنافقين) غلط فاحش فان المسمى لهم بهذا الاسم هو الله تعالى عز وجل فى آيات كثيرة منها فى سورة التوبة ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾ وفى سورة الأحزاب ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ وفى سورة مخصوصة بهم قال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ الخ أعتقد أن هذا المحاضر واضرابه لايقرأون القرآن أو يقرأونه ولكن لا يجاوز . . . أو يعتقدون أنه ليس بكلام الله تعالى بل هو من وضع المخلوقين فقد تقدم انه قال فى الكعبة : (إن اسماعيل عليه السلام جعلها مطافاً يحجها أولاده) والجاعل لها هو الله تعالى فى آيات كثيرة منها ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس ﴾ ومنها ﴿ وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين ﴾ وهنا قال فى الذين سماهم الله المنافقين لاظهارهم الاسلام وابطانهم الكفر ان المؤمنين هم الذين سموهم المنافقين وسمى الله سبحانه وتعالى مخلوقاته الغيبية بالملائكة والجن والشياطين فذم محمد عبده وتلميذه الخاص علماء الاسلام قاطبة بأنهم عبدة الفاظ اوعباد ألفاظ لأجل ان سموا هذه المخلوقات بما سماها الله ورسوله به واذا كان الله سبحانه وتعالى هو المسمى لهذا الفريق من الناس فى كتابه العزيز بالمنافقين فالتسمية لهم بهذا دينية قطعا وحينئذ لامعنى لقوله (ويظهر لى أن هذا الاسم من المحدثات الدينية) وقوله (فانى لم أر العرب تستعمل النفاق بهذا المعنى قبل الاسلام) دعوى أن صحت لاضير فيها مادام الله تعالى هو المسمى لهم بذلك . فان قيل قد قررت فيما سبق ان المحاضر منكر لدلائل النبوة (أى المعجزات أى الحوادث الكونية الخارقة للعادة) وقد اعترف بها فى المحاضرة السابعة عشرة فى صفته واخلاقه عليه الصلاة والسلام قال فيها فى صفحة ١٥٤ الطبعة الرابعة مانصه (وكانت هذه الخلال مما قرب اليه النفوس وحببه الى القلوب وألان من شكيمة قومه بعد الإباء وجعلهم يدخلون فى دين الله أفواجاً

مناصرين مؤازرين ولولم يكن له إلا ذلك مما يثبته التاريخ وتؤيده الحوادث لكان أعظم شاهد على صدقه فضلا عما أيده الله تعالى به من المعجزات وقد أفاض القول فيها كتاب السير اهـ) فقوله (فضلا عما أيده الله تعالى به من المعجزات وقد أفاض القول فيها كتاب السير) صريح فى اثباتها فما جوابك عن كلامه هذا ؟ قلت لا يدفع القطعى بالظنى ولا المتيقن بالمشكوك فيه ولا الكثير المتقدم المجادل عنه بالترهات المتمحل له الاباطيل بجملة واحدة فلا شك أن قوله هنا (فضلا عما أيده الله به من المعجزات) ذهول منه وفلتة قلم وتناقض عما قرره سابقا فى دفعها وانكارها والمبطل لابد أن يتناقض وقد دفعها وتركها فى خمسة مواضع حادثة الفيل وحادثة الاسراء وقصة بحيرا الراهب وبحث الوحى والغزوات التى سردها. فقد تحقق القراء تخبطه فى حادثة الفيل وزعمه انهم هلكوا بالأمراض الثقيلة وتقوله على ابن هشام وزعمه ان القرآن أشار اليها بقوله (وأشار القرآن الى هذه الحادثة فى سورة الفيل) وعدم مبالاته برواية الجم الغفير من الصحابة واجماع الأمة الاسلامية فى أن الاسراء والمعراج كان يقظة وتشبثه بالرأى المنسوب لعائشة ومعاوية رضى الله تعالى عنهما كذبا فى كونه مناماً وعدم مبالاته أيضاً باتفاق مؤرخى الاسلام على اثبات قصة بحيرا الراهب ودفعها بعدم وجدانه لها فى كتب من عنوا بالبحث عن الرهبان من الأجانب وزعمه أيضا أن الوحى الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتقدمه شىء هذا مع اثباته لدلائل النبوة (الارهاصات) التى وقعت له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة فى أول كتابه (نور اليقين) فى السيرة قال فيه مانصه(ما أكرمه الله به قبل النبوة) (أول منحة من الله ما حصل من البركات على آل حليمة الذين كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجدبين فلما صار بينهم صارت غنيماتهم تثوب من مرعاها وان أضراعها لتسيل لبنا ثم اعقب ذلك ماحصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان منه وليس هذا بالعجيب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من

قوة الله تعالى شيئاً لأن خرق العادات للانبياء ليس بالأمر المستحدث ولا المستغرب . ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له فى سفره الى الشام حتى كانت تظله فى اليوم الصائف لا يشترك معه أحد فى القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذى كان مشاركا له فى سفره. هذا ماحببه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له فى المستقبل شأناً . ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس إيمانا به ولم تنتظر آية أخرى . زيادة على ماعلمته من مكارم الأخلاق وماسمعته من خوارق العادات ، ومن منن الله تعالى عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الأحجار والأشجار فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بناء ويفضى الى الشعاب وبطون الأودية فلا يمر بحجر ولا شجر إلا سمع الصلاة والسلام عليك يارسول الله، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه ، وليس فى ذلك كبير اشكال فقد سخر الله تعالى الجمادات للانبياء قبله، فعصى موسى التقمت ماصنع سحرة فرعون بعد أن تحولت حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتى عشرة عينا لكل سبط من أسباط بنى اسرائيل عين ، وكذلك غيره من الانبياء سخر الله لهم ماشاء من أنواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم اهـ) قلت ليتأمل القراء هذا الكلام النفيس الجارى على عقيدة المسلمين فى اثبات قدرة القادر الحكيم وقدر أنبيائه تعالى عنده باكرامهم بالخوارق ولينظروا فى قوله (فمن استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئا) كيف سجل على نفسه بكلامه هذا فى محاضراته انه قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئا كما أثبت فى نور اليقين أيضا معجزة الاسراء والمعراج وقال انها كانت قبل الهجرة وهنا فى المحاضرات جعلها بعد الهجرة مراوغة وقد تقدم الرد عليه فيهما مفصلا ولكنه جرد الغزوات كلها من المعجزات التى وقعت فيهما فلم يذكرها كما لم يذكرها هنا مع اسهاب سيرته عليه الصلاة والسلام كما تقدم على ان اثباته للمعجزات فى هذا الكلام ناقص البنيان لا يدل على انه يؤمن بها

صراحة . قال (وقد أفاض القول فيها كتاب السير) فليست المعجزات محصورة فى كتب السير كما زعم بل كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم مملوءة بها أيضا وقد تقدم أن بعض أئمة الحديث خصها بالتصنيف كالحافظين أبى نعيم والبيهقى ومن المتأخرين السيوطى وكتابه نور اليقين ألفه قبل أن يترقى ويصير مدرس التاريخ الاسلامى فى الجامعة المصرية فلما نال ذلك غير رأيه فأنكرها فى محاضراته كما أنكر كون الملائكة والجن والشياطين أجساما وحارب ذلك بما استطاع من التلبيسات وقد تقدم هتك سترها مفصلا بالبراهين وقد غلط فى هذه المحاضرة فى صحيفة ١٥٧ فى جمع القرآن فزعم أن الصديق رضى الله تعالى عنه جمعه فى مصحف واحد قال مانصه : (وكانت آياته وسوره مكتوبة إلا أنها لم تجمع فى مصحف واحد فى حياته وقد تم ذلك فى خلافة أبى بكر . راجع خطابنا الذى القيناه بنادى العلوم فى سنة ١٩١٠ ونشر بصحيفة النادى فى تلك السنة اه) وهو غير صحيح فأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انما جمع الصحف التى كانت متفرقة بسبب موت كثير من القراء فى وقعة اليمامة باشارة عمر رضى الله تعالى عنه خوفا من ضياع شىء من القرآن ولم يجمعه فى مصحف واحد الا ذوالنورين عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه كما غلط فى الخطاب الذى القاه بنادى العلوم ونشرته له صحيفة النادى وذكره متبجحا به كما انه مغرم بذكر التاريخ المسيحى وهو مدرس التاريخ الاسلامى فلا يذكر التاريخ الاسلامى الذى هو مدرسه إلا نادراً وهذه بلية وقع فيها كثير من المسلمين الآن غفلة .

وفى هذا المقدار الذى كتبته فى دحض أباطيله فى سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من دلائل النبوة والوحى وأنواعه ومتعلقاتهما كفاية للمسلم المتبصر ، واشرع الآن بحول الله تعالى فى دحض أباطيله فى الخلافة وسيرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وسيرتهم جزء من سيرته عليه الصلاة والسلام فالطعن فيهم طعن فيه عليه الصلاة والسلام وفى القرآن الذى عدلهم واثنى عليهم لامحالة ، وهذا المحاضر قد طعن فى الشريعة كلها نبوة وقرآناً وسنة وصحابة :

فالنبوة بتخبطه فى الوحى وزعمه أنه لم يتقدمه شىء إنكاراً لدلائل النبوة التى تقدمته واعترف بها فى نور اليقين .

والقرآن بتخبطه فى حادثة الفيل إنكارا لها ودفعه صريح القرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة فى معجزة الأسراء بالأباطيل وقد أثبتها أيضا فى نور اليقين .

والسنة بترك المعجزات التى وقعت فى غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم وهى لب سيرته عليه الصلاة والسلام وتركه للب السيرة يدل على عدم إيمانه بها فان قيل بمجرد تركه لها لا يدل على عدم إيمانه بها، ولا على انكارها والطعن فيها. فمن أين حكمت عليه بأنه طعن فيها وأنكرها . قلت : من حادثتى الفيل والاسراء وهما قرآنيتان متواترتان وقد صنع فيهما ما صنع من التخبط وارتكاب الأباطيل كل ذلك انكار لها . وطعن فيهما فما ثبت منها بالسنة يكون غير مؤمن به طاعناً فيه من باب أولى . ومن قصة بحيرا وهى ثابتة بالسنة اتفق عليها مؤرخو الاسلام باعترافه وقد طعن فيها ، والصحابة وهم دعائم الوحى (الشريعة كلها) كتابا وسنة لم يصلنا هذا الخير العظيم إلا من طريقهم بالبهتان فيهم. فالطعن فيهم طعن فى الموحى الذى عدلهم وأثنى عليهم وفى الموحى اليه أيضا وانكار بعض المعجزات إنكار لجميعها وتكذيب بعضها تكذيب لجميعها كما أن التكذيب ببعض رسل الله تكذيب لجميعهم فتلخص أن محاضرات هذا الانسان نشرت من الطعن فى الاسلام مالم ينشره رسائل إخوان الصفا وتشكيكات المعرى وجمعية التبشير. وأثرت فى عقول المسلمين وراجت عندهم أشد من تأثير ورواج تلك العوامل الهدامة باضعاف مضاعفة بدليل أنها طبعت مرات .

الصحابة رضوان الله تعالى عليهم دعائم الدين فالطعن فيهم طعن فيه

عدالة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ثابتة معلومة لكل مسلم كتابا وسنة وإجماعا. أما القرآن: ففيه نصوص كثيرة دالة على تعديل الله تعالى لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم ووعده لهم بالاستخلاف فى الأرض والتمكين فى الدين ووعده لجميعهم بالجنة وقد ذكرت فى كتابى (إتحاف ذوى النجابة بما فى القرآن والسنة من فضائل الصحابة) سبع عشرة آية مطرزة مشروحة بخلاصة أقوال علماء الاسلام شرحا شافيا. اكتفى هنا بذكر خمس آيات منها. الأولى: أخباره عز وجل عن جميع أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بأنهم خير الأمم قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ فيدخل فى خطابها وفى هذا المدح العظيم بهذه الأوصاف الفاضلة الصحابة رضى الله عنهم قبل كل مسلم جاء بعدهم. الثانية. أخباره تعالى عنهم جميعا بأنهم متفاوتون فى الفضل وأنهم جميعا فى الجنة. قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾.

الثالثة: ثناؤه تعالى على جميع المهاجرين وتسميتهم بالصادقين، وثناؤه علي جميع الانصار وتسميتهم بالمفلحين. قال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضـــلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورســـوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾.

الرابعة: ثناؤه جل وعلا على أهل السبق إلى الاسلام من المهاجرين والأنصار وإخباره برضاه عنهم ورضاهم عنه وباعداده لهم جنات تجرى

من تحتها الانهار . قال تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾

الخامسة : ثناؤه تعالى عليهم جميعا بأنهم رضوان الله تعالى عليهم متحلون باخلاق فاضلة وانهم متصفون بها فى الكتب السماوية السابقة كالتوراة والانجيل وانه يغيظ بهم الكفار ، قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ فهذه الآيات تقتضى القطع بعد التهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق . فلو لم يرد فى القرآن إلا هى لكانت كافية شافية لكل من سلم من مرض القلب .

وأما السنة : فقد أخرج الشيخان وأصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنهما شىء فسبه خالد. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) . المد الحفنة وهو ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين ، وإذا كان خالد وأمثاله ممن أسلم قبل فتح مكة من الصحابة لو أنفق مثل أحد ذهباً لا يبلغ مد عبد الرحمن وأمثاله من السابقين إلى الاسلام بل ولا نصفه. فكيف بمن أسلم من الصحابة بعد الفتح وقد قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ فكيف بمن لم يكن صحابياً . وأخرج الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبي

أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه (إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم) . وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . وروى البزار فى مسنده بسند رجاله موثقون عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله تعالى اختار أصحابى على الثقلين سوى النبيين والمرسلين) وروى الترمذى وصححه الضياء المقدسى عن بريدة رضى الله تعالى عنه رفعه (مامن أحد من أصحابى يموت بأرض إلا بعث قائد أو نوراً لهم يوم القيامة) . وأبو يعلى عن أنس رضى الله تعالى عنه (مثل أصحابى مثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح) . والامامان احمد ومسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه: (النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ماتوعد وانا امنة لأصحابى فاذا ذهبت اصحابى اتى امتى ما يوعدون) وتواتر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وخص عليه الصلاة والسلام جماعة منهم بمزايا ، فقد اخرج الترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه رفعه انه عليه الصلاة والسلام قال: (ارحم امتى بامتى ابو بكر واشدهم فى امر الله عمر واشدهم حياء عثمان ، واقضاهم على واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وافرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبى بن كعب ، ولكل قوم أمين وامين هذه الأمة ابو عبيدة ابن الجراح ، وما أظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابى ذر اشبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فى ورعه) قال عمر رضى الله تعالى عنه افنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم : فاعرفوه . وخص العشرة بالجنة فقد اخرج ابو داود والترمذى عن سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه انه سمع من يسب علياً بحضرة بعض الأمراء فقال ألا أرى أصحاب النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم يسبون عندكم ثم لا تنكروا ولا تغيروا . سمعته صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وانى لغنى أن أقول عنه ما لم يقل فيسألنى عنه غداً اذا لقيته : (ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وسعد بن مالك فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وابو عبيدة بن الجراح فى الجنة) وسكت عن العاشر قالوا ومن هو العاشر قال سعيد بن زيد يعنى نفسه قال والله لمشهد رجل منهم مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل احدكم ولو عمر عمر نوح ، وخص الخلفاء الأربعة منهم عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من أصحابى أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير واختار أمتى على الأمم واختار من أمتى أربعة قرون الأول والثانى والثالث والرابع) أخرجه البزار فى مسنده حكاه عنه عبد الحق فى الأحكام وأخرجه ابن السمان فى كتاب الموافقة مختصراً وقال (اختار أصحابى على جميع العالمين الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين) هذه قطرة من بحر فضائلهم الثابتة فى السنة .

وأما الاجماع فقد اتفق أهل الحق على أن جميعهم عدول على انه لولم يرد من الله ورسوله فيهم شيء من الفضائل لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين ، القطع بتعديلهم ، والاعتقاد بنزاهتهم وانهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم المعدلين الذين جاؤا من بعدهم .

المحاضرة الثامنة عشرة

الخلافة

الخلافة رياسة عامة فى أمر الدين والدنيا نيابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى أحكام الفروع لا ينتظم أمر المسلمين إلا بحصولها يقصد الشارع تحصيلها فى الجملة من غير أن يقصد حصولها من كل مسلم ولانتظامها مصالح المسلمين الدينية والدنيوية صار الحق فى تولية من يصلح لها لجميع الأمة واجباً عليهم وجوبا شرعيا لا عقليا كفائيا اذا قام بهذا الواجب من يعتد به ممن هو من أهل الحل والعقد من تيسر حضوره من غير اشتراط عدد،ولا اتفاق من سائر البلدان سقط عن الباقين، بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته .

والدليل على وجوبها على المسلمين شرعا ، الكتاب والسنة والاجماع .

أما الكتاب : فقد أمر الشارع أمراً مطلقا باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وهذه الأمور لا تتم إلا بامام يرجع اليه فيها .

وأما السنة فأحاديث كثيرة منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم:(الأئمة من قريش) .

وأما الاجماع : فاطباق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على بيعة الصديق فى السقيفة يوم وفاته عليه الصلاة والسلام وفى اليوم الثانى البيعة العامة فى المسجد قبل اشتغالهم بتجهيزه عليه الصلاة والسلام . فلو لم تكن الامامة أمراً مهماً واجبا على المسلمين ماقدمها الصحابة على دفنه عليه الصلاة والسلام الذى هو أمر مهم عظيم فاذاً لابد للامة الاسلامية من امام يقيم معالم الدين والسنة وينتصف للمظلومين ويستوفى الحقوق ويضعها مواضعها والعقل يسوغ استحقاق الخلافة لكل من اجتمعت فيه شروطها لولا النص (الأئمة من قريش) .

تخبطه فى الخلافة

قال فيها فى ص ١٥٨ مانصه (لم ير المسلمون بدآ من إقامة من يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خلافة المسلمين ولم يوجد بين هذه الأمة شىء تشعبت فيه الآراء واختلفت الكلمة بمقدار ماكان منها فى الخلافة ومدار البحث كان فى أمرين . (الاول) البيت الذى يكون منه الخليفة . (الثانى) : الشكل الذى به ينتخب الخليفة .

(بيت الخلافة) : من المحقق ان الكتاب لم يشر أى اشارة الى تعيين بيت أو بطن أو شعب يكون منه خليفة المسلمين . وأما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فروى عنه (الأئمة من قريش) كما أثر عنه (اسمعوا وأطيعوا وان تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة) ، لم يدفن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كانت هناك فكرتان (الأولى) عدم تخصيص الخلافة ببيت من البيوت ، (الثانية) تخصيصها ، وهذه الفكرة ذات شعبتين (الأولى) : تخصيصها بالبيت القرشى على اختلاف بطونه (الثانية) تخصيصها بالقرابة القريبة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان أقرب الناس اليه وقت موته من أعمامه العباس بن عبد المطلب ومن بنى عمه على وعقيل ابنا أبى طالب ويمتاز على من بينهم بسبقه الى الاسلام وشهوده مشاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجه بابنته فاطمة ، ويمتاز العباس بأنه العاصب الوحيد له إن كان هناك إرث اه) .

قوله (لم ير المسلمون بدآ من اقامة من يخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خلافة المسلمين) دليل على وجوب الامامة على المسلمين شرعاً . ينقض ما يأتى فى أثناء كلامه وفى آخره من انتقاده لها ومأخذ هذا الوجوب أدلة الكتاب المطلقة والعامة وأدلة السنة وإجماع الصحابة ، وقوله (ولم يوجد بين هذه الأمة شىء تشعبت فيه الآراء واختلفت الكلمة بمقدار ما كان منها فى الخلافة) دليل على أهميتها عند جميع الطوائف المنتسبة إلى الاسلام ولم يخالف فى وجوبها إلا الخوارج قالوا بجوازها وخالف بوجوبها

على الأمة الامامية والاسماعيلية فقالوا بوجوبها على الله تعالى تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وقال بعض المعتزلة واجبة على الأمة عقلا وبعضهم قال عقلا وسمعاً معاً ، وبعضهم قال واجبة فى الفتنة دون الأمن ، وبعضهم عكس وكل هذه الأقوال وما تفرع عنها لا تشهد لها أدلة الكتاب والسنة فانتقاده للخلافة مطلقاً بسبب تشعب الآراء واختلاف الكلمة فيها غير صحيح لما بيناه أولا

وليس كل خلاف جاء معتبراً   إلا خلاف له حظ من النظر

وقوله (ومدار البحث كان فى أمرين (الأول) البيت الذى يكون منه الخليفة (الثانى) الشكل الذى ينتخب به الخليفة (يأتى تحقيق الكلام فيهمامعه . وقوله (من المحقق أن الكتاب لم يشر أى إشارة إلى تعيين بيت أو بطن أو شعب يكون منه خليفة المسلمين صحيح) ولكن حيث كانت حقيقتها نيابة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى أحكام الفروع ومصالح المسلمين الدينية والدنيوية كفت فيها أدلة الكتاب العامة والمطلقة والمبين للناس . ما نزل اليهم قد بينها غاية البيان وعلماء الأمة الربانيون فهموا ذلك من الكتاب وأطبقوا عليه ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ فان كانت كل مسألة من مصالحنا كهذه تتوقف على تعيين الله لها لنا كأن يقول مثلا : الخليفة هو فلان ابن فلان من القبيلة الفلانية فأى فائدة والحالة هذه فى بيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم . وقد قال تعالى ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ وأى فائدة حينئذ فى مدحه تعالى للعلماء برد كتابه الى الرسول واليهم بالاستنباط وبالرسوخ فى العلم ، فالمتطلب لتعيين الخليفة شعباً وقبيلة من كتاب الله تعالى متنطع غير واثق ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا متبع سبيل المؤمنين ، قال (وأما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فروى عنه « الأئمة من قريش » كما أثر عنه « اسمعوا وأطيعوا وان تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » اه) أقول حديث « الأئمة من

قريش » الذى حكاه الخضرى بصيغة الضعف بقوله (و أما الرسول فروى عنه) نص صريح فى تعيين بيت الخلافة وهو متواتر نص الحافظ ابن حجر فى فتحه فى كتاب العلم فى شرح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) على انه متواتر كأحاديث المسح على الخفين ورفع اليدين فى الصلاة والحوض ورؤية الله فى الآخرة ومن بنى لله مسجداً وغيرها وافرده بجزء جمع فيه طرقه عن نحو أربعين صحابياً وقال فى كتاب الأحكام من فتحه جزء ١٣ مانصه والى اشتراط كون الامام قرشياً ذهب جمهور أهل العلم ثم قال وقال عياض اشتراط كون الامام قرشياً مذهب العلماء كافة وقد عدوها فى مسائل الاجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف وكذلك من بعدهم فى جميع الأمصار ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين اه) .

بعض الأحاديث الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم

وقد جاءت أحاديث كثيرة دالة على خلافة الخلفاء الراشدين الاربعة وعلى أفضليتهم والتمسك بسنتهم فمنها ما أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه عن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا قال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى وانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة) . ومنها ما أخرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) وقد اتفق العلماء على أنها تمت بمدة الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ثلاثين

سنة . ومنها ما أخرجه البزار فى مسنده من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من أصحابى أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير) وقد تقدم ، ومنها ما أخرجه الامام أحمد فى مسنده بسند جيد عن على بن أبى طالب رضى تعالى عنه قال قيل يا رسول الله من نؤمر بعدك قال (إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً فى الدنيا راغباً فى الآخرة وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف فى الله لومة لائم ، وأن تؤمروا علياً وما أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم) . ومنها ما رواه أحمد والترمذى وابن ماجة عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال قال عليه الصلاة والسلام (اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر) . ومنها فى الصحيح (ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) وقوله (مروا أبا بكر فليصل بالناس) ، وقوله للمرأة التى قالت له أرأيت ان جئت فلم أجدك قال) فان لم تجديني فأتى أبا بكر) وهو شىء كثير يصعب استقصاؤه . وحديث « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة)صحيح أخرجه الأئمة أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجة وابن حبان عن أنس مرفوعاً وتعبيره عنه بصيغة التمريض بقوله كما أثر عنه خطأ على أن الأثر على الصحيح عند المحدثين يطلق أيضا على كل ما روى عن السلف وهذا الحديث محمول عند العلماء على الأمراء الذين هم دون الخليفة فلا يعارض حديث(الأئمة من قريش) ، والمقصود منه المبالغة فى الأمر بالطاعة بضرب مثل فى الحقارة وبشاعة الصورة بما لا يتصور فى الوجود وقد أجمعت الأمة على أن الامامة لا تكون فى العبيد اختياراً .

غلطه الفاحش

فى تقسيم الخلافة

فقوله (لم يدفن صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كانت هناك فكرتان (الأولى) عدم تخصيص الخلافة ببيت من البيوت (الثانية) تخصيصها : وهذه الفكرة ذات شعبتين (الأولى) تخصيصها بالبيت القرشي على اختلاف بطونه (الثانية) تخصيصها بالقرابة القريبة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخ) يعنى أن الخلافة تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة والخاصة أيضاً تنقسم إلى قسمين خاصة بقريش كلها وخاصة ببعض بطونها تقسيم فاسد مختلق والحقيقة المنقولة فى تاريخ الاسلام وهو بين أيدينا أنه لم يكن هناك إلا فكرة واحدة وهى التخصيص . فالأنصار رضى الله تعالى عنهم رأوها خاصة بهم لانهم جند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والدار دارهم والمهاجرون كلهم رأوها خاصة بقريش كلها لانهم قرابته .

افتراؤه على الانصار

رضى الله تعالى عنهم فيها

قال فى ص ١٥٩ (رأى عدم التصخيص كان للأنصار فانهم كانوا يريدون أن يكون الخليفة منهم لما كان لهم من فضيلة النصر والايواء والمساعدات العظيمة التى قاموا بها وان لم يتيسر ذلك كان منهم أمير ومن المهاجرين أمير اه) أقول تعبيرى بهذا العنوان وهو افتراؤه على الأنصار وان كان فيه شدة . استحقه لركوبه هواه ومخالفته تاريخ الاسلام المنقول صريحاً فى اجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة واتفاقهم على ارادة بيعة سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه وخطبته الصريحة فى كونها لهم خاصة وخطبة الحباب بن المنذر منهم كذلك ومحاورته للفاروق وامتناع سعد رضى الله تعالى عنه عن بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه لما بايعه المسلمون كلهم حتى مات وكل هذا فى جميع كتب التاريخ الاسلامى أوضح من الشمس فى رابعة النهار ولو

كانوا رضى الله تعالى عنهم يرونها عامة ما اجتمعوا فى السقيفة على سعد وما ترددوا فى بيعة الصديق أبى بكر رضى الله تعالى عنه لانهم لا يشكون فى كونه سيد المسلمين جميعاً ولم تقل الأنصار رضى الله تعالى عنهم أن الخلافة يتولاها كل من كانت فيه الكفاءة والمقدرة من أى الناس كان حتى يصح للخوارج أن يأخذوا رأيهم عنهم كما سيزعمه وقد كفانا الرد على افترائه كلامه وهو (فانهم كانوا يريدون أن يكون الخليفة منهم الخ) .

محامى الخوارج

قال فى الصفحة نفسها ، (وأخذ بهذا الرأى من بعدهم جميع الخوارج الذين كانوا يخرجون على الخلفاء فى أزمنة مختلفة ومنهم من كان يتسمى بأمير المؤمنين كقطرى بن الفجاءة وليس من قريش وإنما هو رجل من تميم وهؤلاء كانوا يرون أن القصـــد من إمامة المسلمين انما هو توجيههم الى الصلاح وابعادهم عن الشر والسير فيهم بأوامر دينهم غير ناظرين فى ذلك إلى بيت أو قبيلة بل إلى مافى الشخص من المقدرة والكفاءة ويستندون فى رأيهم إلى قاعدة وضعها القرآن وهى ﴿إن اكرمكم عند الله أتقاكم﴾ اه.

أقول ما كفته فريته على الانصار انهم يرون الخلافة عامة لا تختص بقريش حتى ضم اليها أخرى . وهى أن الخوارج أخذوا مذهبهم فى كون الخلافة عامة لاتختص بقريش من رأى الأنصار وهو باطل من أربعة أوجه (الأول) أن الانصار رضى الله تعالى عنهم يرونها خاصة بهم بدليل حججهم التى أدلى بها خطباؤهم وقد ذكر المحاضر بعضاً منها فى كلامه ولو كانوا يرونها عامة مانازعوا المهاجرين فى مبدأ أمرهم قبل احتجاج الصديق عليهم بالنص القرآنى والنص النبوى المتواتر لأنهم يعترفون بفضله كما تقدم وحينئذ فبناء مذهب الخوارج على رأى الانصار بناء على غير أساس وتفريع على غير أصل . (الثانى) جل الصحابة مهاجرين وانصاراً وغيرهم ماعدا الشيخين وأفراداً قليلين كفار فى رأى الخوارج فكيف يعقل أخذهم هذا الرأى عن الكفار والعمران اللذان يقدسهما الخوارج يرونها خاصة بقريش امتثالا

للنص . (الثالث) أخذهم هذا الرأى عن الانصار لايخلو من أن يكون تقليدا لهم أو موافقة لهم فى الاجتهاد وكلاهما باطل فان كان تقليدا لهم فهل يعقل تقليـد من يعتقد أن الايمان انحصر فيه للكفار ، وان كان موافقة لهم فى الاجتهـــاد فهل يعقل موافقة المؤمن فى زعمه للكافر فى رأيه فى الاجتهاد (الرابع) على فرض صحة أن الانصار رضى الله تعالى عنهم رأوا فى مبدأ الأمر أن الخلافة عامة لاتختص بقريش ولا بهم فقد رجعوا عن هذا الرأى حين احتج عليهم الصديق رضى الله تعالى عنه بالقرآن والحديث المتواتر فقال لهم ، إن الله تعالى قد سماكم فى سورة الحشر بالمفلحين وسمانا فيها بالصادقين وقد أمركم الله تعالى فى سورة التوبة بأن تكونوا معنا ، قال تعالى فيها :ـ

﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ فدل هذا على أن الخلافة فينا وسمعته عليه الصلاة والسلام يقول (الائمة من قريش) فنحن الامراء وانتم الوزراء ، فأذعنوا رضى الله تعالى عنهم وبادروا إلى بيعته ، فاذا كيف يعقل أخذهم رأياً رجع عنه أصحابه . فتلخص بهذا التقرير ان رأى الخوارج هذا مبنى على الهوى لا صلة له بالأنصار ولا بالوحى كله وان سلسلة اتصالهم بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يزعمون انهم مؤمنون به وبما جاء به من عند الله تعالى مقطوعة كتاباً وسنة وإجماعاً وذلك لأن الوحى كله قرآناً وسنة انما حمله الينا الصحابة الذين هم كفار فى زعمهم والكافر ليس بعدل ولا ثقة ولأجل ذلك اهدروا الســـنة كلها ولم يأخذوا إلا بالقرآن فى زعمهم وقد قال عليه الصلاة والسلام فيهم (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم) أى لايفهمونه ، ولهذا قال فيهم عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما (هم شرار الخلق عمدوا الى آيات نزلت فى الكفار فحملوها على المؤمنين) ، قال الخضرى منوها بشأنهم بذكر اسم رجل منهم محاميا عنهم بذكر حجتهم (وشبه الشىء منجذب اليه) ومنهم من كان يتسمى بأمير المؤمنين كقطرى بن الفجاءة وليس من قريش وانما هو رجل من تميم وهؤلاء كانوا يرون ان القصد الى أن قال ويستندون فى رأيهم الى قاعدة

وضعها القرآن وهى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾، الخوارج دعاة الفوضى وعضو فاسد فى جسد الامة الاسلامية تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلبُ بصاحبه وهم فرق كثيرة متفقة كلها على تكفير جل الصحابة والامة الاسلامية جمعاء، ويكفر أيضاً بعضهم بعضا ويتبرأ منه لا أبسط مسألة وأتفه سبب. منهم البيهسية والصفرية والاباضية والازارقة وهؤلاء من اشدهم غلواً يستحلون دماء جميع المسلمين رجالا ونساءً وأطفالا واحتج شيخهم نافع ابن الازرق على ذلك بقول نوح عليه الصلاة والسلام ﴿ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا ﴾، وقطرى بن الفجاءة المنوه به من هذه الفرقة وقد حاربه القائد المحنك المهلب بين أبى صفرة وفى آخر زمن قطرى ان فصل عنه أكثر جنده الموالى وولوا عليهم رجلا يقال له عبد ربه وكفروه ومن معه من العرب ثم حاربوه حرباً شديدة حتى اجلوه مع أصحابه عن البلد الذى هم نازلون به فجاء المهلب فقضى على هؤلاء الموالى مع أميرهم ثم تتبع قطرياً حتى قتله مع كثير من أصحابه، فولى بقيتهم عليهم بعده عبيدة بن هلال اليشكرى فتتبعهم المهلب أيضاً حتى قطع دابرهم كلهم. وقوله (ويستندون فى رأيهم إلى قاعدة وضعها القرآن وهى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ صحيح ولكنها لا تدل على مدعاهم لأنه تعالى قال (عند الله) أى لا عند المخلوقين فى الدنيا فهذه العندية والله تعالى أعلم تشير الى أن التقوى محلها القلب كما فى الصحيح (التقوى ههنا التقوى ههنا) وأشار عليه الصلاة والسلام الى صدره، وان قيل فى معناها انها مراعاة حدود الله أمراً ونهياً والاتصاف بما أمرك أن تتصف به والتنزه عما نهاك عنه فلا شك أن المراعاة والاتصاف بما ذكر انما يصدران عن المضغة التى اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله وهى القلب، والقلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف شاء لا سيطرة للخوارج وغيرهم عليها ولا عبرة بالطاعات الظاهرة اذا كانت القلوب خربة بدليل المنافقين المفضوحين فى القرآن ولا

بكثرة العبادة والزهد بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للصحابة فى وصف الخوارج (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) فدل حديثهم هذا على أن الظاهر لاعبرة به إذا كان الباطن الذى هو رئيس الأعضاء (القلب) قد استحوذ عليه الشيطان على انه قد لا يطرد مع الباطن بدليل قوله عليه الصلاة والسلام فى الصحيح (ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى مايبقى بينه وبينها الا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى مايبق بينه وبينها إلا شبر أو ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة اه) . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام أيضا (رب اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه به لو أقسم على الله لأبره) ، والمؤمن انما يدخل الجنة برحمة الله تعالى كما فى الحديث الصحيح لا بعمله وان كان سببا فى ذلك ، والشيخان المقدسان عند الخوارج لم يكونا رضى الله تعالى عنهما أكثر الصحابة عبادة وزهداً ولكنهما كانا من أشد عباد الله تعالى خوفاً منه ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ .

تقويم رأيه الثانى ونقد كلام ابن خلدون الذى اعتمد عليه فيه

قال فى الصفحة نفسها (ورأى التخصيص بقريش كان فى ذلك الوقت رأياً للجمهور لما رواه لهم أبو بكر من ذلك الحديث المتقدم ذكره وقد بين أبو بكر طرفاً من علة هذا التخصيص بقوله ان هذا الامر إن تولته الأوس نفسته عليهم الخزرج وان تولته الخزرج نفسته عليهم الأوس ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش اه) .

أقول : تقدم أن التحقيق فى شأن الخلافة انه لم يكن فيها إلا فكرة واحدة وهى التخصيص فالأنصار رضى الله تعالى عنهم فى أول اجتماعهم رأوا أنها خاصة بهم والمهاجرون كلهم رأوا أنها خاصة بقريش وأجمع الصحابة

كلهم بعد بيان الصديق البليغ على أنها فى قريش لذلك بايعوه كلهم ، فقوله (ورأى التخصيص بقريش كان فى ذلك الوقت رأياً للجمهور) غير صحيح وصواب الكلام أن يقول تخصيص الخلافة بقريش انعقد عليه الاجماع بعد النص . وقوله (لما رواه أبو بكر لهم) تقدم أن حديث الأئمة من قريش رواه نحو أربعين صحابياً فيكون أبو بكر من جملة رواته ، وقوله (وقد بين أبو بكر طرفاً من علة هذا التخصيص بقوله إن هذا الأمر إلى آخر الكلام) هذه الألفاظ التى ذكرها الخضرى من كلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه كلها ليست فى تاريخى ابن جرير وابن الاثير والذى فى ابن جرير من جملة خطبته رضى الله تعالى عنه (فخص الله تعالى المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم فهم أول من عبد الله فى هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم) وهو بعينه فى الكامل لابن الاثير وزاد هذا من كلام الصديق ، (وإن العرب لا تعرف هذا الامر إلا لقريش هم أوسط العرب دار ونسباً) وفى ابن جرير من كلام عمر رضى الله تعالى عنه يخاطب الانصار رضى الله تعالى عنهم (والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم) ، قال الخضرى : (ومن هنا استنبط العلامة بن خلدون استنتاجه أن السر فى تخصيص قريش بالخلافة إنما هو ما كان لهم من العصبية والتقدم على سائر بطون العرب . بهذا يعترف لهم الناس ولا ينكره عليهم أحد فاذا كان الخليفة منهم لا ينتظر أن يعارضه أحد من القبائل الأخرى مهما يكن قدره عظيماً ، وبنى على ذلك انه لما كانت العلة هى العصبية التى بها يكون اجتماع الكلمة ، فكانت عصبية قريش جاء عليها وقت فيه ضعفها حتى لم تعد قادرة على حماية البيضة والدفاع عنها وكانت الشريعة مبنية على العلل والحكم فى كل

زمان بحسبه كان من الممكن أن تكون الخلافة فى غير قريش ممن فيهم تلك القوة والعصبية المجتمعة اه) قوله ومن هنا استنبط العلامة ابن خلدون الخ الكلام أى من الكلام الذى نسبه المحاضر إلى الصديق وزعم أنه طرف من علة هذا التخصيص وهو:(ان هذا الأمر أن تولته الاوس نفسته عليهم الخزرج ، وأن تولتـه الخزرج نفسته عليهم الاوس ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش) استنباط خاطىء من ثلاثة أوجه (الاول) تقدم أن هذا الكلام لم يذكره ابن جرير وابن الاثير اللذان هما عمدة ابن خلدون فلا يصح التمسك به وجعله طرفاً من علة هذا التخصيص (الثانى) على فرض صحته لا حجة فيه لما ادعاه ابن خلدون من أن السر أو العلة فى تخصيص قريش بالخلافة ما كان لهم من العصبية والتقدم على سائر بطون العرب ، ولو كانت هذه الدعوى صحيحة ما نازعتهم الانصـــار فيها ، وقوله وكانت الشريعـة مبنية على العلل والحكم ، صحيح ولكن دعواه أن السر فى تخصيص قريش بالخلافة هو العصبية والتقدم على سائر بطون العرب غير صحيحة (الثالث) العلة فى تخصيص قريش بالخلافة هو مقام النبوة لا العصبية والتقدم وهى واضحة لكل من رزق فهماً مستقيماً فى كلام الصديق الذى احتج به على الانصار، وفى كلام الفاروق أيضاً اللذين نقلناهما ، قال الصـديق لهم : (فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شـدة أذى قومهم وتكذيبهم إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عـددهم وشنف الناس لهم فهم أول من عبد الله فى هذه الارض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينازعهم الا ظالم) ألا يرى القارىء تلك المزايا التى عـدها أبو بكر للمهاجرين كيف تدور كلها حول مقام النبوة ، ألا ينظر الى تصريحـه بالعلة فى قوله فهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم الا ظالم.

وصرح لهم الفاروق فى كلامه بالعلة فقال : (والله لا ترضى العرب

ان يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع ان تولى امرهم من كانت النبوة فيهم وولى امورهم منهم) ، وقريش كانوا فى القديم متفرقين فى قبائل العرب حول مكة غير معروفى المكانة واول من جمعهم وبوأهم بمكة وجعل لهم مكانة معروفة بين العرب قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن هذه المكانة لم تقدمهم على سائر بطون العرب ولم تجعل لهم العصبية عليهم جميعاً كما زعم ابن خلدون وانما حفظوا بها كيانهم كسائر قبائل العرب ولما جاءت حادثة الفيل واهلك الله تعالى أبرهة وجيشه لما أراد هدم الكعبه الشريفة سببت لهم احترام العرب جميعاً وأكدت احترامهم لبيت الله تعالى زيادة على ما كان له من التعظيم فى قلوبهم لما دفع الله تعالى به عنه وعنهم من كيد ذلك الطاغية وجيشه الجرار لا للعصبية والتقدم المزعومين لهم على سائر بطون العرب ولأجل ذلك قالت العرب فيهم (اهل الله دافع عنهم) ، وتقدم ان حادثة الفيل كانت ارهاصاً (اى دليلا من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام)

افتراؤه على أمير المؤمنين

على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى الخلافة

قال فى آخر صفحة ١٥٩ مانصه : (ورأى التخصيص بالقرآبة القريبة كان لعلى بن ابى طالب ومن شايعه وكان يرى نفسه احق بالخلافة من سواه لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح بذلك فى حديث مع ابى بكر ولما لم يكن له مساعد يساعده على نيل ذلك الحق الذى رآه لنفسه أذعن لرأى الجمهور) ، اقول كلامه هذا باطل من اثنى عشر وجهاً . (الاول) لم تذكر كتب الصحاح والمسانيد بل ولا كتب التاريخ وابرزها واقربها تناولا لكل طالب علم ابن جرير وابن الاثير أن عليا رضى الله تعالى عنه ومن شايعه قال الخلافة مخصصة ببنى هاشم لاتكون فى غيرهم من قريش فنحن نتحـــدى كل من تخصص فى التاريخ من المعاصرين واغتر

بكلامه هذ ان ينقل لنافريته هذه عن مؤرخ اسلامى مشهور اما هو فقد مضى الى الديان وسيجازيه جزاء النواصب الأفاكين . (الثانى) روى ابن اسحق فى سيرته فى مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى توفى فيه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال(خرج يومئذ على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه على الناس من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له الناس ياأباحسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال اصبح بحمد الله تعالى بارئاً ، قال فأخذ العباس بيده ثم قال ياعلى انت والله عبد العصا بعد ثلاث.أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كنت اعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب فانطلق بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم،فان كان هذا الامر فينا عرفناه وان كان فى غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس ، قال فقال له على انى والله لا افعل والله لان منعناه لا يؤتيناه أحد بعده اه) فهذه القصة صريحة فى براءة على وعمه العباس وجميع بنى هاشم مما افتراه عليهم من تخصيص الخلافة بهم.

(الثالث) حكمه برأيه الفاسد على ضمائر القلوب وما فى القلوب لا يعلمه الا الله بقوله (وكان يرى نفسه احق بالخلافة من سواه) ورأى هنا علمية قطعاً أى يعلم نفسه احق بالخلافة من غيره ولا سبيل له لمعرفة أن عليا كان يرى نفسه إلى آخر الهراء إلا من وحى شيخه ..

(الرابع) لو فرض صحة هذا الافتراء عليه بانه كان يرى نفسه الخ لكان احتجاجه بالقرابة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله (لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم) صحيحاً لان الشيخين رضى الله تعالى عنهما قد احتجابها على الانصار رضى الله تعالى عنهم وقد تقدم صريحاً فى كلامهما الذى نقلناه فى محاورتهما لهم وقوله مؤيداً فريته (كماصرح بذلك فى حديث مع ابى بكر) غير صحيح وعلى فرض صحة هذا الحديث من على مع أبى بكر رضى الله تعالى عنهما هو حجة عليه وهو الوجه . الخامس ـ وقد ذكره ابن جرير من طريق الزهرى مطولا ومضمونه

ان عليا وبنى هاشم لم يبايعوا الصديق إلا بعد ستة أشهر بعد وفاة فاطمة رضي الله تعالى عنها وان أبا بكر أتاهم ، وقص حديث على الذى أشار اليه المحاضر محتجاً به على فريته وهو حجة عليه منه ، (فقام على فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، بما هو أهله ثم قال أما بعد : فانه لم يمنعنا من ان نبايعك يا أبا بكر انكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله اليك ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقاً فاستبددتم به علينا ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحقهم. فلم يزل على يقول ذلك حتى بكى أبو بكر اه) فهذا كلام واضح صريح من على فى أفضلية الصديق رضى الله تعالى عنه وكونه مع بنى هاشم يرون لهم حقاً فى الخلافة حق وصدق وصحيح فان كل بطن من بطون قريش لهم حق فيها لأنها فيهم كلهم لقوله عليه الصلاة والسلام « الأئمة من قريش » فليتأمل القارىء اللبيب كيف حرف كلامه (كنا نرى أن لنا فى هذا الامر حقاً) لنصبه الى اسم التفضيل فقال (كان يرى نفسه أحق بالخلافة من سواه) والفرق بين كون الشخص يرى له حقا فى شىء مع غيره من الناس وبين كونه يرى نفسه أحق بذلك الشىء من غيره يعرفه صغار الطلبة فكيف بمحاضر التاريخ الاسلامى صاحب المؤلفات العديدة ولم يكتف بهاتين الفريتين فى أبى الحسن وهما كونه يرى تخصيص الخلافة بالقرابة القريبة وكونه يرى نفسه أحق بها من غيره بل ضم اليهما ثالثة وهو سعيه لنيل ذلك الحق ولكن لما لم يجد مساعداً له عليه أذعن لرأى الجمهور قال (ولما لم يكن له مساعد يساعده على نيل ذلك الحق الذى رآه لنفسه أذعن لرأى الجمهور) ويبطل هذه الفرية . السادس ـ وهو أن حيدرة رضى الله تعالى عنه كان مغتبطا بخلافة الصديق لم يسع لنفسه فى نيلها وهذه كتب التاريخ الاسلامى ترد هذه الفرية فلو سعى لطلبها لنقلت ذلك ولو برواية ضعيفة لكنها لم تنقله . السابع ـ وقعت لابى سفيان بن حرب شبهة القومية فأقبل بعد بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه : وهو يقول إنى لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم أين المستضعفان

أين الأذلان على والعباس مابال هذا الأمر فى أقل حى من قريش ثم قال لعلى ابسط يدك أبايعك فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجلا ، فأبى على رضى الله تعالى عنه عليه فتمثل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكى له أحد

فزجره على رضى الله تعالى عنه وقال والله انك ماأردت بهذا إلا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شراً لاحاجة لنا فى نصيحتك ، ووقعت لابن عمه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو من السابقين الى الاسلام.وهاجر الهجرتين لقى علياً وعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهم جميعاً .بعد بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ياأبا الحسن يابنى عبد مناف أغلبتم عليها ـ يعنى الخلافة ـ فقال له على أمغالبة ترى أم خلافة ، فهاتان القصتان تبطلان فرياته الثلاث وتدلان على اغتباط أبى الحسن ورضاه بخلافة الصديق مع وجود المساعد القوى له على نيلها وبه وبغيره من الأوجه.ظهر فساد قوله (ولما لم يكن له مساعد يساعده على نيل ذلك الحق الذى رآه لنفسه اذعن لرأى الجمهور) وانه قطعاً أحموقة الرافضة التى يسمونها التقية وهى رزية لا تقية . وظهر أن المحاضر لا يبالى بتاريخ الإسلام أن يحمه من هواه.ومن المذاهب الفاسدة.ومن آراء المستشرقين والماديين وغيرها .

(الثامن) إن علياً رضى الله تعالى عنه قد بايع الصديق رضى الله تعالى عنه فى ثانى يوم السقيفة ولم يفارقه فى سفر ولا حضر.وقد حضر معه قتال الأعراب المرتدين بذى حسا والأبرق وذى القصة حققه الحافظ بن كثير فى البداية قال وما ذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره من الأخبار المخالفة لما فى الصحاح فهى مردودة على قائلها وناقليها اه . ويستلزم قوله يرى نفسه أحق بالخلافة من سواه انه يرى نفسه أفضل الصحابة على الاطلاق وسيأتى ما يدل على هذا البهتان فى كلامه كله ويبطله ثناء على رضى الله تعالى

عنه وأهل بيته على الشيخين رضى الله تعالى عنهما وتفضيلهما مع عثمان على نفسه. وتهديد من فضله عليهما بحد المفترى أى القاذف .

(التاسع) ثناؤه على الصديق الاكبر الثناء البليغ أخرج البزار عن محمد ابن الحنفية عن أبيه على رضى الله تعالى عنه . انه خطب فقال: من أشجع الناس؟ فقالوا أنت فقال أما إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذته قريش فيجؤه هذا وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم . أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله، ثم بكى على ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل . أم أبو بكر . فسكت القوم فقال على. والله لساعة من أبى بكر خير منه ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا يعلن بايمانه .

(العاشر) ثناؤه على عمر رضى تعالى عنه الثناء البليغ صح عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن علياً رضى الله تعالى عنه وقف على عمر رضى الله تعالى عنه بعد ما مات وهو مسجى وقال: (ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أحداً . أحب إلى أن ألقى الله تعالى بصحيفته من هذا المسجى) وفى رواية صحيحة انه قال له وهو مسجى صلى الله عليك ودعا له .

(الحادى عشر) قال ابن كثير فى البداية قد ثبت عنه بالتواتر انه قال على منبر الكوفة : (ايها الناس ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ولو شئت ان اسمى الثالث لسميت ثم قال وهو نازل من المنبر عثمان) وأخباره رضى الله تعالى عنه بكون الشيخين خير الامة ثبتت عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية وابى جحيفة العامرى وجاءت عنه من طرق كثيرة بحيث يجزم من تتبعها بصدور هذا القول من على . قال الذهبي وقد تواتر ذلك عنه فى خلافته وكرسى مملكته وبين الجم الغفير من شيعته ثم بسط الاسانيد الصحيحة فى ذلك قال: ويقال رواه عن على نيف وثمانون نفساً وعد منهم جماعة. والرافضة وأذنابهم لما لم يمكنهم انكار صدور هذا القول منه لظهوره

عنه بحيث لا ينكره الا جاهل بالآثار أو مباهت ، قالوا انما قال على ذلك تقية ، وما احسن ما ابطل به الباقر هذه التقية المشئومة لما سئل عن الشيخين فقال انى أتولاهما فقيل له انهم يزعمون ان ذلك تقية ، فقال انما يخاف الاحياء ولا يخاف الاموات فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا اخرجه الدارقطنى وغيره ، وهشام إذ ذاك خليفة فلم يخف منه .

(الثانى عشر) ثبت عنه رضى الله تعالى عنه انه قال من فضلنى على ابى بكر وعمر جلدته حد الفرية ، واخرج الحافظان أبو ذرى الهروى والدارقطنى من طرق ان بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فاخبر علياً وقال لولا انهم يرون انك تضمر ماا علنوا ما اجترأوا على ذلك فقال على أعوذ بالله رحمهما الله ، ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وادخله المسجد فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهى بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملتها ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووزيريه وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين وأنا برىء مما يذكرون وعليه معاقب صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفاء والجد فى أمر الله تعالى . يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان . لا يرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كرأيهما رأياً ولا يحب كحبهما حباً لما يرى من عزمهما فى أمر الله . فقبض وهو عنهما راض . والمسلمون راضون . فما تجاوزا فى أمرهما وسيرتهما رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره فى حياته وبعد مماته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى ، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقى مارق ، وحبهما قربة وبغضهما مروق ، ثم ذكر أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأبى بكر بالصلاة وهو يرى مكان على ثم ذكر أنه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبى بكر لعمر . قال : ألا ولا يبلغنى عن أحد انه يبغضهما الا جلدته حد المفترى اه .

افتراؤه ايضا على على وعلى التاريخ الاسلامى

قال فى صفحة ١٦٠ (مكث الرأى الاوسط سائداً والاخير خامداً لا يجد له محركا حتى كان آخر عهد عثمان فقام بالحواضر الاسلامية دعاة له ينبهون الناس اليه ويقبحون من خالفه إذكيف يحرم الخلافة قرابته وهذا موضع من الامة شديد الاحساس فسرعان ما تنبه وقد كان سبباً لخطوب طويلة ومصائب عظيمة ذهب فى سبيلها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومع هذا فلم يصف الأمر للخليفة الرابع على بن أبى طالب لأنه قام فى وجهه نصف الامة قادماً اليه من الشمال غير متأثر من تلك الدعوة التى قصد منها اقرار الأمر فى نصابه من بيت النبوة وكان هناك تصادم بين الرأيين وقد غلبت القوة واحسان السياسة رأى التخصيص بالقرابة حيث انتهى الحال بظفر معاوية بن أبى سفيان بالخلافة وهو من بنى أمية وليس من بنى هاشم اه)، أقول هذا الهراء كله مبنى ومفرع على تقسيمه للخلافة وعلى فرياته الثلاث فى على رضى الله تعالى عنه وقد أبطلت ذلك كله بالبراهين سابقاً فلا رأى أول ولا أوسط ولا أخير .

ومسألة الخلافة انعقد عليها إجماع الأمة بأنها فى قريش بعد بيعة الصديق فى السقيفة فقوله مكث الرأى الأوسط سائداً فاسد وكذلك قوله والأخير خامداً وقوله لايجد له محركا إلى قوله ذهب فى سبيلها الخليفة الثالث عثمان ابن عفان افتراء أيضاً على على وعلى التاريخ الإسلامى فان الذين قاموا بالحواضر الاسلامية على أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه مشغبين حتى أدى ذلك إلى قتله شهيداً لم يقوموا لهذا الرأى الذى افتراه على حيدرة وكرر لوكه فى مهاتراته وانما قاموا عليه لاسباب واهية ترجع الى شىء واحد وهو أن النعمة أبطرتهم لانهم لا صحبة لهم ولا بصائر ولا فقه فى فى الدين وإنما هم من الاعراب والمرتدين الذين أرجعوا بسيوف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى الدين كرها فلما شاركوا الصحابة فى فتوحات

فارس والروم تطاولوا بذلك على قريش كلها وظنوا أنهم فعلوا أفعالا فى الاسلام لم تقم بها قريش ولا أصحاب النبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجعت اليهم شنشنة الجاهلية التى أخمدها نور النبوة . لما توفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فظهرت تلك الجذوة التى كانت كامنة فى صدورهم فطار شررها على الجزيرة كلها وتقوت بأدعياء النبوة المشعوذين فلم يثبت على الاسلام الا أهل المدينة ومكة والطائف وقرية جواثى بالبحرين فقام أحزم الخلق وأشجعهم وأفضلهم بعد الانبياء، فقضى على المشعوذين وأرجع المرتدين الى الدين صاغرين بعد ما كانوا يتهكمون به ويكنونه بأبى الفصيل بتلك الزمرة الفاضلة من الصحابة فاندمجوا فى الجيوش الفاتحه تحت قيادة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . وكان الفاروق رضى الله تعالى عنه لا يولى على قيادة الجيوش وامارة الامصار الا صحابياً وبالرغم من هذا كله فقد ظهر وميض تلك الجذوة على ألسنتهم بعد وقعة القادسية قال أحدهم .

اذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد　　　قالت قريش ألا تلك المقادير

وقال آخر :

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة　　　ونسوة سعد ليس فيهن أيم

وسعد هو ابن أبى وقاص الزهرى القرشى أحد العشرة المبشرين بالجنه ولاه الفاروق قائداً على جيوش المسلمين بالعراق . ومعنى البيت : يزعم انهم رجعوا من محاربة أعدائهم وقد قتل كثير من رجالهم فتأيمت نساؤهم أى صرن أيامى ، ولم تتأيم نساء سعد لأنه لم يقتل ، وهذا رمى منه لهذا الصحابى الجليل بالجبن وقد كذب الخبيث فمواقف سعد فى غزوات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غرر فى جبين الدهر وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله وقد قال له صلى الله تعالى عليه وسلم يوم أحد : ارم سعد فداك أبى وأمى، قال الحاكم : رمى سعد بن أبى وقاص يوم أحد وكان رامياً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بألف سهم لم يسقط له واحد منها. وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول:

سعد بن أبي وقاص يعد بألف فارس ، اخرجه الملاء في سيرته . وسأل الفاروق عمرو بن معدى كرب عنه فقال : متواضع في جبايته ، عربي في نمرته أسد في تاموره ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، وهو لنا كالأب البر والام المتحننة ، واذا صاح الصائح أسد في تاموره وهو مع ذلك عاتق في حجلتها من الحياء ولم أر مثله ، فقال عمر لم أر كاليوم ثناء أحسن منه اه . وقد ولاه الفاروق على الكوفة بعد فتحه عاصمة كسرى (المدائن) فشكاه أهل الكوفة إلى عمر رضى الله تعالى عنه فأرسل محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه اليهم وأمره ان يدور بسعد عليهم قبيلة قبيلة ويناشدهم بالله ماتقولون في أميركم سعد بن أبي وقاص ، فدار عليهم محمد بن مسلمة به وقال لهم كما أمره الفاروق فكلهم أثنى عليه إلا رجلا من بنى عبس يقال له اسامة ابن قتادة فانه قام وقال : اما اذ نشدتنا فان سعداً لا يسير في السرية ، ولا يعدل في القضية ، ولا يقسم بالسوية . فقال سعد رضى الله تعالى عنه وكان مجاب الدعوة . اللهم ان كان عبدك هذا قام رياء وسمعة وبطراً اللهم أطل عمره وأدم فقره وعرضه للفتن . قال بعض التابعين فلقد رأيته في شوارع الكوفة وهو شيخ كبير يتعرض للجوارى أي الشابات يغمزهن أي يمسكهن فاذا ليم على ذلك قال شيخ مفتون ادركتني دعوة الرجل الصالح سعد بن أبي وقاص . ولم يقف هؤلاء الاوباش دعاة الفتنة عند هذا الحد في سعد بل ذهب جماعة من أعراب بني أسد الى عمر وزعموا ان سعداً لا يحسن الصلاة فعزله عمر رضى الله تعالى عنهما فلما قدم سعد المدينة قال له عمر كيف تصلى ياأبا اسحق قال أركد في الاوليين وأحذف الاخيرتين قال ذلك الظن بك ياأبا اسحق فقال متأسفاً على كون الاعراب الذين ذمهم القرآن يعرفون الصلاه وهو ذو السابقة في الاسلام يجهلها أبعد اسلامي وهجرتي وجهادي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصبحت أعراب بني أسد تعزرني في الدين ، والقصة كلها مسطرة في صحيح البخارى وقد مهد لهم عزل هذا السيد الجليل سبيل نشر فتنتهم ضد قريش

والخلفاء وجرأهم بعد على امير المؤمنين عمر فلم تبق له فى نفوسهم حرمة ولاهيبة فكانوا بعد هذه الجريمة التى ارتكبوها فى سعد رضى الله تعالى عنه كلما ولى عليهم امير شكوه اليه لاتفه سبب فيعزله عنهم فممن تولى عليهم وعزل عمار بن بن ياسر رضى الله تعالى عنه حتى اضجروه واتعبوه رضى الله تعالى عنه فدعا الله تعالى فى آخر حجة حجها فقال اللهم قد كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولامفتون ، وقال بعد ماطعنه ابولؤلؤة اوصى الخليفة من بعدى باهل الكوفة ان طلبوا كل يوم عزل أمير وتولية آخر ان يفعل ، وكان قتله رضى الله تعالى عنه كسراً لباب هذه الفتنة التى كان يدرؤها ويرقع فتقها بحزمه كما فى حديث حذيفة عند الشيخين أن عمر رضى الله تعالى عنه الباب الذى بين المسلمين وبين الفتنة وان ذلك الباب يكسر وكسره هو قتله فاذا قتل عمر رضى الله تعالى عنه انفتح باب الفتنة بين المسلمين بالسيف ولايغلق الى يوم القيامة فما تولى عثمان رضى الله تعالى عنه الا وقد انتشر شرر هذه الفتنة ضد قريش وخلفائهم فانضم أهل البصرة إلى اهل الكوفة فصار العراق كله عشاً لقادتها ثم انزوى تحت لوائها المصريون فما مضت سنون من خلافة ذى النورين حتى اصبح لها جيش جرار شبها بالتشغيب ضده بطراً ثم بالذهاب اليه وحصاره بالمدينة وقتله رضى الله تعالى عنه ، وماخوارج حروراء الذين قتلهم امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه بالنهروان ، وكل من خرج بعدهم على الخلفاء إلاسرية من هذ الجيش وفصيلة من تلك القبيلة وغصن من اغصان هذه الشجرة الخبيثة التى غرست فى زمان عمر وبقيت اغصانها تذبل وتيبس وتخضر وتورق بحسب الظروف وقدمات جل مصابيح الأمة وقادتها الكرام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه فخلصت قيادة الجيش والرياسة لجل هؤلاء فوجدوا لهم مرتعاً خصيبا فخرجوا عليه رضى الله تعالى عنه حتى قتلوه ظلماً فهم اول الخوارج واسهم ، وبهذا ظهر افتراؤه على حيدرة وعلى التاريخ

الاسلامى ، وهذه الفرية الرابعة فى حق على رضى الله تعالى عنه . وقوله (ومع هذا فلم يصف الأمر للخليفة الرابع على ابن ابى طالب لانه قام فى وجهه نصف الامة الى آخر الكلام) مشتمل على (ثمان فريات) ايضاً ، فتعليل عدم صفاء الامر لعلى بقيام معاوية فى وجهه فاسد وغباوة وجهل بتاريخ البشر ومن الذى صفت له اموره كلها من عباد الله المخلصين فهذا سيد الخلق محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذبه جل قومه ونصبوا له العداوة والبوا عليه العرب فلما ادخلهم فى الدين الحق عام الفتح نبتت له هو ازن فقضى عليهم ثم تلاهم اهل الطائف فلما ثاب هؤلاء الى الحق فى السنة التاسعة من هجرته صلى الله تعالى عليه وسلم نجم مسيلمة باليمامة فادعى النبوة وكتب اليه عليه الصلاة والسلام يزعم انه شرك معه فى النبوة وان له ولقومه نصف الارض ولقريش نصفها فأغوى جل قومه ، ثم تلاه الاسود العنسى باليمن ، وطليحة بن خويلد الاسدى قرب المدينة ، وفى الحديث الصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال (رأيت كأن فى يدى سوارين من ذهب فكرهتهما فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتها بهذين الكذابين اللذين أنا بينهما الاسود ومسيلمة) فلقى عليه الصلاة والسلام ربه جل وعلا ، وقد جاءت البشرى لصديقه بقتل الاسود الكذاب ولكن أكثر العرب رجع الى دين الجاهلية، فنجم أيضا كذابان لقيط الأزدى ذو التاج بجنوب الجزيرة وسجاح بنت الحارث فى شمالها الشرقى فأصبح الصديق يعانى أمراً تعجز عن حمله شوامخ الجبال فقابله بحزم وشجاعة يعجز عنها أبطال البشر غير الأنبياء فأنفذ جيش إسامة الذى جهزه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الشام فى آخر حياته وقد عارضه الصحابة فى إنفاذه ، وهاجم المدينة ليلا أتباع طليحة المتنبيء طمعاً فخرج الصديق اليهم فيمن بقى من شيوخ المهاجرين والأنصار فكبسهم بذى حسا فقتل فيهم قتلا ذريعاً وهرب بقيتهم إلى الأبرق وجاءهم مدد من قومهم فخرج إليهم أيضاً فى الشيوخ المباركين فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم عقد أحد

عشر لواء لقتال المرتدين بالجزيرة ، ولما فرغ هؤلاء القواد الكرام من العرب وفتحوا أطراف فارس والروم أتى الصديق رضى الله تعالى عنه أجله المحتوم شهيداً وكان رضى الله تعالى عنه قد أكل أكلة قبل موته بسنة مع الحارث بن كلدة الثقفى وكان هذا طبيباً فقال له يا خليفة رسول الله ان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وأنت نموت بعد سنة فماتا فى يوم واحد فتولى الفاروق واشتغل المسلمون باتمام الفتح الذى أسسه الصديق فكره احداث قريش عمر رضى الله تعالى عنه لمنعه لهم من الخروج من المدينة إلى الأمصار فلما تولى عثمان رضى الله تعالى عنه أذن لهم فكان أحب اليهم من عمر. ذكر المؤرخون وأهل الطبقات كابن الأثير وابن سعد فى طبقاته : أن عمر رضى الله تعالى عنه ما مات حتى ملته قريش وملها يعنى الاحداث منهم لا الصحابة وأهل السابقة . وقد أثر عنه انه قال : ما ترك الحق لعمر صديقاً . وما جاء آخر خلافتـــه إلا وقد انقرض كثير من طبقـــة الصحابة فتغلبت عليهم طبقة المخضرمين والاعراب المرتدين الذين أرجعوا الى الدين كرهاً بسيوف أولئك المصابيح البررة فبدأ الخلل وأحس بذلك الفاروق وبالرغم من حزمه المعروف عجز عن مداواة أهل الكوفة لكثرة شكاياتهم لأمرائهم العادلين فقال : أعجب لمائة ألف من المسلمين لا يرضون عن أمرائهم ما ذا أصنع لهم وتقدمت وصيته رضى الله تعالى عنه لمن يتولى بعده بتنفيذ رغبتهم ودعاؤه . وتولى ذو النورين رضى تعالى عنه وقد عظم شرر تلك الجذوة فى آخر خلافته بشكايات أهل مصر وأهل العراقين لأمرائهم وفى آخرها بنهوضهم إليه وحصارهم له وقتله . وهذا عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه عهد إليه ابن عمه سليمان بن عبد الملك بالخلافة . فرد المظالم المغتصبة من أبناء أعمامه لأصحابها فأرادوا القيام فى وجهه فلم يستطيعوا فدسوا عليه سماً فمات شهيداً ، فأى صفاء أمر حصل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولخلفائه الثلاثة وعمر بن عبد العزيز مع العبء الثقيل الذى حملوه والجهاد المستمر إلى وفاتهم حتى يقال فى على أنه لم يصف له الامر فليس من شرط

القائم بالحق عند كل من له مسكة من عقل أن يطيعه جميع الناس ويرضوا عنـــه والناس كلهم لم يطيعوا ولم يرضوا عن خالقهم ورازقهم بل عصاه أكثر خلقه من الثقلين وعبدوا غيره .

(الفرية الاولى) من الثمان قوله قام فى وجهه نصف الامة وهذا كذب واضح يدركه كل مسلم فان أهل الشام لم يكونوا ربع الامة التى بايعت علياً رضى الله تعالى عنه فان قيل مراده بنصف الامة الجيش فان الجيش الذى خرج به معاوية إلى على رضى الله تعالى عنهما قالوا كان تسعين ألفا وجيش على نحو ثمانين الفا . قلت لا يصح إطلاق لفظ الامة على الجيش وحده على أن عليا إنما حارب معاوية بجيش أهل العراق فقط ولم يحاربه بجميع جيوش الاقطار التى بايعه أهلها كالجزيرة العربية ومنها الحرمان واليمن وحضرموت وعمان وجيوش مصر وفارس .

الثانية ـ قوله قادماً اليه من الشمال فان عليا رضى الله تعالى عنه توجه من المدينة إلى العراق لما بلغه ذهاب عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ليتلافى أمرهم فتمت المفاهمة معهم واجتمعت كلمتهم لولا أولئـك الخوارج الذين قتلوا عثمان رضى الله تعالى عنه فانهم كانوا موجودين فى الجيشـين فقال بعضهم لبعض.ان اتفق هؤلاء فانهم يتتبعوننا ويقتلوننا فاتفقوا على انه اذا جاء الليل رمى بالسهام من فى جيش عائشة وطلحة.منهم جيش على ، ورمى من فى جيش على منهم جيش طلحة وعائشة فانشبوا الحرب بين الجيشـين قالوا فما ينتصر احد الجيشين على الآخر إلا وقد وهنا جميعا فينسوننا.فتمت مكيدتهم على المسلمين وكان أمر الله قدراً مقدوراً . ولما فرغ أمير المؤمنين من أهل الجمل توجه بجيش العراق إلى معاوية بعد اخفاق معالجته بالرسل من المشرق الى المغرب وخرج معاوية من الشام الى المشرق فالتقيا عنـد صفين بطرف الفرات .

الثالثة ـ قوله غير متأثر من تلك الدعوة الخ يقول (ان معاوية وأهل

الشام توجهوا لمحاربة على غير هائبين ولا متأثرين من تلك الدعوة التى قام بها الخوارج على عثمان بالحواضر الاسلامية وقصدوا منها اقرار الأمر فى نصابه من بيت النبوة يعنى ارجاع الخلافة لعلى الذى يرى نفسه أحق بها من غيره) ، وهذه فرية عظيمة على معاوية رضى الله تعالى عنه وعلى جميع آهل الشام تقتضى علم جميعهم بأن الثوار الذين قاموا على عثمان رضى الله تعالى عنه بالامصار انما قاموا كلهم لأجل الدعاية لعلى الذى يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره فعلم جميعهم بما ذكر فرية باطلة مبنية على باطلة وهى قيام الثوار على عثمان لأجل ذلك وهذه أيضا مبنية على باطلة وهى أن عليا يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره ومعاوية ومن معه انما امتنعوا من مبايعة على وحاربوه من أجل الثوار على عثمان الذين كثير منهم فى جيشه ، فطلبوا منه تسليمهم اليهم ليقتصوا منهم ثم . بعد ذلك يبايعوه فقال لهم رضى الله تعالى عنه ادخلوا فيما دخل فيه المسلمون ثم بعد ذلك حاكموهم إلى، لامن أجل هذه الفريات وهذه كتب التاريخ الاسلامى كلها ناطقة بهذا .

الرابعة والخامسة ـ قوله وكان هناك تصادم بين الرأيين ، يعنى رأى على وهو تخصيص الخلافة بالقرابة القريبة وانه أحق بها من غيره على زعمه ، ورأى معاوية وهو أنها فى قريش كلهم لا يختص بها على ، وكفى بهذا البهتان عليهما وقاحة وقلة حياء ، وفى موطأ الامام مالك من كلام النبوة الأولى (اذا لم تستح فاصنع ما شئت).

السادسة والسابعة والثامنة ـ قوله (وقد غلبت القوة واحسان السياسة رأى التخصيص بالقرابة حيث انتهى الحال بظفر معاوية بالخلافة وهو من بنى أمية وليس من بنى هاشم اه ، تكذيب التاريخ الاسلامى لوقاحته وسوء أدبه فى هذه الفريات الثلاث وهى قد غلبت القوة واحسان السياسة، وظفر معاوية بالخلافة أوضح من الشمس فان التاريخ نقل ان جيش معاوية مع كونه أكثر عدداً من جيش على رفعوا المصاحف على الرماح يدعون إلى كتاب الله تعالى مكيدة لما أشرفوا على فضيحة الهزيمة الكبرى

وأن القتل فيهم أكثر منه فى جيش على ، قتل منهم خمس وأربعون ألفا ، وقتل من العراقيين خمس وعشرون الفا ، ولم يقل مؤرخ ينتمى الى الاسلام ان عليا كان مسيئا فى سياسته ولم يقل مؤرخ مسلم ان معاوية ظفر بالخلافة وتسمى بها على المسلمين عموماً مدة حياة على رضى الله تعالى عنه بل ولا مدة ابنه الحسن ، وهذا المحاضر لايستحي من كثرة الكذب والبهتان ، والحياء من الايمان ، ولاشك ان الذى يكذب على الله وعلى الرسول ويسفه الامة الاسلامية جمعاء كما تقدم فى حادثتى الفيل والاسراء وغيرهما لا يصعب عليه الكذب والبهتان على الخلفاء والتاريخ الاسلامى ، ثم بنى على فريتيه فى على انه يرى تخصيص الخلافة بالقرابة القريبة وانه احق بها من غيره عقيدة الشيعة وخروج بعض ذريته على الملوك فثرثر بكلام كثير منه . (مازال ابناء على يرون هذا الحق لهم ارثاً لا ينازعهم فيه الا ظالم وتتمنى قلوب شيعتهم أن ينالوا هذا الحق فيحملون الواحد منهم بعد الواحد على الخروج فيخرجون وتكون العاقبة قتلا وتمثيلا) فهب ان الشيعة كانوا يعتقدون وجوب تخصيص الخلافة بعلى واولاده كما يعتقدون فيه غير هذه كثيرا من الا باطيل التى نسبوها اليه والى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كاعتقادهم انه وصى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الخلافة بل تغالوا فيه الى ان الهوه وكفروا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وحطوا مقام النبوة وخونوا جبريل عليه السلام فى الرسالة ، فهل يقول عاقل أن على على تبعة خبائثهم هذه ، وقد كان كثير من عوام الشام - يعتقدون فى ملوك بنى امية انهم هم قرابة الرسول لا غيرهم وانهم معصومون ويلعنون عليا على المنابر قالوا حتى ترك اهل حران من حمقهم صلاة الجمعة خلف امام لم يلعن علياً ، وقد نقل التاريخ غلو بعض امرائهم كالحجاج وخالد بن عبد الله القسرى فيهم وفى الحط من على ما تقشعر له الا بدان ، فهل على بنى امية ذنب وتبعة بسبب هذه العقائد الفاسدة اذا لم يأمروهم بها وبالرغم من ذهاب دولتهم ومجىء الدولة العباسية بقى فيهم بعض العقائد وهى تفضيل معاوية على على ، فقد جاء الرملة بعد الثلاثمائة الامام المحدث النسأى المشهور

فسأله اهاها عن ايها افضل ، فقال لهم أمايرضى معاوية أن يساوى عليا حتى يفضل عليه فداسوه بالأقدام حتى ذهب ضحية تعصبهم شهيداً رحمه الله تعالى ، فقوله مازال أبناء على الى آخر الكلام فرية ايضا على الابناء الخارجين على الملوك مبنية على فرياته فى ابيهم وقد أبطلتها وحكم فاسد منه على ضمائر قلوبهم ومن اين له انهم كانوا يعتقدون ذلك الحق الذى افتراه على ابيهم وعليهم فيخرجون لأجله وان شيعتهم هم الذين يحملونهم على الخروج،وهذا التاريخ الاسلامى يكذبه يدل على ان شدة الحيف عليهم هى التى ربما تحمل بعضهم على ذلك . فهم كغيرهم من الناس خروج من خرج منهم فأخفق وقتل ونجاح من نجح منهم فصارت له دولة فى الشرق أو فى الغرب ليس مبنيا على افترائه وانما هو عادة بشرية لا يستنكرها الا جاهل بتاريخ البشر . وقد خرج كثير من الناس غيرهم على العباسيين فأخفق بعضهم ونجح البعض فصارت لهم دول ، وهذا فى التاريخ الاسلامى أشهر من نار على علم وعلى تقدير صحة خروجهم لاعتقادهم ان الخلافة خاصة بهم أى وزر على ابيهم فى هذا الاعتقاد الفاسد وقد قال تعالى ﴿ ولا تزر وزارة وزر اخرى ﴾ فهو برىء منه كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام .

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولإم المخطىء الهبل

وفيها أيضاً قال : (ولكن بنو العباس جدت عندهم فكرة الدعوة الى انفسهم بعد وفاة ابى هاشم بن محمد بن على عن غير عقب فزعموا انه ادلى بالامر الى محمد بن على بن عبدالله بن العباس اه) قوله فى ابى هاشم عبد الله ابن محمد المشهور بابن الحنفية ابن على انه توفى عن غير عقب غير صحيح بل له عقب . وقوله زعموا أنه أدلى بالأمر يعنى الخلافة إلى محمد بن على ابن عبد الله بن العباس هذا أمر محقق وليس بزعم وقد نقله التاريخ قالوا وفد أبو هاشم من المدينة إلى الشام على سليمان بن عبد الملك فأكرمه وقضى حوائجه ورأى من علمه وفصاحته ما حسده عليه فوضع عليه من

وقف على طريقه وهو راجع إلى الحجاز. فسمه فى لبن فلما أحس أبو هاشم بالشر قصد قرية الحميمة من أرض الشراة وبها محمد بن على بن عبد الله بن العباس فنزل عنده حتى مات وأعلمه أن هذا الأمر صائر الى ولده وعرفه كيفية بث الدعوة .

انتقاده الخلافة مطلقا

قال المحاضر فى آخر صفحة (١٦١) (هـذا كان شأن الاختلاف فى فى البيت الذى يكون منه خليفـــة المسلمين ، شكل الانتخاب لم يرد فى الكتاب أمر صريح بشكل انتخاب خليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم الا تلك الأوامر العامة التى تتناول الخلافة وغيرها مثل وصف المسلمين بقوله تعالى ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، وكذلك لم يرد فى السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة إلا بعض نصائح تبعد عن الاختلاف والتفرق كان الشريعة أرادت أن تكل هذا الامر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ولولم يكن الامر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرهما اه) . أقول يريد بقوله هذا كان شأن الاختلاف فى البيت الذى يكون منه خليفة المسلمين ، الاختلاف الذى حصل بين بنى هاشم وبنى أمية وبين بنى العباس والعلويين من بنى هاشم على الخلافة والملك وباب الاختلاف بين المسلمين بالسيف والفتنة قد فتح بقتل الفاروق رضى الله تعالى عنه كما فى حديث حذيفة بن اليمان فى الصحيح وقد تقدم بل هو مسألة طلبها عليـــه الصلاة والسلام من ربه فلم يعطها كما فى الحديث (سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى الثالثة سألته أن لا يهلك أمتى بالخسف أو المسخ فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم حتى يستأصلها فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعـــل بأسهم بينهم فمنعنيها) وحينئذ فالتنازع بين المسلمين مفروغ منه بل هو سنة كونية معهودة فى بنى آدم منذ النشأة ، وقوله شكل الانتخاب لم يرد فى

الكتاب إلى قوله وأمرهم شورى بينهم، تقدم الجواب عنه فى صدر بحث الخلافة، وقوله وكذلك لم يرد فى السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة إلى قوله والتفرق تقدم الجواب عنه أيضا بما يشفي ويكفي غير المتنطع وقوله كأن الشريعة أرادت أن تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم ، غير صحيح فان أدلة الشريعة العامة والمطلقة كتابا وسنة قد أرشدت الامة اليه وقد تقدم ذكرها. نعم تعيينه بشخصه موكول الى أهل الحل والعقد منهم حيث ان الامام حق واجب عليهم لمصالحهم الدينية والدنيوية وقوله ولو لم يكن الامر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله كما أوضحت سبل الصلاة والصيام وغيرهما مبنى على نفيه ورود شكل الانتخاب فى الكتاب وورود بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة فى السنة يعنى لو لم يكن أمر الخلافة كما قلت من عدم ورود شكل انتخابها فى الكتاب وعدم ورود بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة فى السنة بل ورد فيهما مانفيته. لمهدت قواعده الى آخره وهو فاسد من خمسة أوجه . (الأول) الخلافة من مسائل الفروع وليست من الأصول والقواعد وقد جعلها بجهله من القواعد كالصلاة والصوم. بقوله ولولم يكن الأمر كذلك لمهدت قواعده وأوضحت سبله . (الثانى) هى حق واجب على الامة لمصالحهم فيكفى فى اثباتها أدلة الكتاب العامة والمطلقة ودليل السنة المتواتر المعين لها قبيلة ، فشكل انتخاب الخليفة والنظام الخاص به اذا موكول لأهل الحل والعقد من الامة، وقد أوضحته وعينته ونظمته سنة الخلفاء الراشدين المهديين وجماعة المسلمين ، فالنافى شكل انتخابها من الكتاب وبيان نظام خاص بها فى السنة خاطىء خطأ قبيحا متنطع غير واثق بأدلة الكتاب العامة والمطلقه ولا ببيان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وغير متبع سبيل المؤمنين . (الثالث) حيث ثبت أنها من مسائل الفروع فحلها بتعيين الكفء لها من حق الامة أهل الحل والعقد فاناطة تعيين ذلك بالكتاب والسنة عبث واهدار لمواهب عقول الامة التى مدحها الله تعالى فى كتابه العزيز فى

آيات كثيرة والكتاب والسنة لم ينصا على كل فرعيـــة تقع للمكلفين فى الكون ومن يدعى ذلك فهو كاذب معاند، واذا كانت كل فرعية كهذه تتوقف على تعيين الله تعالى وتعيين الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فأى فائدة حينئذ فى مدحه تعالى للعلماء المستنبطين والراسخين فى العلم. (الرابع) مضى على هـذه الامة المرحومة المبرزة على جميع الامم بكثرة العلماء والمؤلفين الف وثلاثمائة وثلاثة وسبعون عاما ولم يقل مؤرخ منها أو غير مؤرخ ان شكل انتخاب الخليفة لم يرد فى الكتاب وكذلك لم يرد فى السنة بيان نظام خاص لانتخابه على اختلاف مذاهبهم فيهـا . (الخامس) يلزم من منطوق كلامه هذا الطعن فى الاجماع اجماع الصحابة على خلافة أبى بكر واجماعهم على خلافة الفاروق بعـد استخلاف الصـديق له واجماعهم على خلافة ذى النورين واجماعهم على خلافة حيدرة من باب أولى ولا يقال انه اعترف بالاجماع لأنه قال (كان الشريعة أرادت ان تكل هذا الأمر للمسلمين حتى يحلوه بأنفسهم) لأنا نقول هذا الكلام متضارب متناقض فاسد وبيانه انه قال كأن الشريعة أرادت ان تكل هذا الأمر للمسلمين الخ ومقصوده بالشريعة الكتاب والسـنة فصار حل المسلمين لهـا أى اجماعهم ليس من الشريعة بمنطوقه ، وقد اتفق المسلمون على أن أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وقد جمع هذا المحاضر كتابا فى أصول الفقه على هـذه الاربعة طبعه انتقد فى مقدمته عموم الاصوليين وخصوصا منهاج البيضاوى وجمع الجوامع لابن السبكى وتحرير ابن الهمام، وزعم انه لم يعن أحد بالكتابة فى الاصول التى اعتبرها الشارع فى التشريع ، وان أحسن من رآه كتب فى ذلك أبو اسحق الشاطبى فى موافقاته وانه كلف فى سـنة ١٩٠٥ م ان يملى دروسا فى أصول الفقه على طلبة كلية غردون الذين يربون ليكونوا قضاة بمحاكم السودان الشرعية قال (وان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده لما زارهم أشـار عليه بمطالعة كتاب الموافقات وصاحب الموافقـات وان أجاد فى الإسلوب الذى ابتكره فى أصول الفقه إلا أن ارتباط كلامه

بعضه ببعض واسهابه خرج بكثير من مسائله عن الفن الى التفسير كالسلسلة لا يستطيع الخضرى ولا من هو أكبر منه ان يقتصر عليه دون كتب هذا الفن فى تحصيله أو التأليف فيه على أن أبا اسحق وفق بكتابه هذا الذى أشاد بمدحه هو وشيخه بين مذهبى الامامين مالك وأبى حنيفة وما كان متبذخا ولا متوقحا على عباد الله ولا مزدريا لعلماء الاسلام وتأليفه فيه انما هو مرتب ومستفاد من تلك الكتب التى ذمها وذم أصحابها وهذا من نكران الجميل وأصله الإعجاب بالنفس وقدورثه من شيخه محمد عبده وقد كان هذا وكثير من تلامذته يذمون فقه المذاهب الأربعة يزعمون أنه حال بين المسلمين وصلتهم بالكتاب والسنة حيث يأخذون دينهم بأصوله وفروعه منهما ولكنهم يحتاجون اليه فيما يهوونه من المسائل والفتاوى وهم دائما محتاجون اليه والى أتباعه وان ذموه وذموهم ومن منعهم من أخذ دينهم منهما مباشرة وهم أحرار وكتب المذاهب المدونة وأتباعها ليس لديهم مدافع وقنابل حالوا بها بينهم وبين كتاب الله وسنة رسوله . فالطريق واسع أمامهم مأمون فليخرجوا من هذه الكتيبة وليفهموا منهما دينهم فهما لا ينابذ لغة الضاد والسواد الأعظم . ولو وقف هؤلاء فى ثقتهم بأنفسهم واعجابهم بها عند ذم العلماء وفقه المذاهب لهانت علينا المصيبة ولكنهم ترقوا إلى الطعن فى الصحابة حملة الدين والدنيا الينا وتحريف كتاب الله تعالى بالتأويلات الفاسدة والطعن فى سنته عليه الصلاة والسلام وانكارها ما لم توافق أهواءهم ثم ذكر المحاضر طرائق الخلافة الثلاث التى سنها الخلفاء الراشدون وأجمع عليها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . (١) انتخاب الصديق لها قال فيها (وقد أثر عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله شرها ، قال ذلك لما علم أن بعض الناس قال لو أن أمير المؤمنين مات لبايعت فلاناً : مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التى لها الحق فى انتخاب الخليفة إلا أنها سنت الانتخاب من حيث هو) قوله وقد أثر عن عمر رضى الله تعالى عنه إلى قوله وقى الله شرها معناه وقاهم ما فى العجلة غالباً من الشر لأن العادة أن من لم يطلع على الحكمة فى الشيء الذى يفعل

بغتة لا برضاه وقد بين عمر رضى الله تعالى عنه سبب إسراعهم ببيعة أبى بكر لما خشوا أن يبايع الانصار سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنهم قال أبو عبيد عاجلوا ببيعة أبى بكر خيفة انتشار الأمر وأن يتعلق به من لا يستحقه فيقع الشر ، والمراد أن أبا بكر ومن معه من المهاجرين تفلتوا فى ذهابهم إلى الانصار فبايعوا أبا بكر بحضرتهم وفيهم من لا يعرف ما يجب عليه من بيعته فقال منا أمير ومنكم أمير ، فالمراد بالفلتة ما وقع من مخالفة الأنصار وما أرادوه من مبايعة سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى بدء الأمر ، فابتداؤها كان من غير ملأ كثير والشيء إذا كان كذلك يقال له الفلتة فيتوقع فيه ما لعله يحدث من الشر بمخالفة من يخالف فى ذلك عادة فكفى الله تعالى المسلمين الشر المتوقع فى ذلك عادة ، لا أن بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه كان فيها شر وقوله قال ذلك لما علم إلى آخر المقول صحيح ولكن لا دلالة فيه على أن بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه غير تامة وقد وضحت معناه ولا حجة أيضا فى قول ذلك القائل لو أن أمير المؤمنين مات لبايعت فلاناً حتى على ما قاله المسلمون فى تعريفها أنها حق واجب على المسلمين وجوباً شرعياً كفائيا إذا قام بهذا الواجب من يعتد به ممن هو من أهل الحل والعقد من تيسر حضوره من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من سائر البلدان سقط عن الباقين بل لو تعلق الحل والعقد بواحد مطاع كفت بيعته ودل كلام الفاروق هذا الذى نقل المحاضر بعضه وكله منقول فى الصحاح والتاريخ على ان هذا القائل غير مطاع بل هو من المتمنين المتسرعين ،وعلى رأى المحاضر الذى يشترط فى صحة بيعة الخليفة اتفاق رأى جميع الحواضر الاسلامية كما سيأتى فى نقده خلافة حيدرة لاحجة فيه من باب أولى وقوله (مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التى لها الحق فى انتخاب الخليفة الا انها سنت الانتخاب من حيث هو ،) باطل فان المسلمين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، قد تبين لهم وعلمو أن اهل الحل والعقد الذين تنعقد بهم بيعة الخليفة لا يتقيدون ببيئة مخصوصة لأن المبايعين

له فى السقيفة جماعة من الانصار ولم يحضرها جلهم ومن المهاجرين القرشيين عمر وابو عبيدة فقط ولم يقل شخص ينتسب الى الاسلام ان هذه البيعة ناقصة غير تامة ولا ان هذا الانتخاب ناقص لانه (لم يتبين فيه للناس البيئة التى لها الحق فى انتجاب الخليفة) ماعدا الرافضة ومبايعته رضى الله تعالى عنه فى اليوم الثانى بالمسجد البيعة العامة انما هى مؤكدة للاولى وليحضرها من كان بالمدينة من المسلمين ، هكذا يتخبط هذا المحاضر فى ابطال اجماع سادات هذه الامة الصحابة على بيعة الصديق رضى الله تعالى عنه بما يمليه عليه الشيطان فقال سابقاً (١) لم يرد فى الكتاب امر صريح بشكل انتخاب الخليفة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال (٢) لم يرد فى السنة بيان نظام خاص لانتخاب الخليفة وقال هنا (٣) مضت هذه البيعة من غير أن يتبين للناس البيئة التى لها الحق فى انتخاب الخليفة الا انها سنت الانتخاب من حيث هو (٢) وقال فى الطريقة الثانية ان يعهد الخليفة الموجود الى شخص آخر بعده بالخلافة وهى الطريقة التى كان بها انتخاب عمر بن الخطاب حيث اختاره ابو بكر وقد قال للناس (هل رضيتم من اخترته فقالوا نعم) أقول أن الصديق رضى الله عنه أمر عثمان رضى الله عنه بكتابة العهد بالخلافة لعمر وهو مريض ولم يقل للناس شيئا ولم يقولوا له شيئا فقوله (وقد قال للناس - هل رضيتم من اخترت فقالوا نعم) افتراء عليه وعلى التاريخ وهو بين أيدينا قال ابن الأثير فى كامله ودخل طلحة بن عبيد الله على ابى بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت مايلقى الناس منه وأنت معه فكيف به اذا خلا بهم وانت لاق ربك فسائلك عن رعيتك ، فقال ابو بكر : أجلسونى فأجلسوه فقال أبالله تخوفنى اذا لقيت ربى فسألنى قلت استخلف على اهلك خير أهلك . والمقصود من ذكر هذه القصة إبطال كذبه اتفاق قريش والمسلمين كلهم على خلافة الفاروق ورضاهم بها وان كان طلحة رضى الله تعالى عنه اغتبط بعد ذلك بخلافة الفاروق ورضى بها كما اغتبط ورضى بها المسلمون وهذه القصة وكلام الرجل الذى تقدم ذكره فى خلافة عمر قال

لو مات أمير المؤمنين يعني عمر لبايعت فلانا وقصة ابى سفيان بن حرب التى تقدمت حين بويع الصديق فى إتيانه علياً وارادته مبايعته وزجر علي له كلها تدل على أن اتفاق المسلمين كلهم على مبايعة شخص ورضاهم به احدى المستحيلات .

افتراؤه على الفاروق

فى تنقيص ستة الشورى دفعتين وتكذيب التاريخ له

قال فى الطريقة الثالثة وهى الطريقة التى انتخب بها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه (فان عمر رضى الله تعالى لما ضرب واحس بالموت خاف أن يترك المسلمين بدون خليفة لئلا يختلفوا ولم يكن أمام نظره من لو استخلفه يكون مطمئن النفس من قبله فلم يشأ أن يتحمل أمر المسلمين حياً وميتاً فاختار ستة من كبار الصحابة وممن يرى انه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم اه) لا يبالى هذا المحاضر بكثرة التهجم فى الحكم على قلوب أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الطاهرة ولا بكثرة الكذب والافتراء على تاريخهم المجيد ولا يشعر بما يقع فى كلامه من التضارب وسيد الخلق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى لم يحكم على قلوب الناس بل قال (أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) وقال (أيها الناس انما أنا بشر وانكم تتحاكمون الى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأحكم له على ما أرى فأقطع له قطعة من نار فليأخذها أو ليدعها) بل عامل عليه الصلاة والسلام أخبث الكفار المنافقين على ما تظاهروا به من شعائر الاسلام مع علمه بحالهم والقرآن فضحهم وهتك سترهم فى آيات كثيرة وفى سورة مخصوصة ، وقال لمولاه وحبه اسامة بن زيد موبخا له لما قتل الاعرابى الذى مع المشركين بعد ماقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ظنا منه انه انما قالها خوفا من السيف (هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك) فقد حكم هذا المحاضر على قلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى هذا الكلام مرتين وافترى عليه وخان فى التاريخ المنقول عنه فى ثنائه على ستة الشورى . فالفرية

الأولى عليه فيه قوله : (ولم يكن أمام نظره من لو استخلفه يكون مطمئن النفس من قبله) . والثانية قوله : (وممن يرى انه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم) واذا لم يكن على زعمه أمام نظره من لم تطمئن نفسه اليه من الصحابة لو استخلفه على المسلمين فكيف ساغ له اختيار من لم تطمئن نفسه اليه واذا لم تطمئن نفسه لهؤلاء الستة وهم نخبة الصحابة فعدم اطمئنانها لبقية الصحابة من باب أولى وينحل هذا الهراء هكذا الصحابة كلهم فى نظر عمر غير موثوق بهم للخلافة، وقد بلغ بهذا الافتراء على الفاروق من الطعن فيهم وتنقيصهم الغاية القصوى فى الخبث والوقاحة ولم يكتف بهذه الفرية عليه بل ترقى منها الى أخرى وهى أن عمر يرى أى يعلم انه لا يتطلع لأمر الخلافة غيرهم وهذه الثانية مشتملة على ثالثة. وهما علمه بالمتطلعين للخلافة وحصرهم فى الستة ، وقد كذبه التاريخ الثابت عن عمر رضى الله تعالى عنه فى الثناء عليهم ، قال ابن الاثير فى كامله قال عمر رضى الله تعالى عنه بعد ما طعن ، (عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم من أهل الجنة (يعنى الستة) فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوا والياً فأحسنوا موازرته وأعينوه) . وقال الحافظ الفقيه المحدث محب الدين الطبرى فى كتابه الرياض النضرة فى مناقب العشرة فى آخر مناقب عمر رضى الله تعالى عنه (ذكر تزكيته أهل الشورى لما طعن عليهم) وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال (لما طعن عمر وأمر بالشورى دخلت عليه حفصة ابنته فقالت يا أبت ان الناس يزعمون ان هؤلاء الستة ليسوا رضى ، فقال اسندونى فلما أسندوه قال فما عسى أن يقولوا فى على بن أبى طالب سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول :(يا على يدك فى يدى تدخل يعنى يوم القيامة حيث أدخل)، ما عسى أن يقولوا فى عثمان سمعت رسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول(يوم يموت عثمان يصلى عليه ملائكة السماء) قلت يا رسول الله عثمان خاصة أم الناس عامة قال عثمان خاصة ، ما عسى أن يقولوا فى طلحة بن عبيد الله سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يقول ليلة وقد سقط رحله (من يسوي رحلي وهو فى الجنة)فبدر طلحة بن عبيد الله فسواه حتى ركب فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك فى أهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها)ماعسى أن يقولوا فى الزبير رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نام فجلس الزبير يذب عن وجهه حتى استيقظ فقال له ياأبا عبدالله لم تزل)فقال لم أزل بأبي أنت وأمي قال (هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك شرر جهنم) ما عسى أن يقولوا فى سعد. سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر وقد أوتر قوسه أربع عشر مرة فيدفعها له ويقول (أرم فداك أبي وأمي). ماعسى أن يقولوا فى عبدالرحمن بن عوف رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى منزل فاطمة والحسن والحسين يبكيان جوعاً ويتضوران فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما إهالة فقال صلى الله عليه وسلم كفاك الله أمر دنياك وأما آخرتك فأنا لها ضامن) خرجه الحافظ ابو الحسن بن بشران والحافظ ابو القاسم الدمشقى فى الأربعين الطوال اه .

وقال الطبرى أيضاً فى رياضه (ذكر إخباره رضى الله عنه عن موته بسبب رؤيا رآها واعتذاره عن الاستخلاف وآخباره أيضا بأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى وهو راض عن الستة أهل الشورى وذم الطاعنين عليهم واشهاده الله تعالى على أمراء الأمصار وعلى ما ولاهم عليه ووصيته بالمهاجرين والأنصار وثناؤه عليهم وبالعرب وأهل الذمة .) عن معدان بن أبي طلحة أن عمر رضى الله تعالى عنه خطب يوم الجمعة وذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال (انى رأيت كأن ديكا أحمر نقرني ثلاث نقرات وانى لا أراه الا لحضور أجلى وإن أقواماً يأمرونني أن أستخلف وأن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ولاالذى بعث به نبيه فان عجل بى أمر. فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض ، وانى قد علمت أقواما يطعنون فى هذا الأمر أنا ضربتهم بيدى هذه على الاسلام فان فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الضلال ، ثم قال اللهم انى أشهد على أمراء الأمصار فانى إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويقسموا بينهم فيئهم ويرفعوا إلىّ ما أشكل عليهم من أمرهم) قال فما كان إلا الجمعة الاخرى حتى طعن ، قال فأذن للمهاجرين من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأذن للأنصار ثم أذن لاهل المدينة ثم أذن لأهل الشام ثم أذن لأهل العراق فكنا آخر من دخل عليه قال فاذا هو قد عصب جرحه ببرد أسود والدم يسيل عليه قال فقلنا اوصنا ولم يسأله الوصية احد غيرنا قال (اوصيكم بكتاب الله فانكم لن تضلوا ما اتبعتموه . واوصيكم بالمهاجرين فان الناس يكثرون ويقلون واوصيكم بالانصار فانهم شعب الاسلام الذى لجأ اليه . واوصيكم بالاعراب فانهم اصلكم ومادتكم . واوصيكم باهل الذمة فانهم ذمة نبيكم ورزق عيالكم قوموا عنى) اخرجاه (يعنى الحديث) الامامان البخارى ومسلم.
فقوله رضى الله تعالى عنه فى الحديث الاول ماعسى ان يقولوا فى على ، ماعسى ان يقولوا فى عثمان ، ماعسى ان يقولوا فى طلحة الخ : اى اى شىء يطعنون به فى هؤلاء الستة وقد مدحهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واثنى على كل واحد منهم بما ذكر .

وفى الحديث الثانى قال رضى الله تعالى عنه توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض . وقال انى قد علمت أن اقواماً يطعنون فى هذا الامر أنا ضربتهم بيدى هذه على الاسلام فان فعلوا ذلك فاولئك اعداء الله الضلال ، فعلمه رضى الله تعالى عنه بالطاعنين فى هذا الامر يعنى استخلاف الستة ، وقوله انا ضربتهم بيدى هذه على الاسلام وقوله فان فعلوا ذلك (اى طعنوا فيهم) فاولئك اعداء الله الضلال دليل على ان هؤلاء الطاعنين فى سادات الامة ليسوا من ذوى البصيرة والفقه فى الدين

وانهم من شرر تلك الجذوة التى اخمدتها الوية الصديق رضى الله تعالى عنه تحت ستار الاسلام كما تقدم.

فهذان الحديثان وغيرهما من التاريخ الصحيح يدلان على ابطال فريتيه على الفاروق كما يدلان على ابطال فريته على علي رضى الله تعالى عنه(بانه كان يرى الخلافة خاصة ببنى هاشم وانه احق بها من كل صحابى وان رأيه هذا بقى خامداً لايجد له محركاً حتى كان آخر عهد عثمان فقام بالحواضر الاسلامية دعاة له ينبهون الناس اليه ويقبحون من خالفه) . وقد تقدم ابطال هرائه هذا مسهباً فلو كانت هذه الفرية صحيحة لما طعن فيه هؤلاء الطاعنون ولكان طعنهم قاصراً على اخوانه ورفقائه الخمسة ولو كانت صحيحة لبادر شيعته لمبايعته وقد وجدوا الفرصة لذلك وهى قتل عمر رضى الله تعالى عنه ولم يؤخروا تحريكها لآخر خلافة عثمان رضى الله عنه ولما اتفق اهل المدينة بعد اخذ عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه رأيهم جميعاً على ترجيح عثمان فى البيعة عليه الا عماراً والمقداد ، نقل ابن الاثير كلاماً كثيراً عن عمر رضى الله تعالى عنه فى قصة اصحاب الشورى منه ، وما أظن يلي إلا أحد هذين الرجلين على او عثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين، وان ولى علي ففيه دعابة واحرى به ان يحملهم على طريق الحق ، وان تولوا سعداً فاهله هو . والا فليستعن به الوالى.فانى لم اعزله عن ضعف ولاخيانة ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه واطيعوا ، وعنه رضى الله تعالى عنه انه قال حين طعن وأوصى ، إن ولوها الاجلح (والاجلح الأصلع) سلك بهم الطريق المستقيم يعنى علياً اخرجه ابو عمر . وعن عمرو بن ميمون قال كنت عند عمر اذ ولى الستة الامر فلما جاوزوا أتبعهم بصره ثم قال لئن وليتم هذا الاجلح ليركبن بكم الطريق يعنى علياً أخرجه ابن الضحاك . وفى لفظ :ـ ان ولوها الاصيلع يحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه . وفى رواية: لله درهم ان ولوها الاصيلع كيف يحملهم على الحق وان كان السيف على عنقه ، قال محمد فقلت

أتعلم ذلك منه ولا توليه . فقال ان اتركهم فقد تركهم من هو خير مني ، خرجه القلعي . فعلم مما تقدم ان الزمرة الفاضلة من المسلمين وهم جمهور الصحابة انتقل اكثرهم الى الدار الآخرة وصار جمهور المسلمين من المخضرمين والراجعين الى الاسلام بعد ردتهم والاعراب . فبدأ الاسلام يرق بفتح باب الفتنة بين المسلمين وهو قتل عمر رضى الله تعالى عنه وصدقت فيه فراسة أبي عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله تعالى عنه ، قال محب الدين الطبري فى رياضه (ذكر ايثار أبي عبيدة الموت قبل موت عمر) عن ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه انه قال ان مات عمر رق الاسلام . ماأحب ان يكون لى ماتطلع عليه الشمس أو تغرب . وانى أبقى بعد عمر فقال له قائل ولم قال سترون ماأقول ان بقيتم ان ولى بعده وال فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به . لم يطعه الناس وان ضعف عنه قتلوه اه .

قال المحاضر فى آخر تقرير هذه الطريقة الثالثة مانصه (لا ينكر أنها طريقة شورية ناقصة لأنه لم يكن القصد منها أخذ رأى الجمهور فيمن يكون خليفة عليهم وانما المقصود ان تؤخذ كلمة المرشحين للخلافة لأحدهم حتى لا يجد محبو الخلافة مجالا للخلاف ، ويظهر لنا ان عمر كان محسا بأن كلا منهم يتطلع لأن يكون خليفة . وخاف على الامة الشقاق من بعده فعهد اليهم عهده اه) . قوله لا ينكر الى قوله للخلاف مشتمل على غش وافتراء على التاريخ الاسلامى ، فقوله لا ينكر الى قوله لأحدهم غش للمسلمين وافتراء على التاريخ ـ وبيانه هكذا : كون هذه الطريقة شورية ناقصة معروف عند المسلمين لا ينكره احد منهم ، لأنه لم يكن القصد الخ المراد) ولا شك أن هذا غش وافتراء على التاريخ ، فلم يقل أحد من مؤرخى الاسلام ان هذه الطريقة شورية ناقصة وحينئذ فهذا المعروف الذى قال (لا ينكر) بمنكر وغش وافتراء وقوله لأنه لم يكن القصد منها أخذ رأى الجمهور الخ افتراء على الصحابة رضى الله عنهم فضحه وكذبه التاريخ فان

كتبه ناطقة بان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير وهم من ستة الشورى تنازلوا عن حقهم فى الخلافة لابنى عبد مناف عثمان وعلى ، وعبد الرحمن الذى وكل اليه ابرامها مكث ثلاثة أيام حتى أخذ رأى جمهور المسلمين (أهل المدينة) وهم أهل الحل والعقد فاتفقت كلمتهم على تقديم عثمان على على إلا المقداد وعماراً ، وجاء طلحة بعد مبايعة عثمان وكان غائباً وهو أحد الستة فبايع عثمان مغتبطاً راضياً . وقوله (حتى لا يجد محبو الخلافة مجالا للخلاف) افتراء مكرر تقدم ابطاله . وإن فرض أن الستة كانوا يتطلعون للخلافة ويحبونها أو يطلبونها بألسنتهم وهم أهل لها فلا يعيبهم بما ذكر إلا ناقص شانىء . فان يوسف صديق الله عليه السلام قال لملك مصر ﴿ اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ﴾ فطلب هذه الوظيفة لانه لم يكن فى مصر من هو أكفأ منه فيها وقد قال العلماء من طلب للقضاء فى بلدة ولم يكن احد فيها أعلم منه به وجب عليه قبوله . وهؤلاء الستة سادات المسلمين والصحابة وافضلهم على الاطلاق كل واحد منهم كفء لها فاى عيب يلحقهم اذا طلبوها بالسنتهم كما طلب يوسف عليه السلام تلك الوظيفة فكيف اذا لم يحصل منهم الا مجرد التطلع اليها والمحبة القلبية كما افترى . وقوله ويظهر لنا الى آخر الكلام ظهور فاسد وافتراء على عمر وعلى الستة مكرر تقدم ابطاله .

طعنه فى طرق الخلافة الثلاث

وتحامله على على رضى الله عنه ايضا

قال فى صفحة ١٦٣ (لم يكن فى طريقة من هذه الطرق الثلاث حل لتلك المسألة المتشابهة الاطراف لان الطريقة الاولى لم يبين فيها من لهم حق الانتخاب الذين يكون صوتهم محترماً أهم الامة بأسرها ، ام هم افراد مخصوصون ، وان كانوا مخصوصين فمن هم ! وغاية ما امكن شراح هذه القاعدة ان يقولوه ، أن قالوا هم اهل الحل والعقد ولكن من هم اهل الحل

والعقد اهم ولاة الامصار أم قواد الجيش ام أعيان الامة ، كل ذلك لم يبين فالمتطلع للخلافة يجد مجالا واسعاً للتأويل كما حصل عند استخلاف علي . والطريقة الثانية وهي طريقة العهد ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها وان يكن من الممكن فى بعض الاحيان ان يكون الشخص المختار لولاية العهد خير الناس كما حصل فى انتخاب عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . والطريقة الثالثة فى حقيقة الامر كالثانية اذ اقتصر فيها على الشكل الذى رآه عمر لانها عبارة عن عهد الى واحد غير معين من افراد محصورين يختارهم الامام ، لذلك لما جاء دور على قام جماعة من اهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة وهو بالمدينة ولم يؤخذ فى ذلك رأى غيرهم من المسلمين فى الحواضر الاسلامية كأن اهل المدينة وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى ولو كانوا من اهل الحل والعقد فى الامة متى كانوا بعيدين عن الحاضرة الكبرى كان ممن يترقب الخلافة ويرى نفسه لها اهلا معاوية بن ابى سفيان فقام بأهل الشام معلناً انه مخالف لان بيعة على رضى الله عنه ليست بصحيحة وحصل اصطدام بين الطرفين فى سهل صفين فلما عضتهم الحرب بنابها عمدوا الى شيء سموه تحكيماً اه) .

اقول قوله لم يكن فى طريقة من هذه الطرق الثلاث حل الى قوله كما حصل عند استخلاف على رضى الله عنه طعن فى خلافة الصديق رضى الله عنه مكرر بصورة اوسع فى التشكيك من السابق ، فقوله لم يكن فى طريقة من هذه الطرق الثلاث حل لتلك المسألة المتشابهة الأطراف صحيح ولكنه عنده فقط لا عند المسلمين الذين يحترمون اجماع الصحابة وسنة الخلفاء الراشدين ، وقوله لأن الطريقة الاولى لم يبين فيها من لهم حق الانتخاب الى قوله فالمتطلع للخلافة تهويش وتشكيك فى الاجماع تقدم جوابه . واقول ايضا ان اهل الحل والعقد المنتخبين للخليفة لا يشترط فيهم أن يكونوا جميع الأمة أو بيئة مخصوصة أو أفرادا مخصوصين أو ولاة

الأمصار أو قواد الجيوش أو أعيان الأمة ولا أن يكونوا من جميع هذه الطوائف التى هوش بتعدادها فعلماء الأمة الإسلامية قد تبين واتضح لهم من لهم حق فى انتخاب الخليفة (وهم أهل الحل والعقد) من بيعة الصديق رضى الله عنه فى السقيفة فقدحضرها جمع من الأنصار وإثنان من المهاجرين مع أبى بكر وهما الفاروق وابو عبيدة بن الجراح والذين حضروها من الطائفتين فيهم أعيان وهم صالحون لولاية الأمصار ولقيادة الجيوش وقد حصل ذلك لبعضهم فى خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ولم يكونوا من بيئة مخصوصة وفيهم غير هؤلاء وانعقدت بجميعهم بيعته والذين لم يحضروها وهم المهاجرون كلهم إلا من ذكرنا وأكثر الأنصار وجميع من كان قريباً من المدينة كبنى أسلم وغفار فيهم أيضاً أعيان وفيهم من تولى قيادة الجيوش وولاية الامصار وفيهم غير هؤلاء كثيرون والذين لم يحضروا بيعتيه أصلا بل أذعنوا لما بلغهم ذلك كاهل مكة والطائف فيهم أيضاً جميع من ذكرنا فأخذ علماء الأمة من بيعة السقيفة لمن له حق الانتخاب وصفاً عاماً جامعاً مانعاً وهو كونه من أهل الحل والعقد سواء كان متصفا بالأوصاف المذكورة كلها أو ببعضها أو لم يكن متصفا بشىء من ذلك حيث تقرر وثبت أن الخلافة نيابة عامة عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى أحكام الفروع حق من حقوق الأمة كلها واجب عليها وجوبا كفائيا إذا قام به من له الحل والعقد ولو واحداً سقط عن الباقين. وبهذا بطل تهويشه كله. ومنه قوله وغاية ما أمكن شراح هذه القاعدة أن يقولوه الخ الهراء فجعلها أصلا وقاعدة بجهله وقد أبطلت خلطا مثله سابقا، كما أبطلت سابقا قوله فالمتطلع للخلافة يجد مجالا الخ الهراء. وقوله (والطريقة الثانية وهى طريقة العهد ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادرا على حماية مصالحها. فاسد لتركبه من شرطين اشترطهما حضرته فى الذى يعهد اليه بالخلافة أحدهما فاسد وهو محبة الناس له. والثانى صحيح وهو كونه قادرا على حماية مصالح الامة وهذا الشرط هو الذى عبر عنه علماء الاسلام بعبارة أخصر وابلغ

من تعبيره الطويل الذيل وهو (الكفاءة) والمركب من الفاسد والصحيح فاسد إذ محبة الناس كلهم لشخص أو رضاهم به إحدى المستحيلات كما تقدم فعلماء الاسلام قاطبة حين قالوا شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة : الذكورية،والورع والعلم،والكفاءة،ونسبة قريش ، قصروا فى رأيه حيث لم يزيدوا هذا الشرط المستحيل الذى زاده عليهم بقوله : ليس فيها ضمان لاختيار من يحبه الناس ويكون قادراً على حماية مصالحها وقوله (وإن يكن من الممكن فى بعض الاحيان أن يكون الشخص المختار لولاية العهد خير الناس كما حصل فى انتخاب عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز)صحيح فى عمر ابن الخطاب،غير صحيح فى عمر بن عبد العزيز فإن فى القرشيين من إذا لم يكن أفضل منه لا ينقص عنه فى ذلك كسالم بن عبد الله بن عمر وهو من مشايخه والقاسم بن محمد بن أبى بكر وأبى جعفر الباقر.وقوله(والطريقة الثالثة فى حقيقة الامر كالثانية إذا اقتصر فيها على الشكل الذى رآه عمر لانها عبارة عن عهد إلى واحد غير معين من افراد محصورين يختارهم الامام). طعن مكرر تقدم انه زعم ان هذه الطريقة شورية ناقصة وقد ابطلته هناك . وأقول هنا فى تقويم اعوجاج هذا الكلام : قد عهد عمر رضى الله تعالى عنه الى واحد غير معين من الستة عين ذلك الواحد أهل الحل والعقد الذين أخذ رأيهم فى ثلاث ليال عبد الرحمن ابن عوف رضى الله تعالى عنه الذى فوض اليه عقدها وتنازل الثلاثة الموجودون بالمدينة عنها لعثمان ، وعلى ، فرجح أهل الحل والعقد الذين استشارهم عبد الرحمن تقديم عثمان على على رضى الله تعالى عنهما وبهذا تحقق ان طريقة الفاروق هذه محكمة البنيان قوية الاركان لأنها مركبة من العهد ومن انتخاب أهل الحل والعقد مركبة من انتخاب الصحابة للصديق ومن عهد الصديق له فلا يقول فيها أنها ناقصة إلا ناقص.

تحامله على على رضى الله تعالى عنه ايضا

وكذبه على معاوية وعلى التاريخ وتدليسه

قال (لذلك لما جاء دور على قام جماعة من أهل المدينة والثوار من الآفاق فبايعوه بالخلافة وهو بالمدينة) . اقول قوله قام جماعة من أهل المدينة والثوار الخ كذب وتدليس، قال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب اجتمع على بيعته المهاجرون والانصار وتخلف عن بيعته منهم نفر. فلم يهجهم ولم يكرههم وسئل عنهم فقال أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل .

وقوله (ولم يؤخذ فى ذلك رأى غيرهم من المسلمين فى الحواضر الاسلامية كأن أهل المدينة وحدهم هم الذين ينتهى اليهم أمر انتخاب الخلفاء وليس لغيرهم معهم رأى ولو كانوا من أهل الحل والعقد فى الامة متى كانوا بعيدين عن الحاضرة الكبرى) اشتمل هذا الكلام على غش وتهويش . فالغش فى قوله ولم يؤخذ فى ذلك الى قوله الحواضر الاسلامية فان الحواضر الاسلامية لما بلغهم مبايعته بايعوا إلا أهل الشام مع معاوية وطائفة من المصريين وقد تقدم ان بيعة الخليفة فرض كفائى إذا قام بها طائفة من أهل الحل والعقد فى المسلمين سقطت عن باقى الامه ووجب عليهم طاعته وقد انتقد وطعن فى أصل الخلافة فى طرقها الثلاثة وسيأتى طعنه فيها فى آخر كلامه فى بحثها فاشتراطه هنا أخذ رأى الحواضر الاسلامية لا معنى له إلا التذبذب والتخبط والنصب لحيدرة رضى الله تعالى عنه واذا كان أخذ رأى جميع الحواضر الاسلامية شرطا عنده فخلافة الثلاثة قبل على رضى الله تعالى عنهم غير صحيحة على زعمه لأن بيعة الصديق لم يؤخذ فيها رأى أهل مكة وأهل الطائف وجوائى بالبحرين وبيعة الفاروق كذلك وقد اتسعت المملكة الاسلامية عند بيعته. وبيعة عثمان من باب أولى لأن الحواضر الاسلامية قد اتسعت فيها أكثر . وقوله كأن أهل المدينة وحدهم الى آخر

الهراء تناقض وتهويش لأنه قال قريباً (لما جاء دور على قام جماعة من أهل المدينة الخ وهذا يقتضى أن أهل المدينة كلهم لم يبايعوه وانما بايعه منهم جماعة ، وقوله هنا كأن أهل المدينة الى آخره يقتضى انهم كلهم بايعوه كما قال ابن عبد البر إلا نفراً قليلا وهذا عين التناقض. نعم أهل المدينة إذ ذاك وحدهم هم أهل الحل والعقد لأنهم بقايا سادات هذه الأمة فيهم البدريون والأحديون وأهل بيعة الرضوان والاسلام الكامل ممثل فيهم وجميع الحواضر الاسلامية يذعنون لهم ويعترفون لهم بذلك حتى معاوية ومن معه وقد بايعته الحواضر الاسلامية سواه فبيعته رضى الله عنه مجمع عليها وقوله (كان ممن يترقب الخلافة ويرى نفسه لها أهلا معاوية ابن أبى سفيان فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف لأن بيعة على ليست بصحيحة. وحصل اصطدام بين الطرفين فى سهل صفين فلما عضتهم الحرب بنابها عمدوا إلى شىء سموه تحكيما) حكم على ضمير معاوية رضى الله عنه وكذب عليه وعلى التاريخ الاسلامى وتدليس. فمن أين له أن معاوية كان يترقب الخلافة ويرى نفسه لها أهلا وقد ثبت عن الفاروق الذى يقدسه هذا المحاضر دون سائر الصحابة أنه قال : إن الخلافة لا تحل للطلقاء ولا لأبنائهم، وإنما هى فى أهل السبق إلى الاسلام من قريش ومعاوية وأبوه رضى الله عنهما من الطلقاء فقوله فقام بأهل الشام معلناً أنه مخالف صحيح وقوله لان بيعة على ليست بصحيحة ، كذب عليه وعلى التاريخ . وهو بين أيدينا. فان معاوية رضى الله تعالى عنه لم يقل لعلى كرم الله وجهه بيعتك غير صحيحة . ولم ينازعه فيها وإنما شبهته التى تمسك بها عن الامتناع من البيعة قتلة عثمان الذين كثير منهم فى جيش على فطالب تسليمهم اليه ليقتص منهم وليسوا نفراً واحداً ولا غنما سائبة حتى يمكن علياً رضى الله تعالى عنه تسليمهم اليه بل هم مئات من الناس كل واحد منهم وراءه عشيرته وقبيلته يتعصبون له . وقد اجتمع الناس على معاوية بعد تنازل الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما عن الخلافة له وكثير منهم موجودون مصريون وكوفيون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبصريون فغض طرفه عنهم ولم يهجهم فدل سكوته رضى الله تعالى عنه على أن شبهته واهية . وقوله (فلما عضتهم الحرب بنابها عمدوا إلى شيء سموه تحكيماً) تدليس فان الذين عضتهم الحرب بنابها لما أشرفوا على الهزيمة الكبرى فرفعوا المصاحف على الرماح داعين إلى تحكيم كتاب الله مكيدة. هم معاوية وجيشه وهذا فى التاريخ أشهر من الغزالة ، ثم هو تعبير فيه إساءة أدب فى حق الطائفتين معاً .

ترجيحه معاوية على على

رضى الله تعالى عنهما وإبطاله

قال فى ص ١٦٤ ما نصه (واستقر الامر لمعاوية بفضل قوته وسياسته ويسميه التاريخ بالخليفة المتغلب وفى نظرنا أن خلافته وبيعته - لم تنقص فى الشكل عن بيعة على بقطع النظر عن التعرض لما فى كل منهما من الصفات والامتيازات الدينية لان معاوية بايعه فريق من الناس وعلى بايعه فريق آخر من الضرورى أن يتغلب أقوى المتنازعين وليس هناك حدود معينة فى الشريعة يقال إن أحدهما تعداها إلا إن سرنا على رأى من يقول إن علياً معين للخلافة بالنص عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر لم يتأكد الصحابة من صحته اه) أقول اشتمل هذا الكلام كله على ترجيح معاوية على على رضى الله عنه وعلى الكذب على معاوية وعلى التاريخ الاسلامى وعلى جهل ، فقوله (واستقر الأمر لمعاوية بفضل قوته وسياسته) ترجيح لمعاوية وطعن مكرر فى على بوقاحة تقدم أبطاله وكذب على التاريخ وأقول هنا أيضاً : أن معاوية رضى الله تعالى عنه لم يستقر له الأمر فى مدة على رضى الله تعالى عنه بل ولا فى مدة ابنه الحسن أما فى مدة على فقد نطق التاريخ بان جيش على ظهر على جيش معاوية فلما أشرف أهل الشام على الهزيمة الكبرى لجأوا إلى رفع

المصاحف على الرماح مكيدة ليتنفسوا من هذا الضغط الهائل وبعد التحكيم اشتغل أمير المؤمنين بخوارج حروراء فقتلهم بالنهروان ثم شرع يتجهز لمعاوية رضى الله تعالى عنه فعاجلته منيته شهيداً . ولما بويع ابنه الحسن تجهز لمعاوية بجيش جرار فخاف معاوية رضى الله تعالى عنه واشفق على فناء الجيش الاسلامى من الطائفتين فارسل الى الحسن رضى الله تعالى عنه يطلب منه الصلح والتنازل له عن الأمر وليشترط ماشاء فى مقابلة تنازله ، ففى صحيح الامام البخارى عن الحسن البصرى قال : استقبل والله الحسن ابن على رضى الله عنهما معاوية بكتائب امثال الجبال ، فقال عمرو ابن العاص انى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل اقرانهـا ، فقال معاوية وكان والله خير الرجلين اى عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بامور الناس، من لى بنسائهم ، من لى بضيعتهم فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر فقال اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه اى الصلح وقولا له واطلبا اليه فأتياه فدخلا عليه فذكرا له ذلك ، فقال لهما إنا بنى عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الامة قد عاثت فى دمائها ، قالا فانه يعرض عليك كذاوكذاويطلب اليك ويسألك قال فمن لى بهذا قالا نحن اه . وفى كامل ابن الاثير : ان معـاوية ارسل رسوليه المذكورين قبل وصول كتاب الحسن اليه ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على اسفلها وكتب اليه معاوية.ان اكتب الى فى هذه الصحيفة التى ختمت اسفلها بماشئت فهو لك اه.وبهذا علم كذبه على التاريخ ووقاحته على حيدرة وسوء ادبه معه فاى أمر استقر لمعاوية مع ماذكرنا . واى قوة وسياسة فضل بها علياً ، وغاية امره انه كان ممتنعاً امتناعاً مهدداً بالخطر لايدرى قضاء الله المبرم يكون له او عليه بدليل كلامه لعمرو بن العاص .

وقوله (ويسميه التاريخ بالخليفة المتغلب ،كذب على التاريخ ايضاً فانه لم يسمه خليفة فضلا عن كونه متغلبا فقد اتفق اهل السنة والجماعة على ان معاوية فى مدة على وابنه الحسن لم يكن خليفة وانما كان من الملوك

وانما اختلفوا فى تسميته بالخليفة بعد تنازل الحسن له عنها واجتماع المسلمين عليه فقيل صار خليفة وقيل لا لقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث سفينة مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً) وقد اتفقوا على انها تمت بمدة الحسن. اخرجه ابو داود والترمذى والنسائى والامام احمد وابو يعلى وابن حبان ومن ذكر هذا الاتفاق والاختلاف الكمال بن الهمام فى مسايرته .

وقوله بنون العظمة (وفى نظرنا ان خلافته وبيعته لم تنقص فى الشكل عن بيعة على الى قوله لان معاوية بايعه فريق من الناس وعلى بايعه فريق آخر) نظر فاسد وكذب ايضا على التاريخ وغش للقراء ، اما كونه كذباً على التاريخ فان الصحابة ومن بعدهم من علماء الاسلام اجمعوا على تقديم على فى الخلافة وعلى افضليته بعد الثلاثة الخلفاء قبله ، وممن نقل هذا الاجماع ابن الهمام ايضا ، قال العلامة السعدفى شرح المقاصد : وبالجملة انعقدت خلافته بالبيعة واتفاق اهل الحل والعقد وقد دلت عليه احاديث كقوله عليه الصلاة والسلام (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) وقوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه (انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين)وقوله عليه الصلاة والسلام لعمار (تقتلك الفئة الباغية) وقد قتل يوم صفين تحت راية على رضى الله تعالى عنه ومن المتكلمين من يدعى الاجماع على خلافته.لأنه انعقد الاجماع زمن الشورى على أن الخلافة لعثمان أو على وهو اجماع على انه لولا عثمان فهى لعلى ، فحين خرج عثمان من البين بالقتل بقيت لعلى بالاجماع اه . وهذا كلام نفيس وتوجيهه ان ستة الشورى الذين عينهم واختارهم الفاروق لها تنازل الاربعة منهم عن حقهم فيها لعلى وعثمان فصار تقديم أحدهما لها موكولا لأهل الحل والعقد من الصحابة بالمدينة فاتفقوا على تقديم عثمان فيها على على فأطبق أهل الامصار على بيعته بعدهم فصار تقديم على فى الخلافة على جميع الصحابة بعد عثمان بهذا الاتفاق والاطباق مجمعاً عليه

اجماعاً سابقا فبيعته رضى الله تعالى عنه بعد قتل عثمان رضى الله تعالى عنه اجماع لاحق مؤكد للسابق وقال السعد أيضا قال امام الحرمين لا اكتراث بقول من قال لا إجماع على امامة على رضى الله تعالى عنه فإن الامامة لم تجحد له وانما هاجت الفتن لأمور أخرى اه . قلت لقد حقق وصدق أبو المعالى فان الصحابة الذين حاربوه كطلحة وعائشة ومن معهما ومعاوية ومن معه لم يدفعوا امامته وانما حجة طلحة ومن معه المبادرة الى القصاص من قتلة عثمان قبل كل شىء ، وحجة معاوية ومن معه دفعهم لهم ليقتصوا منهم لأن كثيراً منهم فى جيشه ، وأمير المؤمنين رضى الله عنه رأى تأخير أخذ القصاص منهم لأنه لا يمكنه ولا يمكنهم أيضاً أخذه فى مبدأ الخلافة وهيجان الفتنة حتى يستوثق الامن بالبيعة العامة فيجرى القضاء عليهم حينئذ بالحق لأنهم ليسوا أفرادا قليلين بل هم مئون من أمصار مختلفة فلو حاول القود منهم حالا لتعصبت لهم قبائل كثيرة وصارت حرباً ثالثة وقد حصل ذلك للزبير وطلحة وعائشة رضى الله تعالى عنهم ، لما حاولوا ذلك فى البصرة فقط خرجت عنهم من ربيعة عبد القيس فى أربعة آلاف مع رئيسهم عمرو ابن المرجوم وخرج غير هؤلاء من قبائل ربيعة وغضبت ستة آلاف سيف من بنى سعد بن تميم لحرقوص بن زهير لما طلبوه فاعتزلوا عنها واتسع الخرق عليهم فكان رأيه رضى الله تعالى عنه فى هذه الكارثة أسدّ وأصوب منهم جميعاً واصلا اقتبس علماء الاسلام من مشكاته - فاتفقوا على انه يجوز للامام تأخير القصاص إذا أدى ذلك الى اثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة . وذكر يحي بن سليمان الجعفى أحد شيوخ الامام البخارى فى تأليفه فى صفين بسند جيد عن أبى مسلم الخولانى انه قال لمعاوية أأنت تنازع علياً فى الخلافة أو أنت مثله ، قال لا وأنى لاعلم انه أفضل منى وأحق بالأمر ولكن ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه ووليه اطلب بدمه فأتوا عليا وقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان ، فأتوه فكلموه ، فقال يدخل فى البيعة ويحاكمهم إلى ، فامتنع معاوية فخرج اليه على فى أهل العراق فى سبعين الفاً فيهم تسعون

بدرياً وسبعمائةمن أهل بيعة الرضوان، وأربعمائة من سائر المهاجرين والانصار وخرج معاوية فى أهل الشام فى خمسة وثمانين الفاً ليس فيهم من الانصار إلا النعمان ابن بشير ومسلمة بن مخلد . فالتقى الجمعان بصفين فتراسلوا فلم يتم لهم أمر فوقع القتال ودامت الحروب مائة يوم وعشرة أيام فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ، ومن العراق خمسة وعشرون ألفاً ، وآل الأمر فى معاوية ومن معه إلى طلب التحكيم، ثم رجع على إلى العراق فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك رضى الله عنه اه .

وظهر بقتل عمار مع على أنه المصيب . فقد روى الحافظ ابن عساكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (يا على ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس منى) قال الامام عبد القاهر الجرجانى فى كتاب الامامة أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقى أهل الحديث والرأى منهم مالك والشافعى وأبو حنيفة والاوزاعى والجمهور الأعظم من المسلمين والمتكلمين . على أن علياً مصيب فى قتاله لأهل صفين كما هو مصيب فى أهل الجمل وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكن لا يكفرون ببغيهم . وقال الامام أبو منصور الماتريدى : أجمعوا على أن عليا كان مصيبا فى قتال أهل الجمل طلحة والزبير وعائشة بالبصرة ، وأهل صفين معاوية وعسكره . وفى روض السهيلى أن عاملا لعمر رضى الله تعالى عنه قال لعمر رضى الله عنه : رأيت الليلة كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل نجوم فقال له عمر مع أيهما كنت ، قال مع القمر ، قال كنت مع الآية الممحوة اذهب لا تعمل لى عملا أبداً وعزله فقتل بصفين مع معاوية ، واسم ذلك العامل حابس بن سعد . وقال عليه الصلاة والسلام لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، رواه الشيخان ، قال العلماء وحديث عمار متواتر قال القرطبى ولما لم يقدر معاوية على إنكاره قال انما قتله من أخرجه . فأجابه على بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذاً قتل عمه حمزة حين أخرجه قال بن دحية وهذا من الالزام المفحم الذى لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها .

قال القرطبي فرجع وتأوله على الطلب وقال نحن الفئة الباغيـة أى الطالبة لدم عثمان من البغـــاء بضم الباء والمد وهو الطلب . قال الأبى فى شرحه على صحيح مسلم : البغى عرفاً الخروج عن طاعة الامام مغالبة له ولا يخفى بعد التأويلين أو خطؤهما والاول واضح وكذا الثانى لان ترك على القصاص من قتلة عثمان الذى قاموا بطلبه ورأوه مستند اجتهادهم ليس لانه تركه جملة واحـدة وإنما تركه لما تقدم أى حتى يدخلوا فى الطاعة ثم يدعوا على من قتل . قال وأيضا عدم القصاص منكر قاموا لتغييره والقيام لتغيير المنكر إنما هو ما لم يؤد الى مفسدة أشد وأيضا المجتهد انما يحسن به الظن اذا لم يبين مستند اجتهاده أما اذا بينه وكان خطأ . فلا ولله در الشيخ يعنى ابن عرفة حيث كان يقول الصحبة حصنت من حارب عليا اه من الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب اللدنية فى باب أنبائه عليـه الصلاة والسلام بالمغيبات .

أقول تحقق مما تقـدم أن خلافة على رضى الله عنه يتعلق بها ثلاثة اجماعات . اجماع الامة الاسـلامية على أنه أفضل الصحابة بعـد الثلاثة الخلفاء واجماعهم على بيعتـه واجماعهم على أنه مصيب فى اجتهاده فى حربه ومحاربوه من الصحابة رضـوان الله عليهم مخطئون فى ذلك ، وأربعـة إجماعات قبله : اجماع الامة الاسلامية على أن الاسراء كان يقظة بالروح والجسد معاً ، واجماعهم على بيعـة أبى بكر رضى الله عنه واجماعهم على بيعة الفاروق رضى الله تعالى عنـه ، واجماعهم على بيعة عثمان رضى الله تعالى عنه ، فهذه سبعة اجماعات لم يقم لها هـذا المحاضر وزنا وسـيأتى اجماع ثامن على خلافة ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما يهدره كذلك هذا مع كونه جمع كتاباً فى أصول الفقه ذكر فيه الاجماع الذى هو رابع أركان الشريعة واعترف به ، فان قيل عدم مبايعة معاوية رضى الله تعالى عنه ومن معه عليا يقدح فى الاجماع على بيعته رضى الله عنه . قلت معلوم أن من معه تابعون له فى الاجتهاد فصار الجميع مجتهداً

واحدا ومخالفة الواحد لاتقدح فى الاجماع وقد خالف سيد الخزرج سعد ابن عبادة رضى الله عنه أبا بكر فلم يبايعه ولم تقدح مخالفته فى اجماع الأمة على بيعة الصديق رضى الله عنه . والتفاوت العظيم فى الافضلية بين سعد ومعاوية رضى الله عنهما بنص القرآن معلوم لكل مسلم وتحقق مما تقدم أيضاً فساد كلامه وغشه للقراء فى قوله « وفى نظرنا أن خلافته وبيعته لم تنقص فى الشكل عن بيعة على الى آخر قوله ، من الضرورى أن يتغلب أقوى المتنازعين فاى شكل لمعاوية وحده يعتبر به مشاكلا لبيعة جمهور الامة الاسلامية عليا وأى فريق له يعتبر به فى مقابلتها اذا كان من معه تابعاً له على أن مبايعته ـ بالخلافة بعد مبايعة على بها لو صحت باطلة لما أخرجه الامام مسلم ابن الحجاج فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) وأخرج أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) ومن حديث عرفجة (فاضربوه بالسيف كائناً من كان) قال العلماء وهذا الحديث أدل دليل على منع اقامة امامين لأنها تؤدى الى المخالفة والشقاق وحدوث الفتن والحكمة فى منع تعدد الامام منافاة التعدد لمقصود الامامة من اتحاد كلمة الاسلام واندفاع الفتن ، ويقتضى لزوم امتثال أحكام متضادة قالوا الا اذا تباعدت الاقطار جداً كخراسان والاندلس فيجوز تعدده . فمعاوية رضى الله تعالى عنه لم يدع الامامة التى ادعاها المحاضر له بدليل صريح كلامه السابق لأبى مسلم الخولانى (انى لأعلم أنه أفضل منى وأحق بالأمر) وحيث تقرر هذا فقوله (وليس هناك حدود معينة فى الشريعة يقال ان احدهما تعداها باطل بالاجماع الذى قررته على بيعة على وجهله حضرته ولم يعبأ به لمخالفته لهواه وبنص حديث الامام مسلم الذى ذكرته وجهله جهلا مركبا جرأه على نفى حدود معينة فى الشريعة لخلافة على وبطلان بيعة معاوية رضى الله تعالى عنهما .

وقوله (إلا أن سرنا على رأى من يقول ان عليا معين للخلافة بالنص عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا أمر لم يتأكد الصحابة من صحته) هو احموقة الرافضة وافتراؤهم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد العصور الخيرية بدهر بأنه أوصى بالخلافة لعلى وعينه لها وقد كفى أهل الحق فى ابطال هذا الافتراء على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه ، فقد اخرج الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب الديات عن أبى جحيفة رضى الله تعالى عنه قال قلت لعلى رضى الله تعالى عنه هل عندكم شيء مما ليس فى القرآن أو مما ليس عند الناس فقال : (والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما فى القرآن إلا فهماً يعطى رجل فى كتابه وما فى الصحيفة . قلت وما فى الصحيفة قال (العقل) وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر اه) . فلو كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى له بالخلافة وعينه لها ما خفى ذلك على الصحابة ولبادروا لبيعته لطاعتهم العظيمة لله ولرسوله وللرحمة التى وصفهم الله بها فى كتابه العزيز ﴿ رحماء بينهم ﴾ ولم يبايعوا الصديق رضى الله تعالى عنه ولما سكت على عن حقه الموصى له به وبايع أبا بكر راضياً مغتبطاً فهذا الحديث حجة يلقم به فم كل من تقول على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه فى الوصية بالخلافة له والنص عليه . وقوله (وهذا أمر لم يتأكد الصحابة من صحته) يقتضى أن افتراء الرافضة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى حيدرة فى الوصية بالخلافة له وتعيينه لها بعده قد ورد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يتأكدوا صحته وهو فاسد لان عدم تأكد الصحابة من صحته فرع عن وروده عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرد من أصله بل هو افتراء محض وضعوه بعد العصور الخيرية بدهر كما قررته . فعدم تأكد الصحابة من صحته باطل وافتراء عليهم رضى الله تعالى عنهم . مبنى على باطل وافتراء على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

عدم اعتباره خلافة ابن الزبير وكذبه على التاريخ فيها

قال فى ص : ١٦٥ (وعهد يزيد إلى ابنه معاوية إلا أن الرجل لم يقدر على تحمل ذلك العبء فى وسط هذه الظلمات الحالكة فاعتزل وترك حبل الأمة على غاربها فى تلك الظروف كانت الفتن تموج موجاً حتى استقر الأمر بغلب مروان بن الحكم) ، أقول لم تبق الأمة بلا راع ولم تتموج الفتن كما زعم بل بايع جل الأمة الإسلامية عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما . بايعه أهل الحرمين واليمن والعراق ومصر والمشرق وجل أهل الشام ما عدا أهل الأردن ، فخلافته مجمع عليها وهذا اجماع ثامن أهدره أيضا لمخالفته هواه فمروان وابنه باغيان متغلبان كما قال ذلك الإمام مالك وجميع أئمة الدين ، قال الحافظ بن حجر فى فتحه : وقد بايعه يعنى ابن الزبير جميع أهل الامصار ما عدا أهل الاردن من أهل الشام اه وبهذا يعلم القارىء عدم اكتراثه بخلافة ابن الزبير وكذبه على التاريخ فيها .

تخيل فاسد

قال فى ص ١٦٧ (تناول العلماء فى الدولة العباسية مسألة الخلافة وأدخلوها ضمن العقائد الدينية ويخيل الينا أن أول من وضعها هذا الموضع كان يرى رأى الشيعة فان الخلافة عندهم من أمور الدين ثم جر اليه المتكلمين وصار أمرها موضوعاً جدلياً كغيره من المسائل الدينية اه)

أقول نص المتكلمون على أن مباحث الامامة ليست من العقائد بل هى من المتممات ، وبيان ذلك أن مباحث الامامة من الفقه بالمعنى المتعارف لأن القيام بها من فروض الكفاية وذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية ومحل بيانها كتب الفروع وهى مسطورة فيها وانما كانت متممة فى علم الكلام لأنه لما شاعت فى الامامة من أهل البدع اعتقادات فاسدة مخلة بكثير من القواعد الاسلامية مشتملة على قدح فى الخلفاء الراشدين

رضوان الله تعالى عليهم أدرجت فى علم الكلام لشدة الاعتناء بالمناضلة عن الحق فيها تتميما لفائدة علم الكلام ، ووجه ادخالها فيه : ان من مباحثها ما هو اعتقادى لا عملى كاعتقاد أن الامام الحق بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، واعتقاد انهم فى الفضل كذلك ومما هو فيه متمم اعتقادى غير هذه التوبة فانها من مباحث الفروع أيضاً وعلماء الاسلام الذين تناولوا مسألة الخلافة بالبحث فى الدولة العباسية وأدخلوها ضمن العقائد الدينيه لم يكونوا من الشيعه بل كانوا من أهل السنه والجماعه والتخيل (فى هؤلاء الائمه أبى منصور الماتريدى والاشعرى، وعبد القاهر الجرجانى والباقلانى وأبى اسحق الاسفراينى وغيرهم كثير ممن وضعها فى علم العقائد فى الدولة العباسيه من أهل السنه بأنهم ممن يرى رأى الشيعة،أو وضعها الشيعة وجازت عليهم مع ذكائهم المفرط فأدرجوها فى مصنفاتهم فى العقائد) فاسد جاهل صاحبه بطبقات العلماء ونحلهم وبما حققته ظهر للقارىء فساد كلامه هذا كله .

خاتمة هذه المحاضرة فى طعنه فى الخلافة ايضاً

قال فى آخر ص ١٦٧ : (والخلاصة ان مسألة الخلافة الاسلامية والاستخلاف لم تسر مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار بل كان تركها على ما هى عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه ، سبباً لاكثر الحوادث التى اصابت المسلمين وأوجدت ما سيرد عليكم من أنواع الشقاق والحروب المتواصلة التى قلما يخلو منها زمن سواء كان ذلك بين بيتين او بين شخصين اهـ) اقول هذا الطعن فى الخلافة مكرر قد تقدم ابطاله كرره هنا باسلوب آخر ليظن البسطاء أنه أتى برأى سديد لا يقبل النقض وهو آخر سهم فى جعبة سهام باطله ختم به هذه المحاضرة وفساده عند كل عاقل اجتماعى مطلع على تاريخ البشر منذ نشأتهم الى زماننا هذا بدهى البطلان ، وذلك من وجهين :

(الاول) اشتراطه فى صحة خلافة النبوه سيرها مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار اى لا يعارضها ولا يخرج عليها احد ابداً وهذا الشرط واضح من فحوى كلامه ، (ان مسألة الخلافة الاسلامية والاستخلاف لم تسر مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار) ولم يشترطه مسلم ولا كافر فلم يقل عاقل من بنى آدم يشترط فى صحة خلافة النبوة أمنها فى سيرها مع الزمن من معارض يعارضها أو خارج يخرج عليها وعليه فلا وجود للخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فى الارض وهو فاسد بديهة لتكذيبه للواقع والتاريخ وصريح القرآن فخلافة الصديق رضى الله تعالى عنه لم تسر مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار لان جل العرب بعد وفاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رجعوا الى دين الجاهلية فحاربهم حتى ارجعهم الى دين الحق صاغرين ولا يستطيع أحد ان يثبت رضى هؤلاء عن أبى بكر ولو بعد رجوعهم الى الاسلام، وخلافة الفاروق رضى الله تعالى عنه تنغصت فى آخرها بتشغيب الكوفيين بكثرة شكاياتهم لامرائهم العدول فاى رضى عنه ومحبة له لهؤلاء مع حالتهم هذه وبكراهة كثير من احداث قريش له لمنعه لهم من الخروج الى الامصار وقد تقدم قوله رضى الله تعالى عنه ما ترك الحق لعمر صديقا ، وخلافة ذى النورين تنغصت عليه ايضا فى آخرها بخروج مئين من قبائل شتى من الامصار عليه بطراً حتى ادى الى قتله رضى الله تعالى عنه شهيداً مظلوماً فالواقع دل على ان رضى الامة كلها عن كل واحد من هؤلاء الخلفاء الثلاثة ومحبتهم له احدى المستحيلات ولا يقدح هذا الواقع فى كمال خلافتهم كما لا يقدح فيها تكفير الرافضة لهم ولجل الصحابة، وتكفير الخوارج لذى النورين وحيدرة وجمهور الصحابة ، ولم يقل مؤرخ مسلم منتسب لأهل الحق أن الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا لم يكونوا خلفاء لأن الامة الاسلامية كلها لم تتفق على محبتهم والرضا عنهم وتكذيبه لصريح القرآن فى وعده تعالى لعباده المؤمنين بالاستخلاف فى فى الارض والتمكين قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ بل يلزم من هذيانه هذا أيضا تكذيب الواقع والتاريخ فى كل قائم بالحق فى الارض من خواص عباده رسله الى خلقه بالهدى والبينات لان الناس كذبوهم وآذوهم بل قتلوا بعضهم . فهذا ابونا الاكبر آدم عليه السلام جعله الله خليفة فى الارض فعقه ابنه قابيل وعصى ربه وقتل اخاه هابيل وكفر هو وذريته فيلزم من شرطه هذا عدم صحة خلافة آدم لانها لم تسر مع الزمن فى طريق يؤمن فيه العثار لأن اولاده لم يتفقوا كلهم على طاعته والرضا بخلافته ، ويلزم منه ايضاً ان الله تبارك وتعالى لم يحل خلافة آدم عليه السلام حلا محدداً رضيه جميع اولاده، نعوذ بالله من فلتات اللسان وفساد الجنان ويطرد هذا الالزام فى كل قائم بالحق من رسل الله أو غيرهم

الثانى اشتراطه فى الخليفه محبة الناس له فى كلامه السابق فى نقده ، الطريقة الثانية طريقة استخلاف الصديق للفاروق وهو شرط لم يشترطه عاقل من بنى آدم وهنا زاد فى تعريف الخلافة شرطاً آخر وهو ان تحل حلا محدداً ترضاه الامة وتدفع عنه ، قال (بل كان تركها على ما هى عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه سبباً لاكثر الحوادث التى اصابت المسلمين) . فنتيجة هذا الكلام فى التارك للخلافة على ما هى عليه من غير حل محدد ترضاه الامة وتدفع عنه ، دائرة بين كونه الشارع وبين كونه الامة ، ويؤيد كونه الشارع قوله من غير حل محدد ترضاه الامة فانه يقتضى ان الحال للخلافه حلا محدداً مقابلا برضى الامة هو غير الامة وليس هو الا الشارع وحمله على بعض الامة اهل الحل والعقد وان كان ممكناً بعيد لان المتبادر فى أل فى الامة حملهـا على الجنس الاستغراقى اى جميعها ويؤيد كونه الشارع ايضاً استخلاف الله لآدم عليه السلام فان الله تعالى لم يحلها على رأيه هذا حلا محدداً رضى به اولاده كلهم ، ويؤيد كونه الامة قوله سابقاً

(وليس هناك حدود معينه فى الشريعه يقال إن احدهما تعداها) ، وقوله ايضا (كأن الشريعة ارادت ان تكل هذا ألامر للمسلمين حتى يحلوه بانفسهم) فينحل هكذا ، ترك الشارع والامة الخلافة الاسلامية من غير حل ترضاه الامة وتدفع عنه سبب اكثر الحوادث التى اصابت المسلمين وبذرت بينهم انواع الشقاق والحروب المتواصلة فخلاصة هذه الخلاصة تحميله مسؤلية اهمال الخلافة على الشارع والامة معا ، نعوذ بالله من فلتات اللسان وفساد الجنان ونتيجتها أيضا أن الأمة الاسلامية بعد وفاته عليه الصلاة والسلام صارت فى فوضى متواصلة الى قيام الساعه لعدم وجود خلافة محددة معينة ترضاها الامه وتدفع عنها ، وخلاصة هذه المحاضرة طعنه فى الخلافة عموماً وفى خلافة على خصوصا وفى ستة الشورى تصريحاً وفى بقية الصحابة تلويحا وتصريحا ، وبعدُ فالذى اجزم به أنا ويجزم به كل عاقل اطلع على محاضراته بامعان ـ أنه لا يخلو من أن يكون جاهلا أو متأثراً بالأجانب تقليداً أو تأجيراً وأو هنا مانعة خلو تجوز الجمع.

تحقيق عالم اصولى كبير

فى خلافة الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم

قال الحافظ أبو بكر بن العربى الاشبيلى فى أحكامه فى تفسير قوله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ﴾ الخ ما نصه فيها خمس مسائل . (المسألة الأولى) فى سبب نزولها روى أن بعض أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شكى اليه ماهم فيه من العدو وتضييقه عليهم وشدة الخوف وما يلقون من الاذى فنزلت هذه الآية بالوعد الجميل لهم فأنجزه الله تعالى وملكهم ما وعدهم وأظهرهم على عدوهم. وروى أبو العالية قال مكث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين خائفاً يدعو إلى الله سراً وجهراً ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فمكث بها وأصحابه خائفين

يصبحون فى السلاح ويمسون ، فقال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح. فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلمة معناها لا تعبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم محتبياً ليس بيده حديدة وأنزل الله هذه الآية: (المسألة الثانية) قال مالك نزلت هذه الآية فى أبى بكر وعمر ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾ الى آخرها ، وقال علماؤنا هذه الآية وعد حق وقول صدق يدل ذلك على صحة إمامة الخلفاء الاربعة لانهم لم يتقدمهم أحد فى الفضيلة إلى يومنا هذا فأولئك مقطوع بامامتهم متفق عليهم وصدق وعد الله فيهم وكانوا على الدين الذى ارتضى لهم واستقر الامر لهم وقاموا بسياسة المسلمين وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد فيهم وصدق الكلام فيهم واذا لم يكن هذا الوعد بهم ينجز وفيهم نفذ وعليهم ورد ففيمن يكون اذاً. وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده قام أبو بكر بدعوة الحق واتفاق الخلق وواضح الحجة وبرهان الدين وأدلة اليقين فبايعه الصحابة ، ثم استخلف عمر فلزمت الخلافة ووجبت النيابة وتعين السمع والطاعة . ثم جعلها عمر شورى فصارت لعثمان بالنظر الصحيح والتبجيل الصريح والمساق الفسيح جعل الثلاثة أمرهم الى ثلاثة ، ثم أخرج عبد الرحمن نفسه بشرط أن يكون الى من اختاره من الرجلين فاختار عثمان وما عدل عن الخيار وقدمه وحقه التقديم على على رضى الله عنهما . ثم قتل عثمان مظلوما فى نفسه مظلوماً جميع الخلق فيه فلم يبق الا على أخذاً بالافضل فالافضل وانتقالا من الاول الى الاول فلا اشكال لمن جنف عن المحال أن التنزيل على هؤلاء الاربعة وعد الله فى هذه الآية ثم كملت الحال لابى بكر فاتحة وخاتمة ، ثم كملت لعمر وكسر الباب فاختلط الخشكار باللباب وانجرت الحال مع عثمان واضحة للعقلاء معترضاً عليها من الحمقى ، ثم نفذ القدر بقتله ايثاراً للخلق منه على نفسه وأهله ، ثم قام على أحسن قيام لو ساعده النقض والابرام ولكنه وجد الأمور نشراً وما رام رتق خصم الا انفتق عليه خصم ولا حاول طى منتشر

الا عارضه عليه أشر . ونسبت اليه أمور هو منها برىء براءة الشمس من الدنس والماء من القبس وطالبه الاجل حتى غلبه فانقطعت الخلافة وصارت الدنيا ملكا تارة لمن غلب وأخرى لمن خلب حتى انتهى الوعـــد الصادق ابتداؤه وانتهاؤه أما الابتداء فهذه الآية ، وأما الانتهاء فبحديث سفينة ، قال سعيد بن جمعان عن سفينة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء ، قال سعيد قال لى سفينة أمسك عليك أبو بكر سنتين وعمر عشراً وعثمان اثنى عشر وعلى كذا. قال سعيد قلت لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن عليا لم يكن خليفة قال كذبت استاه بنى الزرقاء يعنى بنى مروان زاد فى رواية أعدد. أبو بكر كذا وعمر كذا، وعثمان كذا، وعلى كذا. والحسن ستة أشهر. فهؤلاء ثلاثون سنة وقد روى الترمذى وغيره أن رجلا قام الى الحسن ابن على بعد ما بايع معاوية فقال له يا مسود وجوه المؤمنين. فقال لا بأس رحمك الله تعالى فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت ﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ ونزلت ﴿ انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم راوى الحديث فعددناها فاذا هى ألف شهر لا تزيد ولا تنقص وفى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أجلس الحسن فى حجره على المنبر وقال ان ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . (المسألة الثالثه) فان قيل هـذا الوعد يصح لكم فى أبى بكر وحده ، فأما عمر فأى أمن معه ، وقد قتل غيلة ، وعثمان قد قتل غلبة . وعلى قد نوزع بالجنبة والجلبة . قلنا هذا كلام جاهل غبى أو متهاون يكن على نفاق خفى ، أما عمر وعثمان فجاءهما أجلهما فماتا ميتتهما التى كتب الله لهما وليس فى ضمن الامن السلام من الموت. بأى وجه وقع وأما على فلم يكن نزاله فى الحرب مذهباً للأمن فليس من شرط الامن رفع الحرب انما من شرطه ملك الانسان لنفسه باختياره وسلامته عن الغلبة

المشحونة بالذلة كما كان أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة فاما بعد ما صاروا الى المدينة فقد آلوا الى الامن والعزة ، فى الصحيح عن خباب بن الارت رضى الله تعالى عنه قال شكونا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبه فقلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال (كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له فى الارض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحم من عظم وعصب وما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) وحقيقة الحال انهم كانوا مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فعادوا طالبين وهذا نهاية الامن والعز.

(المسألة الرابعه) قال قوم ان هذا وعد لجميع الامة فى ملك الارض كلها تحت كلمة الاسلام كما قال صلى الله عليه وسلم (زويت لى الارض فأريت مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوى لى منها) قلنا لهم هذا وعد عام فى النبوة والخلافة واقامة الدعوة وعموم الشريعة بنفاذ الوعد فى كل أحد بقدره وعلى حاله حتى فى المفتين والقضاة والأئمة وليس للخلافة محل تنفذ فيه هذه الموعدة الكريمة الا من تقدم من الخلفاء الاربعه .

المحاضرة التاسعة عشرة

تمسكه بالرواية الضعيفة فى تأخر على عن مبايعة أبى بكر وكذبه على التاريخ فى محاربة أبى بكر للمرتدين

قال فى صفحة ١٧٠ منها : (ولم يزل على بن أبى طالب ممتنعاً عن مبايعة أبى بكر ستة أشهر حتى ماتت فاطمة رضى الله تعالى عنها وكانت لعلى من الناس وجهة حياة فاطمة فلما ماتت استنكر وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر فأرسل إلى أبى بكر أن أئتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر ابن الخطاب فقال عمر لأبى بكر والله لاتدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بى والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد على ثم قال إلى آخر الهراء) .

أقول هذا الهراء باطل غير صحيح قد تقدم إبطاله فى بحث الخلافة بتحقيق الحافظ ابن كثير فى بدايته قال إن علياً بايع أبابكر فى ثانى يوم السقيفة ولم يفارقه فى سفر ولاحضر وقد حضر معه قتال الأعراب المرتدين بذى القصة والأبرق .

وقال فى ص ١٧٤ منها فى حديثه عن خروج أبى بكر لقتال الأعراب المرتدين لما هاجموا المدينة مانصه (فلما جاءته الأخبار مكث ينتظر بعث أسامة لأنه كان فيه معظم القوة وكان جيران المدينة من عبس وذبيان قد اجترءوا عليها يريدون مهاجمتها فلما قدم بعث أسامة استخلف أبو بكر أسامة على المدينة وكان قصده بذلك أن يرتاح جنده ويريحوا ظهورهم وهم بالخروج فيمن معه من الجند وحرس المدينة لحرب عبس وذبيان فقال له المسلمون ننشدك الله ياخليفة رسول الله ألا تعرض نفسك فانك إن تصب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فان أصيب بعثت آخر فقال والله لاأفعل ولأواسينكم بنفسى فخرج فى تعبئته حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق فاقتتل جنده مع بنى عبس فهزم العبسيون وأخذ الحطيئة

الشاعر أسيراً وأقام أبو بكر بالأبرق أياماً اه).

أقول قد تحققنا عقيدة هذا المحاضر فى جميع الصحابة رضوان الله عليهم أنهم عنده كسائر الناس إنما يقاتلون بالعدد والعدة غير مبال بما ميزهم به التاريخ المقطوع به كلام الله تعالى من الأخلاق العالية والصفات الكاملة التى منها الشجاعة الفائقة التى بزوابها الأمتين الجبارتين فارس والروم فدكوا عروشهم فى آيات كثيرة تقدم ذكر بعضها فى مقدمة بحث الخلافة. أظهر عقيدته هذه وجعلها قاعدة مطردة غير مبال أيضا بتكذيب التاريخ الاسلامى الذى ألف فيه إذا خالفها سابقاً فى غزوة مؤتة. فقد قال فيها (إن ثلاثة آلاف من الصحابة عدد قليل جداً فى جانب مائتى ألف « أى من الروم » لا تمكنهم المقاومة بحال) ومدح خالداً فقط بالمهارة وأساء الأدب فى تعبيره مع هؤلاء السادة الثلاثة الآلاف بقوله (وفى ذلك الوقت أظهر « أى خالد » مهارته فى تخليص المسلمين مما ورطوا أنفسهم فيه)وما شعر ان هذه المهارة اكتسبها خالد بالقوة الروحية قوة الدين الذى دخل فيه وأن أكثر أفراد هذا العدد القليل الذى استطاع مقاومة مائتى ألف كل واحد منهم أقوى من خالد فيها وبها أدخلوه فى الاسلام طائعاً بعد مشاهدته صدماتها الهائلة، وقد أفضت الكلام فى دحض باطله هناك وعلى هذا الرأى الذى جعله قاعدة جبن أحزم الخلق وأشجعهم بعد الأنبياء الصديق الأكبر وجبن الصحابة الذين بقوا معه فى المدينة بعد خروج أسامة رضى الله تعالى عنه بمعظمهم إلى الشام، وكذب على التاريخ المنقول نقلا أوضح من الشمس هنا أيضاً دفعتين فمنطوق قوله (فلما جاءته الأخبار مكث ينتظر بعث أسامة إلى قوله فلما قدم بعث أسامة استخلف أبو بكر أسامة على المدينة) صريح فى أحجام الصديق ومن معه عن الخروج إلى محاربة الأعراب مع قربهم من المدينة حتى جاءه أسامة وجيشه من الشام فاذ ذاك تشجع وخرج إليهم فهزمهم بالأبرق وعلل هذا الأحجام فى قوله مكث ينتظر بعث أسامة بقوله لأنه كان فيه معظم القوة ولا شك أن هذا التعليل رمى له ولمن معه بالجبن ودليل على رأيه أن

الصحابة إنما يقاتلون بالعدة والعدد لا بالقوة الروحية وكذب على التاريخ الاسلامى فى هذه الدفعة ، والدفعة الثانية فى قوله : (وكان جيران المدينة من عبس وذبيان قد اجترءوا عليها يعنى « المدينة » يريدون مهاجمتها يعنى ولم يهاجموها بالفعل وهو غير صحيح فقد هاجموها ليلا فدحرهم الصديق ومن معه بذى حسا واتبعهم إلى ذى القصة قبل رجوع أسامة وجيشه من الشام وإلى القراء ملخص ذلك من كامل ابن الأثير (كان طليحة بن خويلد الأسدى قد تنبأ فى حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجه إليه عليه الصلاة والسلام ضرار بن الأزور عاملا على بنى أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئاً فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه فكثر جمعه ومات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهم على ذلك فتبعه قومه وغطفان ولفيف من العرب فلم يحملهم المكان الذى هم فيه فأقامت طائفة منهم بالأبرق وسارت فرقة إلى ذى القصة وأرسلوا إلى المدينة وفداً يبذلون الصلاة فى زعمهم ويمنعون الزكاة ، فقال أبو بكر والله لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه فرجع وفدهم وأخبروهم بقلة من فى المدينة وأطمعوهم فيها وجعل أبو بكر بعد رجوع الوفد على أنقاب المدينة « أطرافها » التى يخشى دخول العدو منها علياً وطلحة والزبير وابن مسعود وألزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم منها فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذى حسا « المعروف الآن بأبيار على » ليكونوا لهم ردءاً فوافوا ليلا الانقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم وأرسلوا إلى أبى بكر الخبر فخرج فى أهل المسجد على النواضح فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حسا فخرج عليهم رده الأعراب بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال ثم دهدهوها على الأرض فنفرت أبل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم إلى المدينة ولم يصرع مسلم وظن الكفار بالمسلمين الوهن فبعثوا إلى أهل ذى القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات أبو بكر يعبى الصحابة وخرج على تعبيته يمشى ،

وعلى ميمنتـــه النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى أهل الساقة سويد بن مقرن فما طلع الفجر إلا وهم والعدو على صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار . وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل منهم رجال واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصة وكان أول الفتح ووضع به النعمان بن مقرن فى عدد ورجع إلى المدينة فذل له المشركون ، وبعد هذا بأيام قدم أسامة وجيشه من الشام فاستخلفه الصديق على المدينة مع جنده ليستريحوا ويريحوا ظهرهم وخرج أبو بكر فيمن كان معه إلى الابرق فقاتل من به من الأعراب فهزمهم شر هزيمة إلى آخر بقية كلامه الذى ساقه) وبهذا ظهر فساد نصف كلامه وكذبه على التاريخ وتجبينه لأبى بكر ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم ، وفيها أيضاً غلط فى وقت إدعاء مسيلمة النبوة ص ١٧٨ قال . (كانت بنو حنيفة قد وفدت على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياته وأسلمت وكان فيهم مسيلمة فلما شاع مرض الرسول صلى الله تعالى عليـــه وسلم تنبأ مسيلمة ودعا الناس إلى اتباعه اه) أقول مسيلمة ادعى النبوة قبل مرضه عليه الصلاة والسلام بمدة وكتب إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتاباً يزعم فيـه إنه شرك معه فى النبوة وأن له ولقومه نصف الارض ولقريش نصفها ولـكن قريشا قوم يظلمون ، فأجابه عليه الصلاة والسلام بأن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولقبه الـكذاب . وفى الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : رأيت كأن فى يدى سوارين من ذهب فـكرهتهما فأوحى إلى أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما بهذين الـكذابين اللذين أنا بينهما مسيلمة والاسود العنسى .

المحاضرة العشرون

قال فى آخر ص ١٩٣ وأول ص ١٩٤ منهـا (فى أثناء الموقعة «يعنى وقعة اليرموك» جاء بريد المدينة وفيـه خبر وفاة أبى بكر وخلافة عمر بن الخطاب وعزل خالد عن إمارة الجيش وتولية أبى عبيدة قائداً عاماً مكانه فأخذ خالد الـكتاب وأسره إلى أبى عبيدة ولم يذعه لئلا تهن قوة الجنود وأخذ الـكتاب فوضعه فى كنانته حتى انتهت الموقعة بهذا النصر فسلم الـكتاب إلى أبى عبيدة وسلم عليه بالامارة اه). أقول هـــذا الـكلام كله غير صحيح فعمر رضى الله تعالى عنه إنما كتب لابى عبيدة ولم يكتب الى خالد أصلا لانه كان عليه ساخطاً فى خلافة أبى بكر كلها لوقعته بابن نويرة وما كان يعمل فى حربه وأول ما تـكلم به عزل خالد وقال لا يلى لى أبدا وكتب إلى أبى عبيـدة بتوليته قائداً عاماً على الجيوش كلها. وقال فى ص ١٩٤ أيضا (فرحم الله خالداً فقد كان زينـة فى تاريخ أبى بكر وإلى هنا انتهت الاعمـال الـكبرى التى حدثت بين المسلمين وبين دولتى الروم والفرس فى أيام أبى بكر وقطبها خالد بن الوليـد المخزومى اه). أقول قواد الصحابة كلهم كانوا زينة فى تاريخ أبى بكر وأقطاباً فى تلك الحروب وفى ص ١٩٥ قال (وفى عهده «أى أبى بكر» كتب القرآن لاول مرة فى مصحف واحد بجمع سوره كلها وكان قبله محفوظا مرتباً فى الصدور ومكتوباً آيات وسوراً ليست مجتمعة فلما حصلت حروب الردة وكان قد قتل فيها كثير من القراء رأى أبو بكر أن يجمع القرآن فى مصحف واحـــد إلى آخر الهراء اه). أقول قد تقدم إبطاله بأن أبا بكر إنمـا جمع القرآن المتفرق فى صحف بسبب موت كثير من القراء فى وقعة اليمـامة، والذى جمعه فى مصحف واحد إنمـا هو ذوالنورين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهم.

المحاضرة الخامسة والعشرون

تنكبه عن جادة الصواب وكذبه على أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه فى عزله بعض عماله

قال فى ص ١٢ من الجزء الثانى مانصه : (وقد استحضر عمر إليه كثيراً من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل بشكاية قدمت إليه من بعض الأفراد فقد استحضر سعد بن أبى وقاص وهو فاتح القادسية والمدائن ومصر الكوفة وكان الذى شكاه ناس من أهل عمله بالكوفة فجمع بينه وبينهم فوجده بريئاً ، واستحضر المغيرة بن شعبة وهو أمير البصرة والمغيرة من الصحابة ومن ذوى الأثر الصالح فى الفتوح الاسلامية وكان بعض من معه بالبصرة قد اتهمه بتهمة شنيعة فوجه إليه ذلك الكتاب الموجز الذى جمع فى كلمة قليلة أن عزل وعاتب واستحث وأمر (أما بعد فقد بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم مافى يدك والعجل العجل) فقدم على عمر مع الشهود الذين شكوه ولم تثبت التهمة عليه عند عمر فعاقب شهوده بالحد الذى فرضه الله لمثلهم . وشكى إليه عمار بن ياسر وكان أميراً على الكوفة وهو من السابقين الأولين شكاه قوم من أهل الكوفة بأنه ليس بأمير ولا يحتمل ماهو فيه. فأمره أن يقدم عليه مع وفد من الكوفة فسأل الوفد عما يشكون من عمار فقال قائلهم إنه غير كاف ولا عالم بالسياسة وقال قائل منهم إنه لا يدرى على ما استعمل ، فاختبره عمر فى ذلك اختباراً يدل على سعة علم عمر بتلك البلاد فلم يحسن الإجابة فى بعضه فعزله عنهم ثم دعاه بعد ذلك فقال أساءك حين عزلتك فقال والله مافرحت به حين بعثتنى وقدساءنى حين عزلتنى ، فقال لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكنى تأولت قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ولم يمض عامل زمن عمر موثوقاً به من عمر فى كل أيامه إلا القليلين وفى مقدمتهم أبو عبيدة عامر بن الجراح اه) . أقول اشتمل هذا الكلام إجمالا على تدافع وطعن وتقصير وكذب على أمير المؤمنين عمر

رضى الله تعالى عنه . وبيانه ملخصاً من ابن الأثير وغيره قصةسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه مع أولئك الأوباش الذين طعنوا فيه تقدم كثير منها فى بحث الخلافة ، وأقول هنا أيضاً : ثار بسعد قوم سعوا به وألبوا عليه وكان ممن تحرك فى أمره الجراح بن سنان الأسدى فى نفر فبعث عمر محمد بن مسلمة يقتص آثار شكاية سعد فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة إلا أثنوا عليه خيراً سوى من مالأ الجراح الأسدى فانهم سكتوا ولم يقولوا سوءاً ولا يسوغ لهم حتى انتهوا إلى بنى عبس فسألهم فقال أسامة بن قتادة : اللهم أنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية ولا يغزو فى السرية . فقال سعد : اللهم إن كان قالها رياء وكذباً وسمعة فاعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن ، فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها فإذا ليم على ذلك قال دعوة سعد الرجل المبارك. ثم دعا سعد على أولئك النفر فقال اللهم إن كانو خرجوا أشرا وبطراً ورياء فاجهد بلاءهم فجهدوا فقطع الجراح بالسيوف يوم بادر الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل أربد بالوجء ونعال السيوف وقال سعد رضى الله تعالى عنه أنى أول رجل أهراق دماً من المشركين ولقد جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لأحد قبلى ولقد رأيتنى خمس الإسلام ، وبنو أسد تزعم أنى لا أحسن أصلى وأن الصيد يلهينى . وخرج محمد بن مسلمة بسعد وبهم معه إلى المدينة فقدموا على عمر فأخبروه الخبر ، فقال كيف تصلى ياسعد . قال أطيل الأولين واحذف الأخريين. فقال هكذا الظن بك يا أبا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيناً. وقال من خليفتك ياسعد على الكوفة . فقال عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره .

وتهمة المغيرة بن شعبة التى أشار اليها شهادة أبى بكرة وأخيه لأمه زياد ابن أبيه ونافع بن كلدة وشبل بن معبد البجلى عليه بالزنا بامرأة عامرية وكانت دار أبى بكرة مقابلة لدار المغيرة بينهما الطريق ولكل منها كوة مقابلة

للأخرى ففتح الريح باب كوة أبي بكرة فقام يسدها فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلى امرأة فقال للنفر قوموا فانظروا فقاموا ونظروا فاتم الثلاثة الشهادة عليه بشروطها عند عمر . ولم يتمها زياد فحد الثلاثة حد القذف ، وقال المغيرة لعمر عند حده للثلاثة اشفنى من الاعبد ، فقال له عمر اسكت أسكت الله نامتك والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك ، وكان عمر يقول لأبى بكرة وكان صحابياً جليلا تب أقبل شهادتك فيأبى حتى مات .

فقوله فى سعد فوجده بريئاً متدافع مع قوله فى آخر كلامه (ولم يمض عامل زمن عمر موثوقاً به من عمر فى كل أيامه) وكذب على عمر رضى الله عنه فكيف يكون بريئاً عند عمر وغير موثوق به عنده أيضاً فى كل أيامه.وهل هذا إلا الجمع بين المتناقضين ، ويبطله أيضاً ثناء عمر عليه فى كلام ابن الاثير بقوله (هكذا الظن بك يا أبا اسحق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيناً) ، وثناؤه أيضاً عليه مع بقية رجال الشورى ووصيته من يتولى الخلافة بعده بتولية سعد.وقال فانى لم أعزله عن خيانة ، والمغيرة بن شعبة ولاه عمر بعد عزله عن البصرة للتهمة المحكية على الكوفة بعد عزل أبى موسى عنها فلو كان غير موثوق به عنده ماولاه مرة أخرى ووثق به وقد ولاه أيضاً قبل هاتين على البحرين فكرهوه وشكوا منه فعزله فخافوا أن يعيده عليهم فجمعوا مائة ألف فأحضرها الدهقان إلى عمر فقال إن المغيرة اختان هذه فأودعها عندى فدعاه عمر فسأله ، فقال كذب انما كانت مائتى ألف فقال وما حملك على ذلك قال كثرة العيال ، فسقط فى يد الدهقان فحلف وأكد الايمان انه لم يودع عنده قليلا ولا كثيراً ، فقال عمر للمغيرة ماحملك على هذا ، قال انه افترى على فأردت أن أخزيه ، وتوليته الثالثة على الكوفة بعد عزل عمار عنها استمر فيها الى أن قتل عمر ، فأقره عثمان ثم عزله فلو كان غير موثوق به عنده ماولاه ثلاث مرات على ثلاثة امصار واستمر فى الثالثة عاملا حتى قتل عمر ، وقد قال المحاضر ان عمر رضى الله

عنه استحضر اليه كثيراً من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل ولكنه قصر فلم يذكر إلا سعداً وعماراً والمغيرة بن شعبة ، ومن العمال الذين استحضرهم اليه أيضا أبو هريرة رضى الله عنه ولاه على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر استأثرت بهذه الاموال فمن أين لك ، قال خيل نتجت وأعطية تتابعت وخراج رقيق لى ، فنظر عمر فوجدها كما قال ثم دعاه ليستعمله أيضا فأبى فقال لقد طلب العمل من كان خيراً منك قال انه يوسف نبي الله ابن نبي الله وأنا ابو هريرة ابن أميمة . فهذا أبو هريرة لما وجده الفاروق بريئا بعد التحقيق معه عرض عليه العمل مرة ثانية فأبى واعتذر بما قاله فلو كان غير موثوق به عنده ما عرض عليه العمل مرة أخرى .

وروى عن عمر انه لما عزل خالداً عن قيادة الجيوش بالشام والمثنى ابن حارثة عن قيادة جيوش العراق قال انما عزلتهما ليعلم الناس ان الله نصر الدين لا بنصرهما وان القوة لله جميعا ، فقد صرح الفاروق بعذره فى عزل هذين القائدين العظيمين بانه لم يعزلهما عن خيانة واثنى على خالد ثناء عظيما وصرح بندمه على عزله .

وقصر أيضا فى عدم ذكر أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فقد ولاه الفاروق على الكوفة بعد عمار بطلب منهم له ، قال لهم عمر من تريدون فقالوا أبو موسى الأشعرى ، فأقام أميراً عليهم سنة ، ثم شكوه إلى الفاروق وزعموا أن غلامه يتجر . فعزله عنهم وخلا عمر فى ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فحرسه حتى استيقظ فقال : ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم . فقال وأى شيء أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير ،وأتاه أصحابه فقالوا:ما شأنك؟ فقال: إن أهل الكوفة قدعضلونى واستشارهم فيمن يوليه وقال ماتقولون فى تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مسدد . فقال المغيرة : أما الضعيف المسلم فان إسلامه لنفسه وضعفه عليك وأما القوى المسدد فان سداده لنفسه وقوته للمسلمين ، فولى المغيرة الكوفة فبقى عليها حتى

مات وذلك نحو سنتين وزيادة . وقال له حين بعثه يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار ، ثم أراد عمر أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل قبل ذلك . وولى أبا موسى على البصرة بدل المغيرة وأمره بلزوم السنة فقال أعنى بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم فى هذه الأمة كالملح فقال له خذ من أحببت قال فاخذ معه تسعة وعشرين رجلا منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر، فافتتح أبو موسى الأهواز وأصبهان وبقى أميرا عليها حتى قتل عمر وأقره عثمان عليها قليلا ثم عزله عنها وولى عليها عبد الله ابن عامر. فلو كان أبو موسى غير موثوق به عند عمر ماولاه مرة ثانية على البصرة بعد عزله عن الكوفة وقد قال فى أول كلامه (استحضر عمر إليه كثيرا من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل) .

ثم قصر بمقام سعد وعمار عن المغيرة فقال فيه (وهو من الصحابة ومن ذوى الأثر الصالح فى الفتوح الإسلامية) ، واكتفى فى سعد بقوله (وهو فاتح القادسية والمدائن وممصر الكوفة) وقد تقدم شىء من مناقبه وآثاره الصالحة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . واكتفى فى عمار بقوله (وهو من السابقين الأولين) وسعد وعمار من السابقين الأولين لو لم يكن لهما من الآثار فى الاسلام الا جميع المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفاهما ، ولو لم يكن لهما من المشاهد معه إلا بدر وأحد والخندق لكفاهما ذلك والمغيرة يعد بالنسبة إليهما وإلى جميع السابقين فى الدرجة الثالثة لأنه أسلم قبل الحديبية ، وعمار وأبوه وأمه كانوا ممن عذب فى الله ، فكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر عليهم فيقول صبراً آل ياسر موعدكم الجنة . واتفق العلماء على أن قوله تعالى ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ نزلت فيه . وعن على رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (إن عماراً ملىء إيماناً إلى مشاشه) أخرجه الترمذى وابن ماجة وسنده حسن . وأخرج الترمذى

أيضاً والحاكم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (ان الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان) وعن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه قال كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء خالد فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه وقال : (من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله) . قال خالد فما زلت أحبه من يومئذ . وفي الترمذي عن عائشة مرفوعا (ماخير عمار بين أمرين إلا اختار أيسرهما) . وعن حذيفة رفعه (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار) أخرجه الترمذي وقال حسن وابن ماجه . وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أن عماراً تقتله الفئة الباغية) . وأبلى يوم بدر بلاء حسناً وشهد اليمامة فأبلى فيها بلاء حسناً وقطعت فيها أذنه . قال ابن عمر رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يامعشر المسلمين أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا إلى وأنا أنظر إلى أذنه وقد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال . وكتب عمر إلى أهل الكوفة لما استعمله عليهم (إنه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم) . وقد نقض المحاضر ثناءه عليه في قوله (من العمال الذين لهم أعظم فضل وأكبر عمل) فطعن فيه بقوله (شكاه قوم من أهل الكوفة بأنه ليس بأمير ولايحتمل ماهو فيه إلى آخر الهراء) تقليداً لابن جرير وهذا وإن كان ثقة فتاريخه كثير الروايات الباطلة ، وهذا الطعن في عمار باطل رواية ودراية ، أما بطلانه رواية فان إسناده يدور على ثمانية رجال اتفق أئمة النقد من المحدثين على عدم اعتبارهم :

(١) سيف بن عمر الضبي مصنف الفتوح والردة يروي عن خلق كثيرين من المجهولين قال ابن نمير كان سيف يضع الحديث وقد أتهم بالزندقة ، وقال أبو داود ليس بشيء وقال أبو حاتم متروك ، وقال ابن عدي عامة حديثه منكر . (٢) شعيب بن ابراهيم الكوفي مجهول . (٣) اسماعيل بن خالد الكوفي أيضا مجهول ، (٤) زكريا بن سياه أيضا مجهول . (٥) خليد بن

ذفرة أيضا مجهول . (٦) وأبوه كذلك ، (٧) هشام بن عبدالرحمن الثقفى مجهول أيضا . (٨) مجالد بن سعيد الهمدانى قال ابن معين وغيره لايحتج به ، وقال أحمد ليس بشىء،وقال النسأى ليس بالقوى ، وقال الدارقطنى ضعيف وقال البخارى كان يحي بن سعيد يضعفه . وكان بن مهدى لا يروى عنه ، وبهذا ظهر بطلان هذا الخبر رواية ، وأما بطلانه دراية فمن ثلاثة أوجه الأول حسن جوابه لعمر حين سأله أساءك العزل ، فقال ما سرنى حين استعملت ولقد ساءنى حين عزلت ، فهذا الجواب جواب ذكى يدرى ما استعمل عليه قطعاً فلو كان غير كاف ولا عالم بالسياسة ولا يدرى على ما استعمل كما زعم المشغبون.لم يحسن من عمر سؤاله وأى فائدة - يستفيدها من مستحق للعزل بسؤاله غير العبث به وحاشا الفاروق من العبث باخوانه الصحابة مطلقاً . فكيف بأعيانهم وبهذا ظهر فساد قوله (فاختبره عمر فى ذلك اختباراً يدل على سعة علم عمر بتلك البلاد فلم يحسن الاجابة فى بعضه فعزله عنهم) ،الثانى : دل هذا الخبر المختلق على عمار وعمر على أن واضعه غبى لم يحكم وضعه يريد أن يطعن فى عمار ويمدح عمر ولم يشعر بأنه ذمهما وطعن فيهما معاً بل طعنه به فى عمر أشد وأولى من طعنه به فى عمار.وذلك فى زعمه عن عمر أنه قال لعمار (لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكنى تأولت قوله تعالى﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ، واذا كان عمر يعلم أن عماراً ليس بصاحب عمل أى لا يصلح لولاية الامصار فتوليته له على مصر سكانه ينوفون عن مائة الف غير ما يتبعه من الرساتيق والقرى والمزارع الواسعة لا تخلو من أن تكون غشاً لاهل هذا الاقليم العظيم أو عبثاً بكرامتهم وكلاهما محال على ابى حفص فقد برأه الله تعالى فى التاريخ المقطوع به وبرأه التاريخ المنقول نقلا اوضح من الشمس فى سيرته العاطرة من الغش.لرعيته والعبث بكرامتهم وهل يعقل تأوله الآية الواردة فى قصة فرعون مع بنى اسرائيل على تولية شخص لا يصلح للولاية وهل هذا

التأويل فيــه مع علمه بعدم كفاءته الا عبث ثان . الثالث : تقـدم أن الفاروق كتب الى أهل الكوفة لما ولى عليهم عماراً يثنى عليه بقوله (إنه من النجباء من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فثناؤه عليه بالنجابة والصحبة يناقض قوله المختلق عليه (لقدعلمت ما أنت بصاحب عمل ولـكنى الخ) فلو صح هذا المختلق عنه لـكان طعناً فيه قبل عمار وبطل ثناؤه عليه بالنجابة لـكنه لم يصح فثبت ثناؤه عليـه وثبت به ان الذين شكوه لعمر ظالمون مشغبون عليـه وتحقق بما قررته أن هؤلاء الصحابة الاجلاء الذين عزلهم الفاروق سعداً وعماراً وأبا موسى الاشعرى،والمغيرة بن شعبة، وابا هريرة،وخالداً،والمثنى بن حارثة،كلهم عدول برءاء موثوق بهم عند الفاروق ابتداء ودواما وان الذين شكوا كل واحـــد من الثلاثة الاول عصبة من اهل الكوفة وان اهـل الكوفة هم اول الامصار التى قامت على الخلفاء بشكاية أمرائهم بطراً ثم تلاهم اهـل البصرة والمصريون فى خلافة عثمان وظهر للقراء فساد قوله (ولم يمض عامل زمن عمر موثوقا به من عمر فى كل ايامه الا القليلين) .

لا صحة لما يشاع عن عمر رضى الله عنه
انه كان يشاطر عماله اموالهم

قال فى ص : ١٣ ج ٢ ما نصه وقد شاطر عمر بعض العمال ما فى ايديهم حين مارأى عليهم سعة لم يعلم مصدرها ولم يفعل هذا الفعل الا قليلا وربما وجد هذا العمل مجالا للانتقاد من الوجهة النظرية الدينية ولـكن عمر كان يعرف من عماله من يستحق أن تقع به تلك العقوبة اذ ماذا يعمل برجل ولاه وهو يعرف مقـدار عطائه ورزقه ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ثروة لو جمعت أعطياته ما بلغتها : لم ير عمر امام ذلك الا هـذه المصادرة وقد اكتفى بان يشاطر العامل ما يملك ولست اريد ان احسن هـذه الطريقة . ولى عتبة بن ابى سفيان على كنانة فقـدم معه بمال فقال عمر ما هذا يا عتبة

قال مال خرجت به معى واتجرت فيه قال ومالك تخرج هذا المال معك فى هذا الوجه فسيره فى بيت المال ، وكانت التجارة هى التكأة التى يتكىء عليها بعض العمال فى ثروتهم وكان عمر يمنعهم عن التجارة منعا باتا وعلى الجملة فشدة عمر على عماله رفهت الرعية اه). قوله وقد شاطر عمر بعض العمال الى قول ولى عتبة بن أبى سفيان باطل لا صحة له وقد تقدم تقرير عزله رضى الله عنه لخمسة من عماله وقائدين واضحاً وهم سعد بن أبى وقاص وعمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة وابوموسى الاشعرى وابوهريرة وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ، وثبتت براءة جميعهم عنده ، ولم يثبت فى التاريخ أنه أخذ درهماً من واحد منهم وهؤلاء أحد عشر عاملا له أيضا من الصحابة . العلا بن الحضرمى، سعيد بن عامر بن حذيم ، عمير بن سعد الانصارى ، عتاب بن أسيد ، نافع بن عبد الحارث الخزاعى ، قدامة بن مظعون، عمرو بن العاص ، يزيد بن أبى سفيان ، أخوه معاوية - يعلى بن منية ، عثمان بن أبى العاصى الثقفى. الجميع مترجمون فى طبقات الصحابة مذكورون فى التاريخ الاسلامى لا يستطيع أى انسان أن ينقل عن الفاروق انه أخذ درهماً واحداً من مال واحد منهم فضلا عن أخذه شطر ماله وكيف يخون عمر من عدلهم الله وأثنى عليهم فيأخذ شطر أموالهم وقد شاركوه فى صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمآثر الصالحة وكثير منهم شاركوه فى السبق إلى الاسلام بل بعضهم سبقه اليه كسعد وعمار وقدامة بن مظعون ولا حاجة بى بعد هذا إلى أبطال هرائه هذا جملة جملة . وقوله ولى عتبة بن أبى سفيان على كنانة الى آخر قصته قلد فيها بن جرير وهى باطلة أيضاً من ثلاثة أوجه .

(الأول) ابن جرير رواه باسناد رواته مجهولون .

(الثانى) كنانة قبيلة أهل عمود كانوا ساكنين حول مكة فهم تابعون لامارتها فليست بلدة حتى تحتاج الى أمير خاص بها .

(الثالث) عتبة بن ابى سفيان ولد فى آخر العهد النبوى وعليه يكون عمره فى آخر خلافة عمر أربعة عشر سنة على أكبر تقدير فلا يصح تولية الفاروق من كان فى هذا السن وقد ذكره الحافظ بن حجر فى اصابته فى القسم الثانى من حرف العين فيمن لم يره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرد انه سمع منه لصغره قال فى ترجمته ما نصه: عتبة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية الأموى أخو معاوية لأبويه: قال ابن منده ولد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه عمر بن الخطاب الطائف (قلت) لم أر له بعد التتبع الكثير ذكرا قبل شهوده الدار حين قتل عثمان رضى الله تعالى عنه ولم أر فى ترجمته عند ابن عساكر ما يدل على أنه ولد فى العصر النبوى وهو محتمل وانما ولاه الطائف أخوه معاوية اه وبهذا ظهر بطلان هذه القصه كما ظهر أيضا بطلان قوله (وكانت التجارة هى التكأة التى يتكىء عليها بعض العمال فى ثروتهم إلى آخر الهراء) .

تأوله كلام الفاروق بتأويل فاسد

وكذبه عليه وعلى التاريخ وحذفه منه مالا يوافق هواه

قال فى ص ١٨ ج ٢ (رأى عمر فى الاجتماعات) (كان عمر يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوى إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة . روى ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش بلغنى أنكم تتخذون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقال من صحابة فلان من جلساء فلان (حتى تحوميت المجالس) وأيم الله أن هذا لسريع فى دينكم سريع فى شرفكم سريع فى ذات بينكم ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الإسلام أقساماً أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معاً فانه أدوم لالفتكم وأهيب لكم فى الناس) وفى الحق أن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم مضيع كثيراً لما ينتظر

من تربية الخاصة للعامة . ومفيد فائدة كبرى وهى نقل أقوالهم غير محرفة ولامشوبة بما يطمس حقيقتها ثم أن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف فى المسائل التى تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة فى الدين والذى خافه عمر على الناس وعلى من يأتى قد وقع فكثرت الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر ودعا ذلك إلى اختلاف الناس فى الدين اختلافا عظيما اه) .

أقول هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه رواه ابن جرير هكذا : (حدثنى عمر حدثنا على عن ابن داب عن أبى معبد الأسلمى عن ابن عباس أن عمر الخ) وهو باطل لأن عمر فى أول السند مجهول وعلى كذلك فان كان على هذا هو على بن سهل المدائنى أحد شيوخ ابن جرير فهو أيضاً مجهول الحال وبينه وبين بن داب انقطاع وابن داب كذبه أبو زرعة وبينه وبين أبى معبد أيضا انقطاع فلا تصح روايته عنه ، وإنما يروى عن صفوان بن سليم ، وأبو معبد مولى ابن عباس ثقة ولكنه لم يوصف بالأسلمى وهذا وصف بذلك فهو إذاً غير مولى ابن عباس فهو مجهول أيضاً وإضافته لابن عباس لاترقعه فقد أضاف الناس ونسبوا البهتان إلى سيد الرسل وإلى غيره . وقد اعتمد المحاضر على هذا الخبر الواهى وتصرف فيه بثلاث تصرفات قبيحة (الأول) حمله له على عموم الناس وهو خاص . (الثانى) تأوله نهيه لذاك الفريق من قريش عن المجالسة الخاصة بسبب كثرة أقوالهم المتباينة فى الدين وظاهره فى غيرها (الثالث) حذفه منه مالا يوافق هواه ، أما الأول فمنطوق قول ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش بلغنى إلى آخر الكلام ينادى بأنه لم يقل هذا الكلام لجميع المسلمين بالمدينة. بل ولا لجميع الصحابة. مهاجرين وأنصاراً. بل ولا لجميع قريش. وإنما قاله لناس مخصوصين من قريش ولعلهم إن صح بعض الأحداث منهم وحينئذ فحمله له عل عموم المسلمين فى قوله (رأى عمر فى الاجتماعات . كان عمر يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوى إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم) وعلى أن عمر

كان يكره اختصاص الناس بمجالس فى قوله (وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة) تصرف قبيح وكذب على عمر وعلى التاريخ فانه لم ينقل عنه رضى الله تعالى عنه أنه نهى ناساً مخصوصين عن المجالس المخصوصة بالمذاكرة فى العلم فضلا عن عموم المسلمين، وأما الثانى فظاهرهذا الخبر لايدل على النهى عن المجالس العلمية التى تكثر فيها الأقوال المتباينة فى الدين كما زعم. ولا يقال يدل عليها قوله(ولكأنى بمن يأتى بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الإسلام أقساماً) ، فقوله (قد قسموا الإسلام أقساماً دليل عليها لأن معناه قد قسموا مسائل الاسلام أقساماً لأنا نقول معناه قد قسموا رجال الاسلام أقساماً وليس تقدير أحد المضافين أولى من تقدير الآخر على أن تقديره رجالا يؤيده قوله بعده (أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معا فانه أدوم لالفتكم وأهيب لكم فى الناس) فهو أولى وتقسيم رجال الاسلام معناه تشيع كل جماعة لشخص منهم وهذا لايلزم منه حصر النهى فى كثرة الاختلاف فى مسائل الدين فقد يتشيعون له لسخائه أوشجاعته أو حلمه أو خلق من أخلاقه الفاضلة. وقد زاد المحاضر فى طنبور هذا الخبر الواهى نغمتين : تعميمه فى جميع المسلمين وهو خاص بناس من قريش ، وحمله على المجالس العلمية ومسائل الدين وقد شرح هذا الحمل بقوله(وفى الحق أن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم إلى آخر ثرثرته) وهى باطلة من ثلاثة أوجه : الاول مسائل العلم والدين ليست محصورة فى قريش كلها فضلاعن إناس منهم مخصوصين بمجالس فنهيه لهؤلاء المخصوصين عن مجالس العلم الخاصة لايصح بل نهى قريش كلها عن ذلك لايصح . (الثانى) لوكان المراد بنهيه هذا عن المجالس الخاصة مايحصل فيها من كثرة الاختلاف فى مسائل الدين ، لنهى جميع المسلمين بالمدينة عن ذلك ولاسيما الانصار رضى الله عنهم فان العلماء فيهم كثيرون وكان لكل واحد منهم تلامذة يسمعون منه ، منهم أبى بن كعب سيد القراء وعبادة بن

الصامت وأبو سعيد الخدرى وأبو أيوب وجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت والبراء ابن عازب ورافع بن خديج وغيرهم (الثالث) لو كان عمر رضى الله عنه يحب أن تكون مجتمعات الناس للمذاكرة فى العلم عامة ويكره المجالس الخاصة فيه لافضائها إلى كثرة الاختلاف فى مسائل الدين لأوصى علماء الصحابة الذين بعثهم إلى الامصار لتعليم الناس بأن يجتمع علماء كل مصر ويعلموا الناس ولا يختص واحد منهم بمجلس. والتاريخ لم ينقل هذا عنه ولا عن أولئك العلماء أنهم كانوا يجتمعون كلهم فى مجلس واحد لتعليم الناس فدل على أن فهمه من هذا الخبر الواهى ما ثرثر به كذب على الفاروق وعلى جميع علماء الصحابة ، فقد بعث عمر إلى الشام منهم عبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء وغيرهم وكان الناس يأتون كل واحد منهم على انفراده فيسمعون منه ، وهكذا فى الكوفة فقد بعث إليها جماعة منهم أبرزهم ابن مسعود فكان له تلامذة مختصون به مبرزون ، وهكذا فى البصرة فقد تقدم أنه لما ولى عليها أبا موسى الأشعرى قال له أعنى ياأمير المؤمنين بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فى هذه الأمة كالملح فقال له خذ من أحببت فاختار منهم تسعة وعشرين صحبوه إليها منهم عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر فقوله (فقد كثرت الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر ودعا ذلك إلى اختلاف الناس فى الدين اختلافاً عظيما) فاسد وكذب على السلف الصالح إن أراد بكثرة الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر الآراء المتباينة فى أصول الدين وهو مادل عليه كلامه السابق على هذا وهو (ثم إن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف فى المسائل التى تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة فى الدين) واللاحق له وهو (ودعا ذلك إلى اختلاف الناس فى الدين اختلافاً عظيما) ، فان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بل وجمهور التابعين واتباعهم كانو كلهم على عقيدة واحدة بيضاء نقية وأول بدعة حدثت فى آخر عصر الصحابة بدعة القدر وأول من أشاعها وجادل عليها غيلان ،

وإن أراد بكثرة الآراء المنقولة من أفراد ذلك العصر كثرة اختلافهم فى مسائل الفروع فهو صحيح وإن كان غير مقصود من سياق كلامه واختلاف اجتهاد الصحابة فى مسائل الفروع ليس اختلافاً فى الدين ولا مذموماً عند العقلاء بل لابد منه حتى يتميز الفقيه فى كتاب الله وسنة رسوله من الافقه والراسخ فى العلم عن غيره وقد دل عليه كتاب الله تعالى ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ وكثير من سنة الرسول الثابتة منها قوله عليه الصلاة والسلام (رب مبلغ أوعى لها من سامع ـ ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) وهذه صحاح ومسانيد ومعاجم أئمة الحديث والفقه ومصنفات علماء الاسلام مملوءة بمسائل اجتهاد علمائهم فى الفروع المتخالفة وفيها أيضاً كثير من مناظراتهم فيها (الثالث) قد حذف المحاضر من هذا الخبر الواهى كلاماً لا يوافق هواه ومحله بعد قوله، وأهيب لكم فى الناس مباشرة (اللهم ملونى ومللتهم وأحسست من نفسى وأحسوا منى ولا أدرى بأينا يكون الكون وقد أعلم أن لهم قبيلا منهم فاقبضنى اليك ا هـ) فعلى تقدير صحة هذا الخبر يكون هؤلاء الذين ملهم وملوه فدعا الله أن يقبضه اليه هم الذين نهاهم عن المجالس الخاصة من قريش فى قول ابن عباس (أن عمر قال لناس من قريش الخ) وهم أيضاً الذين منعهم من الخروج الى الأمصار لأنهم ليسوا ذوى بصائر وفقه فى الدين فربما يتكلمون بكلام يكون مؤداه الطعن فى سيرة الخلفاء العادلين فيترتب عليه الضرر بالسياسة العامة وانما حذفه لزعمه فى بحث الخلافة أن المسلمين اتفقوا على الرضى بخلافة عمر ومحبته ، ومللهم له نتيجة كراهتهم لسيرته، وكراهتهم لسيرته تنافى محبتهم له ورضاهم به . ولقد كان من واجب أمانة نقل العلم عليه حيث اعتمد على هذا الخبر الواهى فعده فى مناقب عمر رضى الله عنه ألا يتصرف فيه بفهمه ولا يحذف منه شيئا مع أنه الى مثلبة عمر أقرب منه الى منقبته ولكن عذره فى تشييد مناقب الفاروق بالأباطيل ضيق حوصلة ايمانه عن استساغة مناقب الصحابة عموما وخصوصا الخلفاء الأربعة الثابتة تواتراً الواسعة العظيمة ولذلك أسس محاضراته من أولها على الاباطيل ومن المستغرب ارتكابه لها فى الضدين المناقب والمثالب ، المناقب للفاروق خاصة والمثالب ، لجل الصحابة ولا سيما حيدرة وقد تقدم كثير منها فى الطرفين مفصلا وسيأتى كثير .

المحاضرة السادسة والعشرون

طعنه فى كعب الأحبار ورميه للفاروق ولجميع الصحابة بالتغفيل وأبطال ذلك

قال فى ص ٢٠ ج ٢ (فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين أعهد فانك ميت فى ثلاثة أيام ، قال وما يدريك ، قال : أجده فى كتاب الله التوراة ، قال عمر أنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ، قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وإنه قد فنى أجلك وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً ، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان ثم جاءه من غد الغد فقال قد ذهب يومان وبقى يوم وليلة وهى لك إلى صبيحتها ،ولو صحت هذه الحكاية وكنت ممن يحقق هذه القضية ما ترددت لحظة فى أن لكعب يداً فى مقتل عمر أو أنه كان عالما بما تم عليه الاتفاق بين المؤتمرين على عمر وربما يقال لو كان كذلك فماذا يدعو كعباً إلى أنباء عمر بهذا النبأ والجواب على ذلك سهل فانه ينال بذلك بين المسلمين مركزا عظيما فان كثيرا منهم يرون بعد ذلك أن توارته فيها علم كل شيء وانه صادق فى كل ما يخبر به فلا يتردد سامعه لحظة فى تصديقه بما يوحى إليه وكعب هذا ممن أفاض علينا ثروة من الأخبار الإسرائيلية التى لا ندرى حقيقتها ولا ريب أن فيها شيئاً كثيراً هو كذب محض لأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ به ذلك الرجل عنه اه) .

أقول قصة كعب الأحبار هذه مرتبة على مجيء أبى لؤلؤة المجوسى أو النصرانى غلام المغيرة بن شعبة لعمر وشكايته له كثرة الخراج الذى وضعه عليه سيده ، وقوله لأمير المؤمنين إن عشت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر : لقد توعدنى العبد آنفا ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الى آخرها. وقد طعن المحاضر فيه بأمرين : الأول فى دينه على تقدير صحة هذه

الحكاية ، والثانى فى عدالته ورمى الفاروق والصحابة رضوان الله عليهم على كليهما بالبلادة والتغفيل ، فأما الأول فقوله (ولو صحت هذه الحكاية وكنت الى قوله وكعب هذا) هو حكم صريح منه عليه بأنه غير مسلم حقيقى لو صحت هذه الحكاية عنه لأنها لو صحت وكان حضرته ممن يحقق فيها ما تردد لحظة فى أن لكعب يداً فى مقتل عمر أو أنه كان عالما بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله فلا شك أن الذى له يد فى مقتل سيد المسلمين أوله علم بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله ليس بمسلم حقيقى عنده وقد أورد على نفسه سؤالا مبنيا على تقدير صحتها فقال (وربما يقال لو كان كذلك فماذا يدعو كعباً الى أنباء عمر بهذا النبأ) أى لو كان لكعب يد فى مقتل عمر أو أنه عالم بما تم عليه الاتفاق بين المتآمرين على قتله فماذا يدعوه الى أنباء عمر بهذا النبأ ، وهو سؤال صحيح قوى مبنى على باطل أما كونه صحيحا قويا فالعادة المعروفة الغالبة فى بنى البشر تمنع كل واحد من الجماعة المتفقين على قتل شخص من أعيان الناس عن التفوه بسر ما اتفقوا عليه بعد قتله فكيف به قبله وعليها فاخبار كعب لعمر بأنه ميت فى ثلاثة أيام مع كونه له يد فى قتله أو عالما بالمتآمرين عليه مستحيل عادة ، فاما كونه مبنيا على باطل فان زعمه جماعة متآمرين على قتل عمر باطل تاريخاً علاوة على كونه رميا له ولجميع الصحابة بالبلادة والتغفيل حيث تكونت هذه العصبة المجرمة فى قلب عاصمة الخلافة لقتل سيد المسلمين ولم يعلموا بها وهم الاذكياء النبهاء وخفيت على الفاروق الألمعى الأحوذى الذى قال لست بخب ، والخب لا يخدعنى ، وقد كان يدرى كثيرا من خبايا رعيته بالأمصار النائية بالتفقد لها بكثرة السؤال وقد غربل المدينة كلها بذلك وبكثر الحراسة فكيف جهل مع جميع المسلمين حال هذه العصبة وهم معه فى عقر داره بل أتاه أحد رجالها فأخبره بانه ميت فى ثلاثة أيام فجهل ولم يفهم أنه منها ، فهل هذا الا عين الطعن فيه وفى اخوانه المسلمين بمنتهى الغباوة والتغفيل وجوابه السهل فى زعمه عن سؤاله فاسد من ثلاثة أوجه (الأول) رميه لكثير من المسلمين صحابة وغيرهم بالتغفيل فى -

فطرهم ويترتب عليه .

(الثانى) وهو غلو اعتقادهم فى التوراة بأن فيها علم كل شىء وفى كعب بأنه صادق فى كل ما يخبرهم به وهـذان الوجهان ظاهران من قوله (فإنه ينال بذلك بين المسلمين مركزاً عظيما فان كثيراً منهم يرون الخ الهراء) .

(الثالث) لو كان كثير من المسلمين كما رما هم به من التغفيل وغلو العقيدة فى التوراة لاستغنوا فى علمها ببعض علماء الصحابة الذين يعلمونها كزيد بن ثابت وعبد الله بن سلام ولما احتاجوا إلى كعب بن ماتع التابعى الذى أسلم فى خلافة عمر على أن هذه الحكاية لو صحت عن كعب لدلت على صدقه وغزارة علمه وفضله فان هذه الأمة المحمدية وخصوصاً الصحابة رضوان الله عليهم لم يزل ذكرها معظماً فى الكتب السماوية ولذلك قال الامام مالك رحمـــه الله تعالى بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وقد دلنا صريح القرآن على وجود صفات جميع الصحابة . لا عمر فقط فى التوراة والانجيل قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم (أى صفتهم) فى التواراة ومثلهم (أى صفتهم) فى الانجيل ﴾ ، فهذا كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد مدح الصحابة رضوان الله عليهم وأخبرنا بأن صفاتهم السامية موجودة فى التوراة والانجيل . فهل يقول عاقل ان إخبار كعب لأمير المؤمنين عمر بانقضاء أجله فى ثلاثة أيام لأنه وجد صفته وحليته فى التوراة بذلك يدل على أن له يداً فى مقتل عمر أو أنه عالم بما تم عليه اتفاق المتآمرين على قتله ، وهل يتردد مسلم فى صدق إخباره تعالى بوجود صفاتهم فيهما فى صريح كتابه العزيز وبهذا تحقق أن المحاضر جاهل بمناقب الصحابة حتى المصرح بها فى القرآن الذى هو مندرج تحت رايته جهلا مركباً . وأما الثاني وهو طعنه في عدالته فقوله (وكعب هـذا من أفاض علينا ثروة من

الأخبار الاسرائيلية التى لاندرى حقيقتها الخ هرائه) . وهو باطل من ثمانية أوجه .

الاول : دعواه الكثرة الهائلة فى الاخبار الاسرائيلية التى حدث بها كعب المسلمين واستفدنا ذلك من لفظتى (أفاض) و (ثروة) ولم يبرهن على هذه الدعوى ولو بمثال واحد من هذه الثروة يدل على كذب كعب .

الثانى : تناقضه وتذبذبه فى دعواه قال (لاندرى حقيقتها) فلا يخلو معنى هذه الجملة من كونه لا يدرى صدق هذه الثروة كلها أوكذبها كلها أو صدق بعضها وكذب البعض الآخر أولا يفهم معانى هذه الثروة وعلى كل فقد اعترف بأنه لا يدرى حقيقة هذه الاخبار فكيف درى بأنه أفاض علينا ثروة فدرايته بافاضته الثروة علينا تدل على كذب كعب فيها كلها عنده وتنافى عدم درايته بحقيقتها وعدم درايته بحقيقتها ينافى درايته بكثرتها وتدل على جهله بها وبحال كعب فكيف يحكم عليه بأنه كذاب .

الثالث : تذبذبه أيضا فى هذه الدعوى قال (ولا ريب أن فيها شيئا كثيراً هو كذب محض) يعنى ان فى تلك الثروة من الاخبار الاسرائيلية التى حدث بها كعب شيئا كثيراً هو كذب محض يعنى - والقليل منها ليس بكذب محض - وقد كان عليه أن يتحف القراء على الاقل بمثالين مثال للكذب الكثير المحض ومثال للقليل الغير المحض .

الرابع : حصره هذه الثروه التى أفاضها علينا كعب من الاخبار الاسرائيلية فى التوراة قال (لان التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه) وهو غير صحيح فان الاخبار الاسرائيلية ليست محصورة فيها فقد أثر الكثير منها عن أنبيائهم وعليه فمن الغباوة القول (بأن التوراة بأيدينا وليس فيها ما أنبأ ذلك الرجل عنه) .

الخامس : قدأخبرنا الله فى كتابه العزيز انه تعالى استحفظ بنى اسرائيل كتابهم فحرفوه ومما حرفوه منه رجم الزانى المحصن وعليه فمن الغباوة أيضا

الاعتقاد بأن نسخة كعب من التوراة لم تحرف وهي التي بقيت حتى صارت بايدينا .

السادس : ما كفاه تهجمه على مالا يحسنه من تاويل كتاب الله تعالى بالتاويلات الفاسدة والزيادة فيه على ما لم يقله ومن التاريخ الاسلامي بالطعن في الصحابة رضوان تعالى عليهم بهواه وبالروايات الباطلة حتى جعل نفسه في مصاف أئمة الرواية الناقدين لها ولرجالها فرمى كعبا بالكذب وقد محص أئمة الرواية المبرزون جميع الآثار والرجال فما جاءت المائة الرابعة الا وقد فرغوا منها ولم يتركوا فيهما مقالا لقائل وقد انقطعت سلسلة حفاظ الرواية من المائة الثامنة .

السابع : التحديث عن بني إسرائيل فيما يرجع إلى القصص والمواعظ ونحوهما جائز والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أخرجه الامام البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنهم .

الثامن : روى عن كعب من أجلاء الصحابة ابن عمر ، وأبو هريرة وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاوية ، وأثنى عليه أبو الدرداء ومعاوية رضي الله عنهم . فقال أبو الدرداء ان عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً ، وقال معاوية ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء ، ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء ان كان عنده لعلم كالبحار وان كنا فيه لمفرطين . ولقيه عبد الله بن سلام عند أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقال له يا كعب من العلماء قال الذين يعملون بالعلم .قال فما يذهب العلم من قلوب العلماء ، قال الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات إلى الناس ، قال صدقت.وروى عنه أصحاب الصحاح الستة . قال الشيخ النووي في تهذيب الاسماء واللغات في كعب : اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه . فان كان المحاضر لا يدري هذا كله فهي مصيبة وجرأة غير مستنكرة على أمثاله الكثيرين الذين طعنوا في هذا العصر في صميم الشريعة قرآنا وسنة . وطعنوا في أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي حملة سنته

عليه الصلاة والسلام العدول ، فالطعن فى كعب بالنسبة لهذا الجرم العظيم الذى ارتكبوه هين جدا ، وكثرة الجهل فى المسلمين من علامات الساعة فقد صح فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (يقل العلم ويكثر الجهل ويكثر الهرج والمرج ويقل الرجال ويكثر النساء) وان كان يدرى فالمصيبة أعظم وهى غير مستنكرة أيضا على الكثيرين من أمثاله وعلى كلتا المصيبتين ثبت بما قررته فى الوجهين رميه للفاروق ولجميع الصحابة ولجميع المسلمين فى جيلهم ولجميع الاجيال التى بعدهم إلى عصر أئمة الرواية أصحاب الكتب الستة وغيرهم بالتغفيل حيث لم يشعروا بكعب هذا أنه عدو الاسلام وأنه كذاب وهم أولوا النهى الجحاجحة ولم يتنبه له علماء الاسلام أيضا بعد هؤلاء الى هذا العصر .

وفيها قال فى ص ٢٤ ، ج ٢ فى مبايعة على لعثمان رضى الله عنهما مانصه : (ولما رأى ذلك على تأخر وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله ، ثم أقبل الناس يبايعون عثمان ورجع على يشق الناس حتى بايع عثمان اه) وهو غير صحيح بل بايع أولا راضيا من غير ان يقول شيئا كما حققه ابن كثير فى البداية ، قال (وبايعه على بن ابى طالب اولا ويقال آخرا وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون ان عليا قال لعبد الرحمن خدعتنى وانك انما وليته لانه صهرك وليشاورك كل يوم فى شأنه وانه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن ﴿ ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيما ﴾ الى غير ذلك من الاخبار المخالفة لما ثبت فى الصحاح فهى مردودة على قائليها وناقليها والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة واغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الاخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها ومبادها وقويمها اه .

ادعاؤه مشاركة اشخاص لأبي لؤلؤة

فى دم الفاروق وإبطال ذلك

قال فى ص ٢٥ ج ٢ (أول قضية نظر فيها أى عثمان رضى الله تعالى عنه شاع عقب ضرب عمر أن قتـله لم يكن عمل أبى لؤلؤة وحده بل كان هناك أشخاص شركوا فى دمه فقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر غداة طعن عمر مررت على أبى لؤلؤة أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجى فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فانظروا بأى شىء قتل فجاؤا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فاذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن وكان رجل من تيم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر ثم اشتمل على سيفه فأتى الهرمزان فقتله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانياً من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبى وقاص إلى المدينة ليعلم بها الـكتابة فعلاه عبيد الله بالسيف ولما سمع بذلك صهيب وهو القائم مقام الخليفة أرسل اليه من أتى به وأخذ منه السيف وسجنه حتى يتم أمر الاستخلاف وينظر فى أمره فلما بويع عثمان جلس فى المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الاسلام مافتق. فقال على أرى أن تقتله ، فقال بعض المهاجرين قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك ، قال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها فى مالى وكان ذلك حلا حسنا لتلك المشكلة ا ه) . أقول كلامه هذا باطل بوجهين . (الأول) قوله شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبى لؤلؤة وحده بل كان هناك أشخاص شركوا فى دمه هذا الشيوع من زياداته لم يقله المؤرخون . (الثانى) قوله فقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر الخ خبر باطل رواية ودراية

رواه ابن جرير هكذا ، كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن بن أبي بكر إلى قوله وجاؤا به إلى صهيب. فأما بطلانه رواية فان السرى مجهول وشعيب بن ابراهيم الكوفى مجهول أيضا. وقد اتفق أئمة النقد على أن سيفاً لا يروى إلا عن المجهولين وعلى طرحه . وزاد ابن حبان وابن نمير أنه متهم بالزندقة وزاد الثانى منهما أنه كان يضع الأحاديث فنسبته هذا الهراء الذى وضعه إلى العدول يحيى بن سعيد وسعيد ابن المسيب وعبد الرحمن بن أبي بكر لا ترقعه بل هو افتراء عليهم وإذا كان وضع الأخبار الكثيرة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سهلا على الوضاعين فالوضع على الصحابة والتابعين يكون أسهل. وقد تصرف المحاضر فى هذا الخبر بالحذف والزيادة فحذف منه كلاماً كثيراً من ذلك (١) قول الهرمزان لما عضه السيف لا اله الا الله ، ومنها فى جفينة بعد قوله وكان نصرانيا من أهل الحيرة (٢) (ظئرا) لسعد بن مالك ، ومنها بعد قوله فلما علاه بالسيف (٣) (صاب بين عينيه) ، ومنها بعد قوله صلب بين عينيه كلاماً كثيراً أبدله بما ذكره (٤) وبلغ ذلك صهيباً فبعث اليه عمرو ابن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف بأبى وأمى حتى ناوله إياه وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاؤا إلى صهيب ، هذا آخر الخبر وزاد فيه سجن صهيب له ، وأما بطلانه دراية وتاريخاً فمن خمسة أوجه : (الأول) قوله وكان رجل من تيم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر غير صحيح والمعروف فى التاريخ أنه قتل نفسه لما احتضنه رجل قال ابن كثير فى بدايته فالقى عليه عبد الله بن عوف برنساً فانتحر نفسه . (الثانى) قوله فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر ثم اشتمل الخ غير صحيح أيضا بل قتل من قتل وأبوه حى . (الثالث) قوله لما سمع بذلك صهيب وهو القائم مقام الخليفة أرســـل اليه من أتى به وأخذ منه السيف وسجنه ، غير صحيح فى السجن بل الذى سجنه أبوه عمر . قال ابن كثير وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده . وأما الذى أخذ

منه السيف فقيل عمرو بن العاص بسياسة ، وقيل ثاوره سعد بن أبى وقاص فاخذه منه بالقوة وهو الصحيح . (الرابع) قول أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق . (الخامس) ثبت فى التاريخ أن عبيد الله قتل أيضا بنت أبى لؤلؤة فثبت بهذه الأوجه بطلانه وبطلان دعواه المبنية عليه وتحقق ان عبيد الله قتل ثلاثة معصومى الدم الهرمزان وهو مسلم وقد ثبت فى الصحيح انه عليه الصلاة والسلام وبخ مولاه اسامة بن زيد لما قتل فى دار الحرب ذلك الأعرابى بعد ما قال لا اله الا الله على قتله توبيخاً شديداً ، وهذا قتل فى عاصمة الاسلام مسلماً، وجفينة وبنت أبى لؤلؤة ذميان . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه أوصى باهل الذمة كما صح عنه عليه الصلاة والسلام النهى عن قتل نساء الكفار وصبيانهم فى دار الحرب فكيف به إذا كان لذمية فى دار الاسلام بدون حجة تبيح له ذلك . فلو كان لهم مشاركة فى دم أبيه ما حبسه وما اهتم بها ذو النورين فجعلها أول قضية حكم فيها وما جمع لها أعيان الصحابة مهاجرين وأنصاراً وما قال لهم أشيروا على فى هذا الذى فتق فى الإسلام ما فتق ، وما تحمل دياتهم فى ماله ، وما قال على أرى أن تقتله ، وما قال عمرو بن العاص إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سلطان . وقد روى ابن جرير أيضا فى قتل عبيد الله للهرمزان خبراً معارضا لهذا عن ابن الهرمزان وهو باطل أيضا فكان من اللازم على المحاضر أن يعتمد عليه أيضا جريا على قاعدته فى التمسك بالأباطيل أو يطرحهما معا ويعتمد فى هذه الحادثة على التاريخ الصحيح فاعتماده فيها على أحد الباطلين دون الآخر تحكم . وقوله فى آخر كلامه (وكان ذلك حلا حسنا لتلك المشكلة) ينقض دعواه أن الهرمزان وجفينه شاركا أبا لؤلؤة فى دم عمر ، فيقال له إذا كانا مشاركين له كما أدعيت فقتل عبيد لهما سائغ لا أشكال فيه حتى يحتاج إلى حل .

المحاضرة السابعة والعشرون

طعنه في أعيان مهاجرى قريش من الصحابة برواية الطبرى وابطاله بستة عشر وجها

ص: ٣٠ ج ٢ قال الأحوال الداخلية والفتن. الاحوال الداخلية لا بد أن نبسط القول فيما كانت عليه أحوال المسلمين فى الامصار المختلفة خصوصا البصرة والكوفة ومصر لأن الفتنة الكبرى قد استخدم لها العامة من هذه الأمصار الثلاثة . روى الطبرى عن الحسن البصرى قال كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين . الخروج فى البلدان إلا باذن وأجل فشكوه فبلغه فقال: الا انى سننت الاسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعا ، ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا . ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ألا وان الاسلام قد نزل ألاوان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ألا فأما وابن الخطاب حى فلا ، انى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا الى النار - فلما ولى عثمان لم يأخذهم بالذى كان يأخذهم به عمر فانساحوا فى البلاد فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس انقطع من لم يكن له طول ولا مزية فى الاسلام فكان مغمورا فى الناس وصاروا أوزاعا اليهم وأملوهم وتقدموا فى ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدمنا فى التقرب والانقطاع اليهم فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام وأول فتنة كانت فى العامة . وقال الشعبى لم يمت عمر حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الامة انتشاركم فى البلاد فان الرجل يستأذن فى الغزو وهو ممن حبس فى المدينة من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ، فيقول قد كان لك فى غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك .

فلما كان عثمان خلى عنهم فاضطربوا فى البلاد وانقطع اليهم الناس فكان

أحب اليهم من عمر . وروى الطبرى بسنده قال لم تمض سنة من امارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالا فى الأمصار وانقطع إليهم الناس اه) أقول : قد تحققنا أن المحاضر لا معرفة له بكتب الرواية ومناقب الصحابة وطبقاتهم ولم يعرف من تواريخ الاسلام إلا تاريخ ابن جرير ولاستحسانه الأباطيل مطلقا عول عليه فيها خصوصا ما يمس بكرامة الصحابة رضوان الله عليهم غير شاعر بدسائسها وتناقضاتها التى يدركها كل من له إلمام بالعلم وقد مهد لهذا الخبر الذى استحسنه منها فى الطعن فى إعلام مهاجرى قريش بمقدمة عللها بقوله (لأن الفتنة الكبرى قد استخدم لها العامة من هذه الأمصار الثلاث) فطعنه فى سادات المهاجرين بهذا الكلام الخبيث ، وهو أنهم محركوا الفتنة الكبرى التى قد استخدموا لها العـــامة فى الأمصار الثلاث واضح . وخبر الطبرى هذا الذى اعتمد عليه المحاضر ، قد جزأه إلى أربعة أسانيد محورها واحد وهو باطل بستة عشر وجها : (الأول) يدور على سيف بن عمر الوضاع المتهم بالزندقة المتفق على أنه لا يروى إلا عن المجهولين ومعه فيه خمسة كلهم مجهولون شعيب وعمارة بن القعقاع ومحمد وطلحة وعمرو ونسبته للتابعيين الجليلين : الحسن البصرى والشعبى ثم للفاروق افتراء عليهم رضى الله عنهم .

(الثانى) الصحابة كلهم مهاجرين وغيرهم شاركوا عمر فى الثناء العظيم العام من الله تعالى عليهم فى محكم كتابه ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ وشاركه أهل السابقة منهم فى رضا الله عنهم ورضاهم عنه ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ فحبسه لهم بالمدينة وخوفه على أهل الامصار

من فتنتهم لهم إذا انتشروا فى البلاد ينافى ثناء الله عليهم وعليه والخبر المنافى لثناء الله عليهم باطل ولو كان صحيحا لأنه ظنى وثناء الله عليهم قطعى والظنى لا يعارض القطعى فلو صح هذا الحجر على إعلام قريش منه لكان منافيا لثناء الله عليه وقدحاً فى دينه لامحالة وقد برأه الله تعالى من هذا الهراء .

(الثالث) القرآن قد فاوت بين جميع الصحابة فى الدرجات وأخبر أن جميعهم فى الجنة قال تعالى ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ فلا يعقل حجره على سادات الصحابة من مهاجرى قريش ويقول لهم (إنى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا إلى النار) ويقول لهم أيضا (إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد) وفسحه لمسلمة الفتح الذين هم دونهم بدرجات بالانتشار فى الأمصار وكيف يأخذ بحجز أهل السابقة والدين المتين خوف تهافتهم فى نار جهنم ويخاف أشد الخوف على الأمة الاسلامية من انتشارهم فى البلاد ، ولا يأخذ بحجز الذين هم دونهم بمراتب ولا يخاف أشد الخوف على الأمة الاسلامية من انتشارهم فى البلاد بل يفسح لهم بالذهاب حيث شاؤوا فهل هذا إلا قلب للاوضاع الالهية وللمعقول بين العقلاء

(الرابع) جميع الصحابة سابقين ولاحقين لهم منزلة عظيمة عنده لا يلحق شأوهم فيها غيرهم والدليل عليه أمران (الأول) تقدم أنه كان من سيرته رضى الله تعالى عنه أن لا يولى على قيادة الجيوش وأمارة الأمصار إلا صحابيا (الثانى) كان أبو بكر رضى الله عنه يسوى بين الصحابة وغيرهم فى العطاء فكان الفاروق رضى الله تعالى عنه يعارضه فى ذلك فيقول كيف تسوى بين أهل السبق للاسلام والجهاد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين غيرهم فيجيبه الصديق بأنهم تساووا فى الإسلام وسيجازى الله أهل السبق والجهاد على ذلك ، فلما دون الدواوين وجعل لكل مسلم مرتبا فى بيت مال المسلمين رتبهم بحسب القرابة من الرسول والسابقة والجهاد ، فبدأ بالعباس

ابن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه ففرض له خمسة وعشرين ألفا وقيل اثنى عشر ألفا ، ثم الأقرب فالاقرب ، ثم فرض للبدريين خمسة آلاف لكل منهم وألحق بهم أربعة الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان . ثم فرض لمن بعد البدريين إلى الحديبية أربعة آلاف لكل واحد،ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى رجوع المرتدين إلى الاسلام وحضور من حضر الايام التى قبل القادسية ثلاثة آلاف لكل واحد ، ثم فرض لأهل القادسية ولمن حضر معارك الشام ألفين ألفين ، ولاهل البلاء منهم ألفين وخمسمائة . ألفين وخمسمائة وأتى رضى الله عنه بأموال فتح مدائن كسرى فأفرغت على الانطاع فى المسجد واجتمع الصحابة فبدر إليه الحسن بن على فقال ياأمير المؤمنين أعطنى حق مما أفاء الله على المسلمين ، فقال بالرحب والكرامة وأمر له بألف درهم ، ثم بدر إليه الحسين بن على فقال يا أمير المؤمنين أعطنى حق مما أفاء الله على المسلمين فقال بالرحب والكرامة وأمر له بألف درهم ، ثم بدر إليه ابنه عبد الله فقال يا أمير المؤمنين أعطنى حق مما أفاء الله على المسلمين فقال له بالرحب والكرامة فأمر له بخمسمائة درهم فقال يا أمير المؤمنين أنا رجل مشتد أضرب بالسيف بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — والحسن والحسين طفلان يدرجان فى سكك المدينة تعطيهم ألفاً ألفاً وتعطينى خمسمائة ، قال نعم اذهب فأتينى بأب كأبيهما وأم كأمهما وجد كجدهما وجدة كجدتهما وعم كعمهما وخال كخالهما فانك لا تأتنى به أما أبوهما فعلى المرتضى وأما أمهما ففاطمة الزهراء وجدهما محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وجدتهما خديجة الكبرى وعمهما جعفر بن أبى طالب وخالهما ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجه ابن السمان فى الموافقة .

(الخامس) من اعتناء الفاروق بأهل السابقة كتابته لأهل الكوفة فى عمار لما ولاه عليهم : إنه من النجباء من أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(السادس) من اعتنائه بعموم الصحابة توليته أبا موسى الأشعرى

على البصرة بعد عزله عن الكوفة فقال له أبو موسى أعنى يا أمير المؤمنين بعدة من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم فى هذه الأمة كالملح فقال له خذ من أحببت ، فأخذ أبو موسى منهم معه تسعة وعشرين منهم عمران بن حصين وهشام بن عامر وأنس بن مالك فاطلاقه له أخذ من أحب منهم دليل على بطلان هذا الخبر عنه فلو كان صحيحاً لقال له خذ من شئت منهم من غير مهاجرى قريش .

(السابع) من اعتنائه أيضا بالصحابة توليته المغيرة بن شعبة مرة ثالثة على الكوفة بعد عزله عن البحرين ثم عن البصرة .

(الثامن) من اعتنائه بالصحابة أيضا عرضه الولاية على أبى هريرة مرة ثانية بعد عزله عن البحرين .

(التاسع) من اعتنائه بعموم رعيته وبالصحابة أيضا بعثه طائفة من علمائهم لتعليم المسلمين بالأمصار .

(العاشر) قد خرج جماعة من أعلام مهاجرى قريش للجهاد وقيادة الجيوش وولاية الأمصار . منهم الزبير وأبو عبيدة وسعد بن أبى وقاص وقدامه بن مظعون وسعيد بن زيد ولم يوقت لهم عمر ذلك باجل . فقد حضر الزبير اليرموك وفتح مصر وكانت مواقفه فيهما غررا فى تاريخ الاسلام ، وولى الفاروق أبا عبيدة قائدا عاما لجيوش الشام وبقى بها حتى مات فى طاعون عمواس ، وولى سعد بن أبى وقاص قائدا عاما لجيوش العراق ثم ولاه على الكوفة ثم عزله لما شكاه أو باشهم وأوصى من يتولى الخلافة بعده بتوليته وقدامة بن مظعون على البحرين ثم عزله بعد مدة .

(الحادى عشر) قد خرج إلى الأمصار أيضاً من مهاجرى قريش وأعلامهم للجهاد فى خلافة الصديق خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما . خالد قائداً على جيوش العراق ثم أحد قواد الشام فى خلافة الفاروق ثم عزله وتوطن حمص حتى مات بها فلو كان هذا الخبر صحيحاً لرده عمر إلى المدينة وحبسه مع إخوانه الذين يخاف على الأمة من انتشارهم

فى البلاد ، وعمرو بن العاص أحد القواد الذين ولاهم الصديق على جيوش الشام فأقره عمر ثم ولاه على مصر لما افتتحها وبقى أميراً عليها حتى مات عمر فأقره ذو النورين عليها مدة ثم عزله وولى عليها ابن أبى سرح فلو كان صحيحاً لرده عمر إلى المدينة وحجر عليه للعلة المزعومة فى الخبر .

(الثانى عشر) من التهافت والكذب الواضح فى هذا الخبر قوله (قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلا باذن واجل فشكوه فبلغه فقال إلا أنى الخ الهذيان) فالأعلام ليس فوقهم فى المنزلة إلا الذى أخذ بحلاقيمهم وحبسهم فى المدينة فلمن يشكونه للذين هم دونهم فى المنزلة والمكانة عنده ، هذا لا يعقل لأنه لا جدوى لهم فى هذه الشكوى .

(الثالث عشر) من الحكم على ضمائر القلوب والكذب على التاريخ قوله (قال الشعبى لم يمت عمر حتى ملته قريش إلى قوله فكان أحب اليهم من عمر فمن أين له أن مهاجرى قريش ملوا عمر لحبسه لهم بالمدينة . وأحبوا عثمان لتخليته لهم بالانسياح فى البلاد والتاريخ المنقول فى الأوجه السابقة وفى غيرها يكذب المنع من عمر والفسح من عثمان فلا منع ولا فسح ومحل المحبة القلب ولا يطلع على مافى هذا الاعلام الغيوب الذى يقلبها كيف شاء ولم لم يسم واضع هذا الافك فى أعيان الصحابة ولو واحداً من هؤلاء الذين منعهم الفاروق فملوه وفسح لهم عثمان فأحبوه حتى يعلمه الناس ويحققوا أمره ، ولكن الحياء من الايمان والذى نزع منه الحياء لا يبالى بما يقوله فى أنبياء الله فكيف بأصحابهم .

(الرابع عشر) من تمام هذا الافك المفضوح تاريخاً قوله وروى الطبرى بسنده (قال لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالا فى الأمصار وانقطع إليهم الناس) فقوله لم تمض سنة إلى آخر الهراء افتراء على التاريخ من ثلاثة أوجه (الأول) يدل على أن المدينة عاصمة الخلافة الاسلامية ليست صالحة لاتخاذ الأموال بها زراعة وتجارة وانما هى مركز الدين فقط . (الثانى) يدل على أنه لم يكن لهؤلاء المتخـــذين

الاموال بالامصار أموال قبل هـذا التاريخ أو كانت لهم أموال ولـكن كانوا كانزين لها فرقاً من الفاروق الذى ضيق خناقهم وكلا الامرين باطـل وكذب على التاريخ وطعن فى هؤلاء السادة بقوة شرههم فى الدنيـا وفى الفاروق نفسه بحظره لهم ما أحله الله لهم من ابتغاء فضله بالبيع والشراء (الثالث) لم يعين واضع هـذا البهتان للقراء هؤلاء المتخـذين الاموال بالامصار ولو واحداً حتى يعرض على محك التحقيق ولـكنه جرى على طريقة التلبيس والابهام المسلوكة للزنادقة الـكائدين للاسلام لانها تجوز على البسطاء والعامة فالمدينة معروفة فى التاريخ من زمن الجاهلية بأنها بلدة زراعة وتجارة يقصدها العرب كما يقصدون خيبر وخصوصاً فى شراء التمر فانها غنية بكثرة نخيلها ولا حاجة إلى سوق الشواهـد الـكثيرة على ذلك فانها مسطرة فى التاريخ ، وهؤلاء أعلام مهاجرى قريش الذين طعن فيهم هـذا الزنديق ولم يصرح بأسمائهم هم خلاصتهم العشرة المبشرون بالجنة فى حديث واحد كانوا كلهم يشتغلون فيها بالتجارة فى زمن النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم وبالزراعة وغيرها وإن كانوا متفاوتين فى كثرة اليسار وقلته فقد كان عبد الرحمن بن عوف أغنى الصحابة وبعده ذو النورين كما كانوا قائمين بوظائف الدين أكمل قيام فهم لا يريدون بها بديلا ولو أعطوا الدنيا بحـذافيرها وعلاوة على هـذا فان الاموال تجبى إليهم من الامصار من الفىء والخراج والاخماس على يد الفاروق الذى يغـدقها عليهم على مراتبهم فأى حاجة بهم إلى اتخاذها فى الامصار على انهم لو اتخـذوها فيها لا يقدح ذلك فيهم لانها كانت فى أيديهم لا فى قلوبهم فقد كانوا يواسون ذوى الارحام والمحتاجـين مواساة من لا يخشى الفقر وهى مع هـذا منهالة عليهم ، وتلك آثارهم على ذلك مسطرة فى كتب سيرهم والتاريخ الاسلامى . وقد صح فى التاريخ أن الزبير رضى الله تعالى عنه لمـا مات ترك من جملة تركته دوراً بالبصرة ومصر علاوة على دوره بالمدينة وأرضه العظيمة بها التى هى الآن صحراء قاحلة خلف جبل أحد من شماله وهى الغـابة وقد اشتراها

الزبير رضى الله عنه بسبعين ألف درهم ومائة ألف درهم . وباعها ابنه عبد الله فى تركته بألف ألف وستمائة ألف . وقد حرر شراح صحيح الامام البخارى فى باب بركة الغازى فى ماله حيا وميتا ، تركته بستين مليون درهم إلا مائتى ألف ، وكان أوصى بثلث ماله بعد قضاء دينه وكان مدينا بمليونى درهم ومائتى ألف . وروى الحميدى فى النوادر أنه أوصى إليه عثمان والمقداد وابن عوف وابن مسعود وغيرهم فكان رضى الله تعالى عنه يحفظ أموالهم وينفق على أولادهم من ماله . وزاد الزبير بن بكار . ومطيع بن الأسود وأبو العاص بن الربيع . وروى يعقوب بن سفيان أن الزبير كان له ألف مملوك يؤدون الخراج إليه فكان لا يدخل بيته منه شيئا يتصدق به كله .

(الخامس عشر) ولى عثمان رضى الله تعالى عنه سعيد بن العاص على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها فلما قدمها صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال والله لقد بعثت إليكم وإنى لكاره ولكنى لم أجد بدا إذ أمرت أن أئتمر ألا إن الفتنة قد اطلعت خطمها وعينيها ووالله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعيينى وإنى لرائد نفسى اليوم ، ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة فعرف حال أهلها فكتب إلى عثمان : إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والغالب على تلك البلاد روادف قدمت وأعراب لحقت حتى لا ينظر إلى ذى شرف وبلاء من نابتها ولا نازلتها اه) . فلو كان أعلام مهاجرى قريش هم محركى هذه الفتنة وقادتها واستخدموا لها العامة كما زعم المحاضر لما خفى ذلك على سعيد بعد أن سبرهم وهو من رجال قريش نبلا وعقلا وشجاعة وكرما ثم هو من قرابة عثمان ، ولكان صرح له فى كتابه بأن محركى هذه الفتنة هم إخوانك رؤساء المهاجرين ، وهذا الكتاب رواه ابن جرير عن سيف أيضا . وقد ذكره المحاضر بعد هذا بقليل غير شاعر بأن هذه الفتنة قد أسست للتمرد على قريش والخلفاء فى زمن الفاروق وظهر وميضها فى الكوفة فيه وشب ضرامها فى آخر خلافة عثمان وقد قررته سابقا فى بحث الخلافة مبسوطا .

(السادس عشر) روى ابن جرير أيضا عن سيف المذكور أن عثمان رضى الله عنه لما شاعت تلك الكتب التى من أهل الأمصار إلى بعضهم بعضها وإلى أهل المدينة بتحريك عبد الله بن سبأ يتظلمون من ولاتهم بعث رجالا يثق بهم باشارة الصحابه الى الأمصار وفرق رجالا أيضا عليها ليسبروا له أحوالها ، قال فرجعوا كلهم إلا عمارا وقالوا ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا الأمر أمر المسلمين ، وزعم أن عامل مصر ابن أبي سرح كتب لعثمان يقول أن عمارا قد استماله قوم بمصر منهم عبد الله بن سبأ وخالد بن ملجم وفلان وفلان أقول دل هذا الخبر مع كذبه على عمار على بطلان زعم المحاضر ان أعلام مهاجرى قريش حركوا الفتنة على عثمان واستخدموا لها العامة فى الامصار فلو كان صحيحا لكان الذين وثق بهم عثمان فى كشف حقيقة هذه الفتنة لما رجعوا اليه قالوا له إن قادة تحريك هذه الفتنة عليك هم اعلام مهاجرى قريش الذى معك فلان وفلان ولم يقولوا له ما انكرنا شيئا الخ . وقد بنى المحاضر على هذا الخبر الذى وضعه الزنادقة فى الطعن فى سادات الصحابة جميع ما يأتى من الطعن فيهم . قال فى ص : ٣١ ج ٢ (كانت عامة المسلمين حتى آخر حياة عمر لا يعرفون الاختلاف بينهم اذ أن دواعى الاختلاف كانت مفقودة واكبر داعية لنزوع الشر من العرب ان يختلف رؤساؤهم ثم لا توجد يد قوية شديدة تقف بالمختلفين عند الحد الذى لا ينبغى ان يتجاوزه . كانت روح عمر تخيف الرؤساء وذوى الرؤوس النابغة فلا يجدون سبيلا الى نزاع او شر الى ما وقر فى انفسهم من الالفة الاسلامية ومتى أمن أختلاف الكبراء فلا معنى للشقاق بين الرعية وظل العدل وارف فوق رؤسها ا هـ) . قوله كانت عامة المسلمين حتى أخر حياة عمر لا يعرفون الاختلاف بينهم ، غير صحيح فأول من سن الاختلاف والشقاق على الخلفاء وعمالهم العدول من اهل الامصار اهل الكوفة على الفاروق واول شرهم وشقاقهم طعنهم فى الصحابى الجليل

سعد بن ابى وقاص فقد ذمه وشكاه أو باش منهم لعمر وأثنى عليه جلهم فعزله عنهم فلما عبدوا طريق الشر به هان عليهم سلوكه على من بعده من الولاة فلذلك ثنوا بعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه فشكاه ايضاً طائفة منهم فيهم بعض اعيان العرب ، ثم ثلثوا بأبى موسى الاشعرى وقد طلبوه بانفسهم ، فنام عمر فى المسجد فأتاه المغيرة بن شعبة فقال ما فعلت هذا ياأمير المؤمنين الامن عظيم ، فقال واى شيء اعظم من مائة الف لا يرضون عن امير ولا يرضى عنهم أمير، وقال لخواص الصحابة ان اهل الكوفة قد عضلونى، واوصى من يتولى الخلافة بعده بأهل الكوفة ان طلبوا كل يوم عزل إمير وتولية آخر ان يفعل كما اوصى بتولية سعد بعده وقد تقدم هذا مبسوطا فهل يقول عاقل ان اختلافهم فى سعد وشكايتهم من بعده من الولاة لا يعد اختلافاً بين عامة المسلمين وانهم لا يعرفون الاختلاف وهل شذوذهم بهذا الشقاق الذى اعضلوا به الفاروق رضى الله عنه ولم يرضوا به عن امير ولم يرض عنهم أمير عن بقية امصار المسلمين الوادعة الراضية بولاتها لا يعد اختلافاً بين عامة المسلمين بالنسبة لتلك الامصار الاخرى، وبهذا ظهر فساد كلامه. وقوله وا كبر داعية لنزوع الشر بين العرب أن يختلف رؤساؤهم الى قوله عند الحد الذى لا ينبغى ان يتجاوزه ، باطل مبنى على زعمه السابق من ان الفتنة الكبرى التى قامت على عثمان حركها عليه أعلام مهاجرى قريش واستخدموا لها العامة فى الامصار الثلاث وقد ابطلته باسهاب ، وقوله كانت روح عمر تخيف الرؤساء الى آخر الهراء كذب على عمر وطعن خبيث فيه وفى سادات الصحابة مبنى على ماتقدم . اما كونه كذباً على عمر وطعناً فيه فان الله سبحانه وصفه مع جميع اخوانه الصحابة بالرحمة بينهم والشدة على الكفار واذا كانت روحه تخيف الرؤساء فهو موصوف بضد ما وصفه القرآن به فهو جبار طاغية غشوم يخاف من سطوته الرؤساء فكيف بالمرؤسين ولا شك ان هذا طعن فيه وافتراء عليه رضى الله تعالى عنه . وقد ذكر هذا المحاضر فى سيرته انه

قال مرة فى خطبته : ايها الناس ان احسنت فأعينونى وان صدفت فقومونى ، فقال له رجل من اخريات المسجد لو رأينا فيك اعواجاً لقومناك بسيوفنا فسره ذلك . وفى صحيح الامام البخارى أن أبا موسى الأشعرى جاء إلى بيت أمير المؤمنين عمر فسلم واستأذن ثلاث مرات فلم يؤذن له فانصرف وكان عمر مشغولا فخرج اليه بعد الثالثة فوجده موليا فقال له عبد الله بن قيس قال نعم قال ولم رجعت قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إذا استأذنتم ثلاثا فلم يؤذن لكم فارجعوا فقال له لتأتينى بشاهد معك على هـــذا وإلا أوجعتك فأتى أبو موسى مجلساً من مجالس الأنصار فيه أبى بن كعب فأخبرهم بقصته معه فقال له أبى بن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغرنا سنا قم يا أبا سعيد فجاء معه أبو سعيد إلى عمر فقال له أنا سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ذلك فقال أمير المؤمنين عمر تواضعاً لقد شغلنى الصفق بالأسواق عن تعلم هذا وقابله أبى ابن كعب بعد هذا فقال له يا ابن الخطاب لا تكن عذابا على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلما قالوا لك شيئا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تقول لهم ائتونى بشاهد على هذا وإلا أوجعتكم، فقال له إنما أردت أن أستثبت يا أبا المنذر . وقصة المرأة التى ردت عليه حين خطب فنهى عن المغالاة فى مهور النساء فقالت له قول الله أصدق من قولك يا ابن الخطاب ، الله أعلانا فقال ﴿ وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ﴾ وأنت تريد أن ترخصنا فقال رضى الله عنه أخطأ عمر وأصابت امرأة ، مشهورة .

وطعنه فى سادات الصحابة واضح فى قوله (فلا يجدون سبيلا إلى نزاع أو شر) وفى قوله (ومتى أمن اختلاف الكبراء فلا معنى للشقاق بين الرعية) ولا طعن فيهم أخبث من هـذا وإذا كانت نفوس رؤساء الصحابة وذوى الرؤوس النابغة منهم ميالة إلى النزاع والشر وبث الشقاق بين الرعيـة لولا روح عمر التى تكبحهم عن ذلك وتخيفهـم فهم إذاً والعياذ بالله ضد مامدحهم به القرآن ووصفهم من الأخلاق العالية وأمير الميالين لذلك مثلهم كما تكونوا

يولى عليكم سبحانك هذا بهتان عظيم . وقوله(إلى ما وقر فى أنفسهم من الالفة الاسلامية) ينقض هذا الهراء ، وإذا كانت روح عمر تخيفهم فأى رآسة لهم وعلى من يترأسون ومن رأسهم . إن هؤلاء السادة الذين يقصدهم هذا المحاضر بطعنه الكثير الخبيث كانوا سمع عمر وبصره وأحب الخلق إليه لا يستغنى عنهم كانوا كلهم رضى الله تعالى عنهم روحا واحدة ، لما هاجت الفرس بالقادسية بأمر يزدجرد وقيادة رستم خرج أمير المؤمنين عمر من المدينة حتى عسكر بصرار وبعث على مقدمته طلحة ابن عبيد الله وعلى مجنبتيه الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف، فاستشار الناس جميعاً فى المسير بنفسه إلى العراق ، فقال له العامة سر وسر بنا معك فدخل معهم فى رأيهم وقال أغدوا واستعدوا فانى سائر الا أن يجيء رأى هو أمثل من هذا ، ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأرسل إلى على بن أبى طالب وكان استخلفه على المدينة وإلى طلحة فرجع اليه وإلى عبد الرحمن والزبير فحضرا ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمده بالجنود واتفقوا على أن ذلك الرجل هو الأسد عاديا سعد بن أبى وقاص وكان على صدقات هوازن فبعث اليه عمر وولاه قيادة جيوش العراق ثم جمع عمر الناس وخطبهم فقال لهم إنى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذوو الرأى منكم وقد رأيت أن أقيم وابعث رجلا .

طعنه فى الصحابيين الجليلين

سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما

قال فى آخر ص : ٣١ ج ٢ (ولى عثمان سعد بن أبى وقاص الكوفة وكان معه عبد الله بن مسعود على الخراج فاقترض سعد من ابن مسعود مالا لأجل ولما حل الأجل جاء ابن مسعود يتقاضاه فلم يتيسر لسعد السداد فارتفع بينهما الكلام حتى استعان ابن مسعود بأناس من الرعية على استخراج

المال ، واستعان سعد بأناس على استنظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا ، يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبد الله بن مسعود ، بلغ هذا الشقاق عثمان فغضب على الرجلين فعزل سعداً عن أمارة الكوفة وأبقى ابن مسعود على الخراج اهـ) .

أقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم محفوظون وليسوا بمعصومين فصدور الذنوب منهم من التخاصم فيما بينهم وغير ذلك وإن كان جائزاً قليل منهم ، فالواجب على المتدين أن يستصحب لهم ما كانوا عليه فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان نقلت عنهم هنات فليتدبر العاقل النقل وطريقه فان ضعف رده وإن ظهر فلا يعدو كونه آحاداً وهذه لا تقدح فيما علم من عدالتهم تواتراً وشهدت به النصوص قرآنا وسنة وعليه فهذا الخبر الذى اعتمد عليه المحاضر فى هذين الصحابين الجليلين رواه ابن جرير عن سيف المشهور ، فعلى تقدير صحته يكون خبر آحاد مجردا عن العلاوة الملصقة به وهى استعانة كل واحد منهما بأناس من أهل الكوفة فمنازعتهما هذه جزئية خاصة بهما لا تتجاوز إلى الشقاق وبذر الفتنة بين العامة كما زعم وكل منهما محق فيها ، فطلب ابن مسعود لهذا الدين الذى حل أجله وهو مال المسلمين أمين عليه ظانا يسار سعد وإمكانه تسديده حق ، وامتناع سعد عن أدائه لعسره لا لمطل ، وقد أمر الله تعالى بانظار المعسر ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ حق ، فاى فتنة فى تخاصم رجلين فى حق مالى تتسرب به إلى العامة ، وعلى تقدير صحته مع العلاوة فاستعانة كل منهما باناس على دعواه دليل على فضلهما ولوم كل أناس منهما للاخر دليل على تعصب كل لصاحبه والتعصب من الجهل والجهل ليس من الدين والمروءة فى شىء فثبت به أن هؤلاء المتعصبين جميعاً من دعاة الفتنة التى أسست فى عهد الفاروق وإذا كانوا اتخذوا مخاصمة السيدين عاملا من عوامل بث فتنتهم كعادتهم من قبل فلا تبعة ولا لوم على الخيرين فى مقصدهم السىء وتحسينهما ظنهما بهم فى الاستعانة بهم على الوئام بينهما فتشغيبهم باللوم خاص

بهم عائد أثمه عليهم فلو كانوا حكماء عقلاء لوفقوا بينهما واحترموهما الاحترام اللائق بهما كما احترمهما هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وكان حاضراً منازعتهما فقال لهما (انكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليكما) ولم يتعصب لعمه، وعلموا أنهما بشر يجوز عليهما ما يجوز على البشر ، ثم ذكر المحاضر ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة بعد سعد وأنه كان محببا إلى الناس رفيقاً بهم وهو كذلك ، قال ابن الأثير بقى كذلك خمس سنين وليس لداره باب ثم شرعوا بعدها فى التشغيب عليه على عادتهم مع الولاة وليس الوليد الذى هو من مسلمة الفتح بأكرم عليهم وأعظم خطراً من اجلاء الصحابة سعد وعمار وأبي موسى وقد أهانوهم ، ولكن المحاضر تمسك برواية الطبرى الباطلة فى تبرئة الوليد من شرب الخمر .

تبرئته للوليد من شرب الخمر

ولمزه لعلي وإبطال ذلك

قال فى صفحة : ٣٢ ج ٢ (ولم يكف ذلك أولئك القوم بل صمموا على الذهاب إلى دار الخلافة وشكوى الوليد والشهادة عليه بشرب الخمر فقدم من انتدبا للشهادة على عثمان ومعهما نفر يعرفهم عثمان ممن قد عزل الوليد عن الأعمال فأخبروه الخبر فقال من يشهد فقالوا فلان وفلان فسألهما كيف رأيتما ، قالا كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو يقىء الخمر فقال عثمان ما يقىء الخمر إلا شاربها فأرسل عثمان إلى الوليد فأقدمه المدينة فأفتى على بوجوب حده فحدوه حد شارب الخمر وعزله عثمان اه) .

أقول : تشغيب هؤلاء على الولاة لم ينزع منهم صدقهم ومروءتهم العربية الإسلامية رأساً على أن المشغب على الخلفاء وولاتهم بعض أهل الكوفة فكلامه هذا الدال على أن القوم تحاملوا وافتروا عليه فى شهادتهم عليه بشرب الخمر باطل تاريخاً بوجهين (الاول) أن الوليد سكر وصلى الصبح بأهل الكوفة أربعاً ثم التفت إليهم وقال أزيدكم ، فقال له ابن مسعود

ما زلنا معك فى زيادة منذ اليوم وشهدوا عليه بذلك عند عثمان (الثانى) حيث ثبت عند أمير المؤمنين عثمان شربه للخمر بشهادة كثيرين أمر علياً بجلده فأمر على عبد الله جعفر فجلده . أخرج الامام مسلم فى صحيحه عن حضين بن المنذر أن عثمان رضى الله تعالى عنه أمر عليا بجلد الوليد ابن عقبة فأمر على عبدالله بن جعفر فجلده أربعين ، وفى صحيح الامام البخارى فى كتاب المناقب فى مناقب عثمان رضى الله تعالى عنه من روايه عبيد الله بن عدى ابن الخيار : أن عثمان أمر علياً بجلد الوليد ابن عقبة حيث ثبت عليه شرب الخمر بعدة شهود ذكر أسماءهم الحافظ ابن حجر فى فتحه وذكر أبيات الحطيئة فى ذلك . قال الحافظ بن عبد البر فى استيعابه قصة صلاته الصبح بالناس أربعاً وهو سكران مشهورة مخرجة وقصة عزله بعد أن ثبت عليه شرب الخمر مشهورة أيضا مخرجة فى الصحيحين قال وهى مشهورة منقولة برواية الثقات من أهل الحديث والأخبار . وقال فى رواية الطبرى التى اعتمد عليها الخضرى انها غير صحيحة عند أهل الحديث ولا لها عند أهل العلم أصل ، وبهذا ظهر فساد لمزه لعلى . وقوله (وأفتى على بوجوب حده) فلم يفت على ولا ذنب له فى ذلك وانما هو مأمور وثبوت هذا على الوليد لا يقدح فى عدالته والصحابة ليسوا بمعصومين فوقوع ما ينافى الكمال منهم نادر ، وإذا وقع بادروا إلى الانابة وقد شرب الخمر من لا يدانيه الوليد فى الفضيلة قدامة بن مظعون أحد المهاجرين السابقين وجماعة من فضلاء الصحابة فيهم ضرار بن الأزور فحدهم الفاروق رضى الله عنه وشربها فى زمان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نعيمان الانصارى رضى الله عنه وأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه لا يضره اقتراف عامل من عماله ذنباً صح عنه كما لا يضر الفاروق شرب أولئك الأجلاء من الصحابة لها وثبوته عن الوليد لا يحط من مقام صحبته شيئاً كما أن دفعه بالرواية الباطلة لا يزيد فيه شيئاً . ثم ذكر ولاية سعيد بن العاص بعد الوليد على الكوفة وخطبته على أهلها وكتابه إلى عثمان رضى الله تعالى عنه بحالهم وقد ذكرته فى

الوجه الخامس عشر محتجاً به على أبطاله زعمه تحريك أعلام قريش الفتنة على عثمان واستخدامهم العامة لها بالأمصار وأسهب فى تشغيبهم على هذا أيضاً وهو غير مستكثر عليهم ولا مستنكر منهم مع ما فعلوه بسلفه الوليد وما فعلوه بسعد وعمار وأبى موسى فى عهد الفاروق ، نعم عظمت فتنتهم وصار لها جيش جرار فى خلافةذى النورين وكانت نتيجة تشغيبهم على سعيد عزله عنهم وتولية أبى موسى الأشعرى عليهم بطلبهم له وهذه المرة الثانية يتولى الأشعرى عليهم والأولى طلبوه من الفاروق بدل عمار ثم شغبوا عليه وشكوه له فعزله عنهم وولى عليهم المغيرة بن شعبة . قال الحافظ ابن عبد البر كتب أهل الكوفة إلى عثمان رضى الله عنه لا حاجة لنا فى سعيدك ولا وليدك ، وقال بعض شعراء الكوفة :

فررت من الوليد إلى سعيد ... كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل عام ... أمير محدث أو مستشار
لنا نار نخوفها فنخشى ... وليس لهم فلا يخشون نار

وهذا شبيه بقول القائل منهم فى زمن الفاروق بعد وقعة القادوسية

إذا قتلنا ولا يبكى لنا أحد ... قالت قريش ألا تلك المقادير

فقد ظهر للقراء من تاريخ هذه الفئة ان القلوب التى باحت ألسنتها بما تكنه لقريش كلها فى العصرين منطوية على شر عظيم نحوهم وتحقق لهم ان هؤلاء المتمردين على الخلفاء العابثين بولاتهم قادة فتنة محنكون مستقلون بأنفسهم ليسوا بمستخدمين لأحد ، قالوا كان سعيد هذا من فصحاء قريش ورجالهم شريفاً جواداً بطلا حليما وقوراً وكان أحد الذين كتبوا المصحف بأمر عثمان ، وفتح طبرستان وجرجان لما ولى على الكوفة وكان فى جيشه كبار الصحابة وأبناؤهم ، قدم محمد بن عقيل بن أبى طالب على أبيه فقال له من أشرف الناس قال . أنا وابن أمى يعنى علياً وحسبك بسعيد بن العاص ، وقال معاوية كريمة قريش سعيد بن العاص . توفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعمره تسع سنين ومات بقصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين ، ومن محاسن

كلامه لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنىء فتهون عليه ، ومن كلامه موطنان لا اعتذر من العى فيهما إذا خاطبت جاهلا أو طلبت حاجة لنفسى .

قال المحاضر فى ٣٤ و ٣٥ ج : ٢ (وفى البصرة التى هى الحاضرة الثانية للعراق لم تكن الحال خيرا من ذلك ففى سنة ٢٩ هاج أهلها على أبى موسى الأشعرى عاملهم واستعفوا عثمان منه فعزله عنهم وولى بدله عبد الله بن عامر وكان له فى أعمال الفتوح بالكوفة أثر جيد وكانت إمارته تشمل أعمال البصرة وأعمال البحرين ولثلاث سنين من إمارته بلغه أن فى عبد القيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم لصا إذا قفلت الجيوش خنس عنهم فسعى فى أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد فى الأرض ويصيب مايشاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان فكتب إلى ابن عامر يأمره بحبس حكيم ومن كان مثله بالبصرة فلايخرجن منها حتى تأنسوا منه رشدا فكان لا يستطيع أن يخرج منها فلما قدم ذلك الرجل المسمى عبد الله بن سبأ ويكنى بابن السوداء نزل عليه وكان يلقى إلى الناس فى السر تعاليم خبيثة وأصل هذا الرجل يهودى أظهر الإسلام ليضل الناس فصار يقول لهم عجبت ممن يقول برجعة المسيح ولا يقول برجعة محمد فيقبل منه الناس ذلك ويقول لهم عجبا لكم أيها المسلمون يكون فيكم أهل بيت نبيكم ثم يقصون عن أمركم إلى ما يماثل هذا الكلام الذى يسهل قبوله لانه جاءهم من قبل تعظيم نبيهم ورفعة مقامه على سائر الأنبياء ثم ما هو قريب من ذلك من استهجان تركك آله وإقصائهم عن أمر خلافته فبلغ شىء من خبره عبد الله بن عامر فأحضره وساله من أنت ، فقال رجل من أهل الكتاب رغب فى الاسلام ورغب فى جوارك فقال مايبلغنى ذلك فاخرج عنى ، فخرج حتى أتى الكوفة فاخرج منها فسار إلى مصر وهناك وجد مهده بعد أن نفث ما نفث بالعراق اه) . قوله وفى البصرة إلى قوله فعزله عنهم وولى بدله عبد الله بن عامر صحيح وعبد الله بن عامر العبشمى ابن خال

عثمان رضى الله تعالى عنه ولد فى آخر العهد النبوى وكان جوادا شجاعا ميمونا ضم عثمان إلى عمله بالبصرة وما يتبعها فارس أيضا وكانت هذه انتقضت على المسلمين بعد موت عمر وتجمعوا لحربهم واستعدوا فغزاهم عبد الله بن عامر وفتح بلادهم كلها فتحاً جديدا ووطئهم وطأه شديدة ذلوا لها بعدها فلم تقم لهم قائمة وافتتح خراسان وسجستان وكرمان وغيرها حتى وصل إلى أطراف غزنة وقتل فى أيامه يزدجرد ملك الفرس فى بيت طحان وبهذا ظهر تقصيره فى فتوحات ابن عامر والخلل فى قوله (وكان له فى أعمال الفتوح بالكوفة أثر جيد) ثم أحرم ابن عامر بعد فراغه من هذا الفتح العظيم بعمرة من نيسابور شكراً لله تعالى وقدم بأموال عظيمة فرقها فى قريش والأنصار . وقوله (وكان حكيم رجلا لصا إلى آخر الطعن فيه) افتراء عليه بل هو رجل شريف فى قومه ، قال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب فيه : حكيم بن جبلة العبدى من عبد القيس أدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أعلم له رواية عنه ولا رؤية ، كان رجلا صالحا له دين مطاعا فى قومه بعثه عثمان رضى الله تعالى عنه إلى السند فنزلها ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال ماؤها وشل ولصها بطل وسهلها جبل إن كثر الجند بها جاعوا وإن قلوا بها ضاعوا فلم يوجه عثمان إليها أحداً حتى قتل ، ثم كان حكيم بن جبلة هذا ممن يعيب عثمان من أجل عبد الله بن عامر وغيره من عماله اهـ فعيب حكيم لعثمان من أجل عماله لا يبيح للمحاضران يقول فيه مالم يقله التاريخ الصحيح ونزول عبد الله بن سبأ عنده إن صح لا يدل على تأثره بضلاله . وقال فى ابن سبأ هذا صفحة ٣٥ أيضا (أما الأمر فى مصر فقد كان أشد مما فى العراق فان ابن سبأ لما جاءها ألقى إلى الناس تعاليمه ومن ضمنها أنه كان لله ألف نبى ولكل نبى وصى وكان على وصى محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الاوصياء ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووثب على وصيه وتناول أمر الامة ثم قال بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصى رسول

الله صلى الله عليــه وسلم فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه وابدؤا بالطعن على امرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعاته وكاتب من كان استفسد فى الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السر إلى ماعليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الامصار بكتب يضعونها فى عيب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير مايظهرون ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس إلا أهل المدينة فانه جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فاتوا عثمـــان فقالوا يا أمير المؤمنين أياتيك عن الناس الذى ياتينا فقال لا والله ما جاءنى إلا السلامة فاخبروه فأشاروا عليه أن يبعث إلى الأمصــار من يستق أخبــارها ويعلم علم ما فيها فندب لذلك رجالا سيرهم إلى الأمصار ، فسير محمد بن مسلمة إلى الكوفة،وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبدالله بن عمر إلى الشام وعمار ابن ياسر إلى مصر ، وفرق رجالا سواهم فى البلاد الأخرى فأقبل جميعهم إلا عمارا ، فقالوا ايها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم أماعمار فقد ورد إلى عثمان كتاب من عبدالله بن سعد بن أبى سرح أمير مصر يخبره أنه قد استماله قوم بمصر وانقطعوا اليه ، منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر اه) .

أقول لقد أعظم المحاضر شأن ابن سبأ هذا حتى جعله قائد زعماء الفتنة التى قامت فى وجه عثمان وهو عند من سبر التاريخ الاسلامى الصحيح أقل وأذل من هذا كله وقد قدمت أن فتنة التجنى على الخلفاء تأسست فى الكوفة فى عهد الفاروق وعظم شررها وطار إلى الأمصار بعد مضى ست سنين من خلافة عثمان والكثير من قادتها كانوا متبوعين مطاعين فى عشائرهم فليست بهم حاجة فى شبها إلى ابن سبأ فمن المحال جواز ضلالاته عليهم

وتاثيرها فى جمهورهم الأذكياء وأقصى مايقال فى هذا الضال أنه انضم إلى المشغبين على عثمان بمصر فصار من جملتهم يمكنه أن يبث سمومه لبعض الأغبياء ولادليل فى التاريخ على أن الكتب التى بثت فى الأمصار من بعضهم لبعض وللمدينة على أن مصدرها ابن سبأ بل المتعين فى مصدرهاإن صحت هم قادة الفتنة فى الأمصار من قبل هذا الشقى حتى فى مصر التى هى مستقره ويدل لهذا لفظ جميع الامصار له ماعداها ويدل له أيضا ما سياتى فى ابن أبى حذيفة أنه القائد الاعظم لهـا بمصر ، وقد أسهب المحاضر فى شانه معتمداً على رواية ابن جرير عن سيف المعروف ، وهى مشتملة إجمالا على رمى جميع العرب والصحابة وعثمان وعماله بالتغفيل وفيها من التدافع ما هو ظاهر للعاقل.فمنه قال كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء فاسلم فى زمن عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر.فاذاكان معروفا إسلامه فى زمن عثمان ونسبه وبلده عند العرب الذين هم أذكى الامم إذ ذاك فهل يعقل استقلاله بهذه الفتنة العظمى فى جميع الامصار وقد شبت من قبله وهل يعقل انخداعهم به وانقيادهم له مع حاله هذه .

وقوله تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم يدل على تنبهم له وعدم التفاتهم إليه .

وقوله فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام فاخرجوه يقتضى أنه قدر على ما يريد فى الحجاز والبصرة والكوفة وهو غير صحيح ولم لم يستقر فيها إن كان وجد مرتعاخصيبا لبث سمومه فيهاوقد أخرجته الكوفتان كما أخرجته الشام . وأما المدينة التى فيها سادة الأمة النبلاء فلا مطمع له فيها أبدا ومنه وأوسعوا الأرض إذاعة مع قوله فيقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس إلا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فكيف يقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما ابتلى هؤلاء النـاس ثم يكتب

جميعهم لأهل المدينة بما هم فيه من البلاء وكيف تأتى هذه الكتب التى تحمل البلاء من جميع الأمصار لأهل المدينة كلهم أوجلهم كما هو ظاهر إطلاقه ولم يعلم بها الخليفة عثمان حتى أتوه وقالوا له يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذى يأتينا فقال لا ، والله ما جاءنى إلا السلامة . فمن المحال والحال هذه عدم علمه بها قبل إخبارهم له بها. فان كانت هذه الكتب جاءت لأهل المدينة أو لاعيان الصحابة منهم فلم لم يسم من المكتوب إليهم ولو واحدا أو يبين كونها موقعة أو غير موقعة فان كانت موقعة فلم لم يسم أسماء موقعيها من الأمصار الثلاثة ، ولو ثلاثة أشخاص على الأقل ، ولم لم يخبر أهل المدينة الذين جاءتهم هذه الكتب من الأمصار عثمان بأسماء مرسليها وهو من تمام إخلاصهم له حيث جاءوا فأخبروه بها وأشاروا عليه بأن يبعث إلى الأمصار من يستقى له أخبارها ويعلم علم مافيها ، وإن كانت غير موقعة يعلمون من أول الأمر أنها مفتعلة مراد بها الفتنة فيبادرون على كل حال باخبار عثمان بها قبل هذا ، وإن كان مراده بأهل المدينة الذين جاءتهم هذه الكتب من الامصار أعلام مهاجرى قريش عليا وطلحة والزبير وسعدا وغيرهم على زعمه سابقا أنهم هم الذين حركوا هذه الفتنة على عثمان واستخدموا لها العامة فى الامصار (وقد أبطلته بالبراهين مفصلا) فلا يعقل إتيانهم إليه وإخباره بها وإشارتهم عليه بأن يبعث إلى الامصار من يستقى أخبارها إلا إذا كان على سبيل النفاق والغش له (وقد أعاذهم الله من ذلك) وبرأهم التاريخ المتواتر والمسلمون جميعا من ذلك . ومنه أيضا قوله وأوسعوا الارض إذاعة أى ابن السوداء وأتباعه ملأوا الامصار كلها باذاعة فتنتهم هذه فكيف يتفق هذا مع قول الذين بعثهم عثمان إلى الامصار ليسبروا أحوالها لما رجعوا إلى المدينة . أيها الناس ماأنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم فان أوسع هذا الشقى وأتباعه الامصار النائية عن مركزه إذاعة فمصر التى هى مركزه تكون كلها على مقتضى كلامه مملوءة بها من باب أولى وحينئذ كيف لم يتنبه له ابن أبى

سرح عامل مصر إلا بعد مجيء عمار منتخباً من الخليفة لسبر أحوالها هذا لا يعقل وقد كذبه التاريخ فيها وفى غيرها من الأمصار ، وكيف خيب عمار ثقة الخليفة به فخانه واستماله أو باش لا خلاق لهم ولا دين فان فرض انه خان خليفته الذى وثق به وانقلب مع الثائرين عليه فلم لم ينضم إلى القائد الأعظم لهذه الفتنة بها ابن أبى حذيفة وهو قرشى من قرابة عثمان فيكون تأثيره معه على عثمان أشد من انضمامه لابن السوداء ولم لم يستمله وينقطع إليه ابنا أبى بكر وحذيفة لمكانته فى الإسلام ومجامعته لهما فى القرشية ولا غنى لهما عنه وكيف تركا من لا خلاق له يستميله وهما البارزان المطاعان فيها هذا افتراء على عمار لا يعقل ، هذا التدافع والتخبط والطعن فى الصحابة قد استقريناه فى كل خبر يرويه ابن جرير عن سيف بن عمر المتهم بالزندقة الذى لا يروى إلا عن المجهولين .

وقال فى صحيفة ٣٦ (وكان من أشد المؤلبين على عثمان بمصر رجلان محمد بن أبى حذيفة وكان الذى دعاه إلى ذلك انه كان يتيما فى حجر عثمان فكان عثمان والى أهل بيته ومحتمل كلهم فسال محمد عثمان العمل حين ولى فقال يا بنى لو كنت رضى ثم سالتنى العمل لاستعملتك ولكن لست هناك قال فاذن لى فلأخرج فلأطلب ما يقوتنى قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله وأعطاه فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية ، والثانى محمد بن أبى بكر وقد كان من الإسلام بالمحل الذى هو به وغره أقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فاخذه عثمان من ظهره ولم يداهن فاجتمع هذا إلى هذا فصار كما يقول سالم بن عبد الله بن عمر مذمماً بعد ان كان محمداً وإنما مال إليهم عمار بن ياسر لأنه كان كذلك حاقداً على عثمان فقد قال سعيد بن المسيب انه كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبى لهب كلام فضربهما عثمان وكان قذفاً اه ،

أقول : محمد بن أبى حذيفة ولد بارض الحبشة كان أبوه من السابقين الاولين : استشهد باليمامة فضم عثمان محمداً هذا إليه ورباه فلما كبر واستخلف

عثمان استاذنه فى التوجه إلى مصر فاذن له فكان أشد الناس تأليباً عليه وصار عميد الفتنة بها. قالوا كان يكتب الكتب على ألسنة أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الطعن على عثمان وكان ياخذ الرواحل فيحضرها ثم ياخذ الرجال الذين يريد أن يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهر بيت فى الحر فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر ثم يامرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة ثم يرسلوا رسلا ليخبروا بقدومهم فيامر بتلقيهم فاذا القوا الناس قالوا لهم ليس عندنا خبر الخبر فى الكتب فيتلقاهم ابن أبى حذيفة ومعه الناس فيقول لهم الرسل عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب من أمهات المؤمنين إنا نشكو اليكم يا أهل الاسلام كذ وكذا من الطعن على عثمان فيضج أهل المسجد بالبكاء والدعاء، ولما توجه ابن أبى سرح عامل مصر إلى عثمان حين طلب عمال الأمصار ليستكشف منهم أمر هذه الفتنة العظيمة التى قامت عليه ويشاورهم استناب عليها السائب بن هشام العامرى فوثب ابن أبى حذيفة على هذا فخلعه وتأمر على مصر ولما رجع ابن أبى سرح إلى مصر منعه ابن أبى حذيفة من دخولها فرجع إلى الرملة فمكث بها حتى مات سنة ست وثلاثين . وقد جهز ابن أبى حذيفة جيش المصريين الذين ذهبوا إلى عثمان وحاصروه حتى قتلوه ثم سار اليه معاوية فى جيش كثيف قبل ذهابه إلى صفين فقتله بحيلة .

ومحمد بن أبى بكر ولد عام حجة الوداع ونشأ فى حجر على لأنه تزوج أمه بعد وفاة الصديق حضر مع على الجمل وصفين وولاه على مصر بعد قيس ابن سعد بن عبادة فجهز إليه معاوية جيشاً فقتل سنة ثمان وثلاثين ولما بلغ قتله عائشة رضى الله عنها حزنت عليه جداً وتولت تربية ولده القاسم فنشأ فى حجرها فكان من أفضل أهل زمانه وصار أحد فقهاء المدينة السبعة المشهورين . وقوله (فصار كما يقول سالم بن عبد الله بن عمر مذمماً بعد إن كان محمدا) لا فائدة فيه لقائله إن صح عنه ولا لحاكيه ولا لعثمان رضى الله تعالى عنه سوى الغيبة ومن الجائز فى قدرة القادر الحكيم إرضاء عثمان رضى

الله عنه يوم القيامة عن جميع خصمائه أهل لا إله إلا الله إلا من استحل قتله فضلا عن ابن الصديق . وقوله (وانما مال إليهم عمار بن ياسر لأنه كذلك حاقداً على عثمان) غير صحيح فقد كان راضيا عنه فقد روى أبو الزناد عن أبي هريرة أن عثمان لما حوصر ومنع الماء قال لهم عمار سبحان الله قد اشترى بئر رومة وتمنعوه ماءها خلوا سبيل الماء ثم جاء إلى علي وسأله إنفاذ الماء إليه فأمر براوية ماء ، وقد روى أيضا انه رضى الله عنه لما أنصفه بحسن الاعتذار رضى عنه . فما للمبتدعة والوضاعين ومقلديهم لا يرضون وما مثلهم فى هذا إلا كما قيل رضى الخصمان ولم يرض القاضى . وقوله (فقد قال سعيد بن المسيب الخ) لم أعثر على صحة هذا الكلام الذى وقع بين عمار وعباس بن عتبة ولا على تفصيله والمحاضر نقله من التاريخ على علاته مبهما كعادته محقبا دينه غيره فعلى تقدير صحته لا يقدح فى عدالة عمار وصحبته كما تقدم فى قصة الوليد بن عقبة ولا يلزم من ضرب عثمان له بقاؤه حاقداً عليه بعده .

طعنه فى أبى ذر

وإبطال ذلك بوجهين

قال أيضاً فى صفحة : ٣٦ و ٣٧ منه أما الحال فى الشام فقد كانت أحسن الأحوال لما عرف به معاوية من الحزم والضبط إلا أنه كان فيها حادثة استعملها أولئك الضالون فى التشنيع على عثمان وعماله وذلك أن ابن السوداء لما أتى الشام جاء أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول المال مال الله إلا أن كل شىء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ، قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ، قال فلا تقله ، قال فانى لا أقول انه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين . ثم أتى ابن السوداء أبا الدرداء . فقال له أبو الدرداء من

أنت أظنك يهوديا ، ثم أتى عبادة بن الصامت فتعلق به وأتى به معاوية فقال هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر . ثم قام أبوذر بالشام وجعل يقول يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الاغنياء وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس فكتب معاوية إلى عثمان بذلك فأمره عثمان أن يجهز اليه أبا رز فأرسله اليه فلما قدم عليه ورأى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ولما دخل على عثمان قال يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك فأخبره أنه لا ينبغى أن يقال مال الله ولا ينبغى للاغنياء أن يقتنوا مالا ، فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما على وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد وكان هذا الرأى الاشتراكى متمكناً من أبى ذر وقد وجد الخليفة أنه رأى فائل فأمر أبا ذر أن يخرج إلى الربذة فيقيم بها ويقال أن أبا ذر هو الذى طلب منه ذلك فسيره وأجرى عليه رزقاً وعلى رافع بن خديج مثله ، وقد توفى أبوذر بالربذة سنة ٣٢ وكان من السابقين إلى الاسلام أما الحال فى المدينة فقد كانت تلك الكتب التى يرسلها السبئيون سببا لكثرة الحديث فى عمال عثمان وفشو القالة حتى تأثرت بذلك نفوس الكثير منهم وفيهم من هو حاقد على عثمان لاسباب تخصه ، وقد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك بصبر) اه . أقول هذا الكلام المتعلق بقصة أبى ذر مع معاوية بالشام خبر مطول رواه ابن جرير عن سيف المعروف فى ص ٣٣٥ و٣٣٦ ج٣ من الطبعة الجديدة وقد تصرف فيه المحاضر بالحذف والزيادة ، فحذف من وسطه بعد قوله فكتب معاوية إلى عثمان بذلك ما نصه : فكتب اليه عثمان أن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذر وابعث معه دليلا وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فانما تمسك

ما استمسكت، فبعث بأبى ذر ومعه دليل فلما قدم المدينة الخ : ومن آخره بعد قوله وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد قال فتأذن لى فى الخروج فان المدينة ليست لى بدار ، فقال أو تستبدل بها إلا شرا منها ، قال امرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أخرج منها إذا بلغ البنأ سلعا قال فانفذ لما أمرك به ، قال فخرج حتى نزل الربذة فخط بها مسجدا واقطعه عثمان صرمة من الابل وأعطاه مملوكين وأرسل اليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابيا ففعل . هذا آخر الخبر وزاد فيه قوله (فامر أبا ذر أن يخرج إلى الربذة . وزاد فيه أيضا قوله وعلى رافع بن خديج مثله . وزاد عليه قوله أما الحال فى المدينة فقد كانت تلك الكتب إلى آخر الكلام وبعد فهذا الكلام المسوق للطعن فى أبى ذر رضى الله تعالى عنه، بالتغفيل والانخداع بابن سبأ ووصم المحاضر له بالاشتراكية كله باطل بوجهين :
الأول روى ابن جرير أيضا ص ٣٧٨ ج ٣ الطبعة الجديدة عن سيف ابن عمر بطل الروايات المتدافعة الطاعنة فى الصحابة رضوان الله عليهم خبراً مطولا مناقضاً لهذا يدل صراحة على أن ابن السوداء لم يستطع بث ضلاله فى الشام أصلا ونص الحاجة منه من أوله قال كان عبد الله بن سبا يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فاسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فاخرجوه حتى أتى مصر ، وقد قررته قريباً، فقد صرح سيف فى هذا الخبر الذى رواه ابن جرير عنه فى حوادث سنة خمس وثلاثين أى فى السنة التى قتل فيها عثمان بان ابن السوداء لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فاخرجوه ، وفى هذا الخبر الذى أنا بصدد نقضه الذى رواه ابن جرير أيضا عنه فى حوادث سنة ثلاثين للهجرة ص ٣٣٥ ج ٣ صرح بان ابن السوداء قدر على ما يريد عند واحد من أهل الشام وهو أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا تناقض ظاهر فى الخبرين والأول أضرب عنه المحاضر صفحا لما ذكر سابقا ما عمله ابن

سبأ فى مصر فلم يصرح به لعدم موافقته لهواه وهو الطعن فى الصحابة وصرح بهذا الثانى لموافقته لهواه .

الثانى الصحيح فى قصة أبى ذر مع معاوية ما رواه الامام البخارى فى صحيحه عن زيد بن وهب قال:مررت بالربذة فاذا بأبى ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل،قال كنت فى الشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾الخ فقال معاوية نزلت فى أهل الكتاب ، فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بينى وبينه فى ذلك كلام فكتب إلى عثمان يشكونى ، فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكثر على الناس حتى كأنهم لم يرونى قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان ، فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذى أنزلنى هذا المنزل ولو أمر على عبد حبشى لسمعت وأطعت اه .

والقول بأن الآية المتناظر فيها نزلت فى أهل الكتاب تفرد به معاوية والقول بانها نزلت فينا وفيهم قال به جمهور الصحابة قال القرطبى وهو الصحيح وعليه فالمعروف من مذهب أبى ذر رضى الله تعالى عنه الذى خالف فيه الجمهور أنه يوجب على المسلم إخراج ما زاد على قوت يومه وهـــذا المذهب مندرج تحت قواعد الشرع وغايته ترك التوسع فى المباح من المـال والاخذ منه بقدر الضرورة وهو المسمى بالعزيمة وهذا لا يعاب على من قواه الله على ذلك ووفقه بل يمدح عليه ودليله متين وهو ما أخرجه الامام البخارى فى صحيحه عنه قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياأبا ذر قلت لبيك يا رسول الله ، قال : (أرأيت جبل أحد) فظننت أنه يريد أن يرسلنى فى حاجة وقد مالت الشمس للغروب(ماأحب أن يكون لى مثله ذهبا يبيت عندى منه دينار واحد إلا دينار أرصده لاهلى) ومن أدى حق الله فى ماله ثم ترفه فيه بالاقتناء والتوسعة على نفسه وعلى أهله فهوآخذ بما أبيح له شرعا غير ملوم ، وعلى مذهبه هذا فى الزهد فى الدنيـا وشدة التقشف طائفة من أجلاء الصحابة منهم عمر وعلي وأبو عبيدة وسلمان رضى الله تعالى عنهم .

وقد ورد فى فضل أبى ذر رضى الله تعالى عنه أحاديث كثيرة من أشهرها ما رواه الامام أحمد والترمذى وابن ماجه والطبرانى بسند جيد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين امرأ أصدق لهجة من أبى ذر) . وله شاهد أخرجه العسكرى عن أبى الدرداء بلفظ (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر) وأخرج أبو داود بسند جيد عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال فيه :وعاء ملىء علما ثم اوكىء عليه ، قالوا كان يوازى ابن مسعود فى العلم ولم يشهد بدرا ولكن الفاروق ألحقه بالبدريين فى العطاء وعلى هذا فمن الجهل والوقاحة لمزه بالاشتراكية والتمكن فيها فى قوله (وكان هذا الرأى الاشتراكى متمكنا من أبى ذر) ، والذى يحاول تحليل الربا وما تأخذه البنوك من الارباح كما رد عليه بذلك الشيخ إبراهيم السمنودى المنصورى برسالة سماها سيف أهل العدل على نحر من نازعوا فى زماننا فى تحليل ربا القرض والفضل ومحصلها أن هذا المحاضر وعبد العزيز جاويش وإسماعيل خليل المحامى قاموا يخطبون فى دار العلوم أمام جمهور من الناس حاولوا فى خطبهم تحليل الربا بتمويهات لا يستغرب منه اطلاق الاشتراكية التى هى صفة الاباحية الملاحدة على عظيم من عظماء أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله : أما الحال فى المدينة فقد كانت تلك الكتب التى يرسلها السبئيون سببا لكثرة الحديث فى عمال عثمان وفشو القالة إلى آخر الهراء غير صحيح فلا دليل فى التاريخ يدل على ثبوت اتيانها لاهل المدينة من زعماء الفتنة بالامصار فضلا عن كونها من السبئيين ، وتأثر نفوس كثير منهم بها مفرع عن ثبوت اتيانها اليهم واتيانها اليهم غير ثابت ، وقد التزم المحاضر دائما ركوب جادة الابهام والتدليس التى سنها الوضاعون الكائدون للاسلام مستسمنا لها قال (حتى تأثرت بذلك نفوس الكثير منهم) (وفيهم من هو حاقد على عثمان لاسباب تخصه) و(قد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك بصبر) ألا سمي ولو واجدا من هذا الكثير الذين تاثرت

نفوسهم بتلك الكتب إن كانت صحيحة ، ألا سمى ولو واحدا من هؤلاء الحاقدين على عثمان لأسباب تخصهم إن كان الأمر صحيحاً .. ألا سمى ولو واحداً من هذا البعض الذى واجه عثمان بما يسوءه من الكلام حتى يبحث فى نقله بحثاً علمياً .

ثم ذكر المحاضر سبعة أمور نقمها الثائرون على عثمان رضى الله تعالى عنه وهى أكثر من هذه فقد ذكر محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة فى مناقب العشرة) فى مناقبه رضى الله تعالى عنه تسعة عشر خصلة وأجاب عنها كلها جواباً شافياً ، والكثير منها مختلق عليه . ثم قال (وأحسن ما يقال فى الجواب عن جميع ما ذكر دعاة أهل البدع أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخبر عن وقوع فتنة عثمان وأخبر أنه على الحق على ما تضمنه حديث كعب بن عجرة وفى رواية أنه على الهدى. خرجه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وأخبر أنه يقتل ظلما على ما تضمنه حديث ابن عمر من حديث الترمذى والبغوى وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه عند ثوران الفتنة على ما تضمنه حديث مرة بن كعب من حديث أبى حاتم وأحمد ومن شهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه على الحق وانه يقتل ظلما وأمر باتباعه كيف يتطرق إلى الوهم انه على باطل ثم قد ورد فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخبره أن الله تعالى يقمصه بقميص وأن المنافقين يريدونه على خلعه وأمره ألا يخلعه وأكد عليه الآمر بألا يخلعه ، وفى بعض الطرق انه توعد على خلعه وأمره بالصبر فامتثل أمره وصبر على ما ابتلى به وهذا من أدل دليل انه كان على الحق وما ذا بعد الحق إلا الضلال فمن خالفه يكون على الباطل كيف وقد وصف صلى الله تعالى عليه وسلم الذين أرادوا خلعه بالنفاق فعلم بالضرورة أن كل ما روى عنه مما يوجب الطعن عليه دائر بين مفترى عليه ومختلق وبين محمول على تقدير صحته على أحسن التأويلات ليكون معه على الحق تصديقاً لخبر النبوة المقطوع بصدقه اه) .

ثم قال المحاضر بعد ذكره جواب عثمان عن السبعة الأمور ، (فا كتفى عثمان بهذا الدفاع عن نفسه ولم يفعل شيئا مع ذلك الوفد بل أعادهم إلى أمصارهم اه) . أقول أى شىء يفعله معهم أكثر من إجابتهم عن مسائلهم التى زعموا أنه جار فيها وهم جمهور من الناس وراءهم فى الأمصار الثلاثة مئون يؤيدونهم على ضلالهم ولو كان الفاروق بدله ما زاد على هذا وقد أعضله طائفة من أهل الكوفة حين كانوا وحدهم قائمين بالتشغيب على الخلفاء من أجل عمالهم واتضح له افتراء تلك الشرذمة منهم على سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه ولم يؤدبهم خشية تاثر قلوب عشائرهم والموالين لهم على قريش فيزداد تشغيبهم عليها انتشارا فى القبائل بل اكتفى بعزل سعد عنهم ورضى باسقاط حق نيلهم من عرضه الشريف.لذلك قال لسعد (هكذا الظن بك يا أبا اسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا) فاى احتياط غير توقعه رضى الله عنه توسع هذه الفتنة التى ظهر له وبيصها فى أخيه سعد مع أنها إذ ذاك كانت ضئيلة محصورة فى الكوفة فاذا كان رضى الله عنه معذورا فى تركه تاديب تلك الشرذمة التى تبين له سبيلها فعثمان رضى الله تعالى عنه يكون أعذر منه فى تركه تأديب جمهور من الناس وراءهم ألوف فى الامصار الثلاثة ، وبهذا ظهر فساد كلامه هذا . ثم ذكر فى ص : ٤٠ ج ٢ خروج أهل مصر إلى عثمان وعددهم مابين الستمائة والالف وخروج أهل الكوفة فى مثل عددهم وأهل البصرة كذلك ثم قال (وكانت أهواء أهل الامصار الثلاثة مختلفة فاهل البصرة كانوا يريدون طلحة لأن ضياعه كانت ببلدهم ، وأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير ، وأهل مصر كانوا يريدون عليا لتعاليم ابن السوداء ووجود ابن أبى بكر وهو ربيب على وابن أبى حذيفة بينهم اه) قوله فاهل البصرة كانوا يريدون طلحة لان ضياعه كانت ببلدهم غير صحيح فلو كانوا كلهم يريدونه ما افترقوا لما جاءهم هو والزبير وعائشة على ثلاث فرق فرقة انضمت اليهم وفرقة حاربتهم وفرقة اعتزلت الجميع ، ولو كان أهل الكوفة كلهم يريدون الزبير لبادروا

اليه للوصل الى العراق مع طلحة وعائشة قبل على ولما نهضوا كلهم مع أمير المؤمنين على ونصروه ، ولو كان المصريون كلهم يريدون عليا ما انقسموا أيضا الى فرقتين.فرقة وهم الاكثرون انضموا الى جماعة المسلمين وبايعوه وفرقة امتنعت من بيعته . فقوله لتعاليم ابن السوداء ووجود ابن أبي بكر وهو ربيب على وابن أبي حذيفة بينهم فاسد لان تعاليم ابن السوداء التى ملأ بها الارض كلها اذاعة (كما زعم سابقا) كافية فى أضلال المصريين كلهم واتفاقهم على بيعة على لاتحتاج الى انضمام ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر اليه فى التشغيب فانقسامهم الى فرقتين دل على أن ابن السوداء هذا أقل وأذل من أن يؤثر ضلاله فى العرب العادية كما تقدم . وابن أبي حذيفة الذى هو القائد الاعظم لهذه الفتنة وابن أبي بكر ما كانا يدعوان المصريين لموالاة على وبغض عثمان . وانما كان منهما مجرد التشغيب على عثمان وتبغيضه لهم وأول تكلمهما فى عثمان سنة احدى وثلاثين فى غزوة الصوارى ، أظهرا عيبه وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر ويقولان استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوما أدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر ففسد الناس بقولهما وتكلموا مالم يكونوا ينطقون به . زاد ابن جرير عن ابن أبي حذيفة فجعل يقول للرجل منهم أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا.فيقول الرجل وأى جهاد فيقول عثمان بن عفان فعل كذا وكذا وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس فقدموا بلدهم وقد أفسدهم فأظهرا من القول مالم يكونوا ينطقون به ، وهذه كتب التاريخ ناطقة بذلك مع كون هذا أقرب إلى عثمان من على وكون ابن أبي بكر ربيب على لايلزم منه دعوتهم إلى على ومن فهم منه هذا فقد افترى عليه وعلى حيدرة وعلى التاريخ الاسلامى .

جهله لتاريخ مجيىء الثوار للمدينة

وحصارهم لعثمان وتحامله على على وإيضاح ذلك

قال فى ص ٤٠ و ٤١ (ولما كانوا من المدينة على ثلاثة تقدم ناس من أهل البصره فنزلوا ذا خشب وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص وجاءهم هناك ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذى المروة وينظروا هل وصل المدينة خبرهم لأنهم كانوا يخافون أن يستعد لهم أهل المدينة بحرب فأرسلوا لذلك رجلين فلما دخلا المدينة كلما عليا وطلحه والزبير وقالا إنما نأتم هذا البيت ونستعفى هذا الوالى من بعض عمالنا ماجئنا إلا لذلك واستأذناهم للناس بالدخول فكلهم أبى ذلك عليهما فرجع الرائدان إلى قومهما وأخبراهم الخبر فاجتمع من أهل مصر نفر أتوا عليا ، ومن أهل البصرة نفر أتوا طلحة ومن أهل الكوفة نفر أتوا الزبير ، فسلم المصريون على على وعرضوا له بالأمر فرد عليهم رداً شديداً . وكذلك فعل طلحة والزبير بمن جاءهم فخرج القوم وأروهم انهم راجعون حتى انتهوا إلى عساكرهم وهى على ثلاث مراحل كى يفترق أهل المدينة ثم يكروا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم فبغتوهم فلم يفجا أهل المدينة إلا والتكبير فى نواحيها فنزلوا مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن فلزم الناس بيوتهم فأتاهم على فكلمهم وقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رايكم ، فقال المصريون أخذنا مع البريد كتابا بقتلنا ، وقال الكوفيون والبصريون جئنا ننصر اخواننا كأنما كانوا على ميعاد . فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا. هذا والله أمر أبرم بالمدينة قالوا فضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا ، ثم قالوا لعلى ان الله قد أحل لنا دم هذا الرجل قم معنا اليه قال والله لا أقوم معكم الى أن قالوا فلم كتبت الينا ، فقال على والله ما كتبت لكم كتابا فنظر بعضهم الى بعض

(تأملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس) ثم تركهم على وخرج من المدينة ، ثم دخلوا بالكتاب على عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا ، فقال انما هما اثنتان أن تقيموا على رجلين من المسلمين أو يمينى بالله لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم فقالوا قد والله أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق فتركهم عثمان وكان القوم يحاولون منه أن يخلع نفسه من الخلافة وهو يأبى وكان لا يزال يصلى بهم ثم منعوه من الصلاة فى المسجد وحصروه فى داره اه) .

أقول : قد طمس وحذف بعض الحقائق من تاريخ فتنة الخوارج مع أعلام الصحابة وعثمان فى مجيئهم اليه وحصارهم له وتحامل على على رضى الله تعالى عنه وقد كان عليه أن يوضحها ولا يخل بشىء منها وأنا أنقل بعضاً من التاريخ الذى تركه من كامل ابن الأثير ، فقوله (فسلم المصريون على على إلى قوله فخرج القوم وأروهم) فيه طمس واسقاط لبعض الكلام ، قال ابن الأثير : (فأتى المصريون علياً وهو فى عسكر عند أحجار الزيت متقلداً سيفه وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع اليه ، فسلموا عليه وعرضوا عليه (أى الخلافة) فصاح بهم وطردهم وقال لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وجيش ذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرفوا عنه ، وأتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنيه إلى عثمان ، وأتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك وكان قد أرسل ابنه عبد الله إلى عثمان . وفى قوله (فأتاهم على فكلمهم وقال ماردكم بعد ذهابكم الخ) نقص فى الكلام قال ابن الأثير : وأتاهم أهل المدينة وفيهم على فقال لهم ماردكم بعد ذهابكم فقالوا أخذنا مع بريد كتابا بقتلنا ، وأتى طلحة الكوفيين فسألهم عن عودهم فقالوا مثل ذلك ، وأتى الزبير البصريين فقالوا مثل ذلك ، وكل منهم يقول نحن نمنع اخواننا وننصرهم كأنما كانوا على ميعاد . فقال لهم على كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل

البصرة إلى قوله ليعتزلنا وقوله (ثم قالوا لعلى إن الله قد أحل لنادم هذا الرجل قم معنا اليه قال والله لا أقوم معكم) من زيادته لم أقف عليه وعلى كل حال هو مختلق وكيف يقولون له أن الله قد أباح لهم دم ابن عمه فيسكت ولا يجيبهم كانه راض بقولهم وهو البهمة المنطيق ويستحيل أن يقول لهم والله لا أقوم معكم لو صح كلامهم هذا ، وقوله (إلى أن قالوا فلم كتبت الينا فقال على والله ما كتبت لكم كتابا فنظر بعضهم إلى بعض (تاملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس) . طمس أيضا للتاريخ وخيانة فيه وتحامل على على تقليداً لرواية ابن جرير ، قال ابن كثير فى بدايته وذكر ابن جرير. أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يامرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه ،وهذا كذب على الصحابة وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ،كما كتبوا من جهة على وطلحة والزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها.وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضاً فانه لم يامر به ولم يعلم به أيضا اه.قلت وبهذا علم جهله للتاريخ وخيانته وتبين فساد قوله بين قوسين(تاملوا كيف استعمل المفسدون اسمه ليهيجوا الناس) ، واذا كان الخوارج قد زوروا كتبا على لسان أعيان الصحابة ومنهم أمهات المؤمنين وقد تقدمت قصة تزوير ابن أبى حذيفة عليهن فاى ذنب عليهم جميعاً فى ذلك . وأى ذنب على على وحده حتى خصه بهذا الهراء فكلامه هذا علاوة على ما ذكرنا فيه نصب محض . وقوله فنظر بعضهم الى بعض يدل على أن الثائرين على عثمان قسمان : خادعون وهم رؤساء الفتنة الذين زوروا الكتب على لسان على وغيره من الصحابة ، ومرءوسون مخدعون قرئت عليهم تلك الكتب المزورة على لسان الصحابة فلما حلف على أنه ما كتب لهم تحير المخدعون فيه كيف يكتب لهم ويحلف أنه ما كتب لهم وربما غلب على ظنهم صدقه فى يمينه لذلك نظر بعضهم الى بعض ولذلك عقبوا نظرهم كما ذكر ابن جرير بقولهم ، ألهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون ، وقول ابن كثير (وهكذا زور هذا الكتاب على عثمان أيضا

فانه لم يامر به ، ولم يعلم به أيضا) أشارة الى الكتاب الذى قال المصريون أنهم وجدوه بعد انصرافهم عن المدينة راجعين الى بلادهم مع البريد.فيه الأمر بقتلهم وقد طمس المحاضر كاتبه على لسان عثمان أيضاً فلم يعينه لكونه من مسلمة الفتح المقدسين عنده أعظم من الصحابة وهو مروان كما ذكر التاريخ قال ابن كثير فى بدايته ، (وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه باسانيده أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد الى مصر فيه الأمر بقتل بعضهم وصلب بعضهم وبقطع أيدى بعضهم وأرجلهم وكان قد كتبه مروان ابن الحكم على لسان عثمان متأولا قوله تعالى ﴿ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه من جملة المفسدين فى الارض ولا شك انهم كذلك لكن لم يكن له أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ويزور على خطه وخاتمه ويبعث غلامه على بعيره بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين على تأمير محمد بن أبى بكر على مصر بخلاف ذلك كله اه) .

ويمكن تزوير الثائرين له على لسان عثمان ويحتمله جوابهم للصحابة ولعلى رضى الله تعالى عنهم لما قال لهم هذا والله أمر أبرم بالمدينة فقالوا (فضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل) . وجزم به المعلق على كتاب العواصم والقواصم قائلا ، أيها المسلمون فى هذا العصر وفى كل عصر إن الايدى المجرمة التى زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة وعلى وطلحة والزبير هى التى زورت الرسالة المزعومة على لسان أمير المؤمنين عثمان الى عامله فى مصر فى الوقت الذى كان يعلم فيه انه لم يكن له عامل فى مصر اه) . وأنا موافق له على تزوير الخوارج الكتب على لسان أعيان الصحابة وأمهات المؤمنين جميعا لا عائشة فقط كما جاء فى التاريخ وقد تقدم تزوير بن أبى حذيفة الكتب عليهن رضى الله تعالى عنهن ولكن جزمه بتزويرهم الكتاب

عليه الى عامله فى الوقت الذى كان يعلم فيه انه لم يكن له عامل فى مصر ، فيه نظر وذلك لانه اذا كان يعلم انه لا عامل له فى مصر فلا حاجة له فى اجابتهم عن هذا الكتاب بمحضر جماعة من أعيان الصحابة ، لما قالوا له الكتاب عليه خاتمك بقوله أن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا فانه مع غلامك وعلى جملك فقال والله لم أشعر بشىء من ذلك فحلف لهم بالله العظيم وهو الصادق البار الرشيد انه ماكتبه ولا أملاه على من كتبه ولا علم به . لا حاجة له الى هذا كله لانه يكفيه أن يقول لهم . أنتم تعلمون أنه لا عامل لى الآن بمصر فلمن اكتب ، ويكون هذا الجواب أيضا على القول بأن مروان هو الذى كتبه على لسانه لانه من المحال علم الخليفة بانه لا عامل له اذ ذاك فى مصر وجهل ابن عمه وبطانته الخاص به مروان ذلك فتكون نتيجة كتابة هذا الكتاب على مقتضى علم عثمان بما ذكر على كلا القولين العبث والعبث لايحتاج إلى ذلك الجواب الطويل العريض منه رضى الله عنه قال المعلق (ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلى صادرا عن عثمان أو مروان أو أى إنسان يتصل بهما لأنه لا مصلحة لهما فى تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله) نعم لا يعقل صدوره من عثمان رضى الله تعالى عنه ، اما مروان فيعقل صدوره منه والمصلحة له فيه اعتقاده طاعة أكثرية المصريين لعثمان وهؤلاء الخوارج أقلية يمكن الأمير أن ينفذ فيهم هذا العقاب بسهولة لأن الأكثرية معه تؤيده على ذلك . وقد كتب عثمان رضى الله تعالى عنه فى السنة التى قتل فيها إلى ولاة الأمصار الثلاثة عبد الله بن عامر أمير البصرة ومعاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن أبى سرح أن يقدموا عليه فقدموا فوعظهم وشاورهم فى شأن هذه الفتنة الذائعة وكان ابن أبى سرح عامل مصر قد استناب عنه ابن عمه السائب بن هشام العامرى وقيل عقبة بن عامر ، فوثب ابن أبى حذيفة على نائبه فغلبه واستولى عليها وجهز جيشا من الثائرين إلى عثمان ففى ذهابهم إلى المدينة كان ابن أبى سرح قد رجع الى عمله فلما وصل الى حدودها

منعه ابن أبي حذيفة من دخولها فمضى الى عسقلان وقيل الى الرملة فمكث بها حتى مات.وعلى هذا من أين علم عثمان أنه لا عامل له بمصر ومدة وفادة ابن أبي سرح عليه واستنابته وتغلب ابن أبي حذيفة وبعثه ذلك الجيش لعثمان ورجوع ابن أبي سرح لعمله وجيزة ، ولم ينقل التاريخ أن عثمان رضى الله عنه علم بأنه لاعامل له فى مصر وقت مجيء الثوار إليه منها ولو نقل ذلك لكفاه فى الاحتجاج فى دفع ذلك الكتاب المزور عليه وإن جاز تزوير الثوار على خط عثمان وخاتمه ، وباختلاس جمله فغلامه لا يمكنهم تسخيره والتزوير به ولو تناهى فى الغباوة ، وعلى إمكانه بالغلام أيضا إن كان هو الحامل له أما إن كان الحامل لهذا الكتاب أبا الأعور السلمى كما قال ابن كثير فى بدايته (وروى ابن جرير من طريق محمد بن اسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار : أن الذى كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمى على جمل لعثمان) فلا يعقل تزوير الخوارج له به بل يتعين أن يكون المزور له مروان لأن أبا الأعور حليف بنى أمية فهو من أنصار عثمان جزما وقد كان من قواد معاوية بصفين وقوله (ثم تركهم على وخرج من المدينة) كذب لم يخرج على من المدينه إذ ذاك وذكر ابن الأثير كلاما كثيرا فى هذه القصة ملخصه : أن عثمان جاء إلى على فى بيته لما نزل المصريون ذا خشب فطلب منه أن يردهم عنه فقال على على أى شيء أردهم عنك قال على أن أصير إلى ماأشرت اليه ورأيته لى فقال على إنى قد كلمتك مرة بعد أخرى فكل ذلك نخرج ونقول ثم ترجع عنه وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد فانك أطعتهم وعصيتنى قال عثمان فانا أعصيهم وأطيعك فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصار ثلاثون رجلا فأتوا المصريين فكلموهم وكان الذى يكلمهم على ومحمد ابن مسلمة فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر ورجع على ومن معه إلى المدينة فدخل على عثمان فأخبره برجوعهم ثم خرج من عنده فمكث عثمان ذلك اليوم وجاءه مروان بكرة الغد فقال له تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر

قد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ويأتيك ما لا تستطيع دفعه ففعل عثمان وخطب الناس فقال له عمرو بن العاص اتق الله ياعثمان فانك قد ركبت أموراً ركبناها معك فتب إلى الله نتب ونودى من ناحية أخرى تب إلى الله فرفع يديه وقال اللهم انى أول تائب ، وذكر أيضاً كلاماً كثيراً مضمونه أن علياً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم الى عثمان قال له تكلم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليك فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن أن يجيء ركب آخر من الكوفة والبصرة فتقول يا على اركب اليهم فان لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك واستخففت بحقك ، فخرج عثمان فخطب وأعطى الناس من نفسه التوبة وقال لهم اذا نزلت فليأتنى أشرافكم فليروا فى رأيهم الى أن قال فيها فوالله لأعطينكم الرضا ولأنحين مروان وذويه ولا أحتجب عنكم فرق الناس وبكوا وبكى هو أيضاً فلما نزل وجد مروان وسعيدا ونفرا من بنى أمية فى منزله لم يحضروا خطبته وأن مروان استأذنه فى الكلام فقالت له نائلة امرأة عثمان لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه انه قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها فزجرها مروان ونال من أبيها فأجابته فاستأذن عثمان فى فى الكلام فأذن له فلامه على خطبته وقال له قد اجتمع بالباب أمثال الجبال من الناس فقال عثمان فأخرج اليهم فكلمهم فانى أستحيى أن أكلمهم فخرج فشتمهم وقال جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فإنا والله ما نحن بمغلوبين على مافى أيدينا فرجع الناس وأخبر على بهذا فقال لعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أحضرت خطبة عثمان قال نعم قال أفحضرت مقالة مروان للناس قال نعم فقال على أى عباد الله يا للمسلمين إنى إن قعدت فى بيتى قال لى تركتنى وقرابتى وحقى وان تكلمت فجاء ما يريد يسوقه مروان حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقام مغضبا فدخل على عثمان فقال له أما رضيت من

مروان ولارضى منك الا بتحرفك عن دينك وعقلك والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولانفسه وأيم الله انى لأراه يوردك ولا يصدرك وما أناعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك أذهبت شرفتك وغلبت على رأيك ، فدخلت عليه امرأته نائلة بعد ماخرج على فقالت قد سمعت قول على لك وليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء ، قال فما أصنع ، قالت تتقى الله وتتبع سنة صاحبيك فانك متى أطعت مروان قتلك وليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولامحبة وانما تركك الناس لمكانه فأرسل الى على فاستصلحه فان له قرابة وهو لايعصى ، فارسل عثمان الى على فلم ياته وقال قد أعلمته أنى غير عائد ، فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجلس بين يدى عثمان فقال يا ابنة الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فاسود وجهك فهى والله أنصح لى فكف مروان ، وأتى عثمان الى على بمنزله ليلا وقال له انى غير عائد وانى فاعل ، فقال له على بعدما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك فخرج مروان الى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم فخرج عثمان من عنده وهو يقول خذلتنى وجرأت الناس على ، فقال على والله انى لأكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت بشىء أظنه لك رضا جاء مروان باخرى فسمعت قوله وتركت قولى اه . فهذا التاريخ الذى سقته عن ابن الأثير كله يدل على مدافعة الصحابة عن عثمان رضى الله تعالى عنه وعنهم فى هذه الفتنة وخصوصا طلحة والزبير وعليا وخصوصا هذا ، ومروان يريدها استعارا .

افتراؤه على عثمان وتمسكه فى لمز على

بالأباطيل وحكمه على ضمائر الصحابة

قال فى صفحة ٤١ و٤٢ ج ٢ (وكان عثمان بدون ريب يفكر وهو محصور ان على بن أبى طالب لم يفعل مايمكنه لرد هؤلاء الناس فكانت بينهما المراسلات يطلب اليه فيها أن يجتهد فى تخفيف هذا الحصار عنه ومن

ذلك ماروواه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل ان عثمان كتب الى على وهو محصور (أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وبلغ الآمر أشده ثم تمثل بهذا البيت :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل ... والا فأدركنى ولما أمزق

وكانت حاشية عثمان من بنى أمية ترى أن لعلى ضلعاً فى هذا الأمر فكانت الوجوه تتقابل عابسة وتبدى عما فى القلوب العيون فلم يكن هناك سبيل لعمل صالح فى مصلحة المسلمين وقد أدت الحال الى أن ترك على المدينة رأساً فى هذه الفتنة التى نظن أنه لم يكن فى امكانه قمعها الا أنه كان هناك شىء واحد فى هذا الوقت الحرج وهو تناسى كل مافى النفوس لأن الأمر كان أعظم من أن يذكر كل فريق عيب صاحبه ولا يغيب عن الفكر أن رؤوس المسلمين لو كانت متفقة تماماً لأمكنهم أن يقاوموا هذا السيل الذى أقبل عليهم ولكن القلوب كانت قد انصدعت ألفتها فغلب السفهاء على الأمر وفعلوا مافعلوا ، لو كان هناك نظر بعيد لرؤوس المسلمين الذين كانوا بالمدينة وفيهم القواد العظام والأئمة الاعلام لما كان لسفهاء الأمصار مهما كثر عددهم أن ينفذوا رغبتهم التى فرقت كلمة المسلمين اه) .

أقول قد تقرر عند العلماء قاطبة ان التاريخ نقل محض لا يبنى على النظريات العقلية والاباطيل والهوى ، وانما يبنى مطلقاً على الروايات الموثوق بها فالجارى فى تأليفه أو تقريره على واحدة من الثلاث أو على جميعها ليس من علم التاريخ فى شىء لأنه فى واد والتاريخ فى واد آخر وهذا المحاضر لم يكتب من أول محاضراته الى آخر مايتعلق بالصحابة فيها التاريخ الموثوق به وانما كتب هواه والأباطيل وتخيلاته الفاسدة وزاد عليها بجرأته الحكم على ضمائر الصحابة التى لا يطلع عليها إلا علام الغيوب وقد تقدم له هذا فى عدة مواضع وقد حكم هنا أيضا على قلب عثمان وافترى عليه وعلى حيدرة فى قوله (وكان عثمان بدون ريب يفكر الى قوله ومن ذلك ماروواه أبو العباس) ولم يكتف بمجرد جرأته فى حكمه على ضمير ذى النورين بل

بالغ فجزم به بقوله.وكان عثمان بدون ريب يفكر الخ الهراء لبغضه لعلى الذى أصمه وأعماه وجعله يتخبط فى دياجير جهله وهواه ، ولقد رمى عثمان رضى الله عنه بهذا الافتراء بالخور وضعف اليقين والثقة بالله فجعله لا يفكر مدة الحصار الا فى كون على لم يفعل مايمكنه لرد هؤلاء الناس عنه وقد تحقق رضى الله تعالى عنه أنه مقتول بخبر الذى لا ينطق عن الهوى له بذلك وتبشيره له بالجنة على بلوى تصيبه وانه شهيد كما فى الأحاديث الصحيحة المستفيضة ولذلك صبر واستسلم لقضاء الله المبرم وعزم على الصحابة جميعاً أن يكفوا أيديهم ويلزموا بيوتهم كراهة أن تهراق دماء المسلمين فى بلد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسببه.والتاريخ الاسلامى الذى نبذه المحاضر ومشى على هواه مستفيض بهذا ، وقد جاءه زيد بن ثابت فقال ان هؤلاء الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله (مرتين) فقال عثمان لا حاجة لى فى ذلك كفوا ، وقال له أبو هريرة اليوم طاب الضرب معك ، قال عزمت عليك لتخرجن ، وكان الحسن بن على آخر من خرج من عنده فانه جاءه مع أخيه الحسين وابن عمر وابن الزبير ومروان فعزم عليهم فى وضع سلاحهم وخروجهم ولزوم بيوتهم ، فقال له ابن الزبير ومروان نحن نعزم على أنفسنا لا نبرح ففتح عثمان بنفسه الباب ودخلوا عليه فى أصح الأقوال فقتلوه ، وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال كنت مع عثمان فى الدار فقال اعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه ثم قال قم ياابن عمر — وعلى ابن عمر سيفه متقلداً به — فأخبر به الناس . وقد ترقى فزاد على هذا الافتراء على عثمان وحيدرة بأن المراسلات (فى مدة الحصار) كانت جارية بينهما يطلب الاول فيها من الثانى أن يجتهد فى تخفيف هذا الحصار عنه وهذه المراسلات الكثيرة التى عبر عنها بصيغة الجمع مفتعلة لا وجود لها فى تاريخ الاسلام حتى فى كتابى ابن جرير الذى هو عمدته وابن الأثير مع وجود كثير من الأباطيل المتعلقة بالصحابة فيهما فهى من

وحى أستاذه الذى لقنه النصب لعلى والحقيقة انه لم يكن فى جراب بهتانه شىء من هذه المراسلات إلا ما عبر عنه بمن التبعيضية (ومن ذلك ماروواه ابو العباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل الخ الهراء) وهذا الكتاب الذى ذكره المبرد موضوع لا أصل له نص عليه الحافظ أبو بكر بن العربى فى كتابه العواصم من القواصم ولقد هزل علم الرواية والتاريخ عند من يزعم انه يهذبه وإنما هو مخربه ، ترك السهل التناول الذى دل على ان علياً رضى الله تعالى عنه أشد الصحابة مدافعة عن عثمان رضى الله عنهما وذهب يتسكع فى كتاب نحوى لاناقة له فى علم الرواية ولا جمل محاولا نطح صرح مجد على بالباطل . قال ابن الأثير فى كامله فى محاورة طويلة جرت بين الثوار وبين عثمان رضى الله تعالى عنه فان الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون لتمسكك بالامارة فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن بن على وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباهاً لهم فلما مضت ثمان عشرة ليلة من حصارهم له قدم ركبان من الأمصار فأخبروا بخبر من تهيأ اليهم من الجنود وشجعوا الناس فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شىء حتى الماء فأرسل عثمان إلى على سرا وإلى طلحة والزبير وأزواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم. انهم قد منعونى الماء فان قدرتم أن ترسلوا الينا ماء فافعلوا فكان أولهم إجابة على وأم حبيبة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء على فى الغلس فقال يا أيها الناس ان الذى تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى ، فقالوا لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامته بأنى قد نهضت ورجعت . وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على إداوة فضربوا وجه بغلتها ، فقالت ان وصايا بنى أمية عند هذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال الأيتام والأرامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت

تسقط عنها فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها ، وبلغ طلحة والزبير مالقى على وأم حبيبة فلزموا بيوتهم ، وبقى عثمان يسقيه آل حزم فى الغفلات فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره أن يحج بالناس وكان ممن لزم الباب، فقال جهاد هؤلاء أحب إلى من الحج فاقسم عليه فانطلق اه) وبهذا وبما سبق نقله عن ابن الاثير وغيره ظهر للقراء ان المحاضر لم يكتب التاريخ الاسلامى الدال على مدافعة الصحابة عن عثمان وبراءتهم من دمه وإنما كتب هواه ، وقوله (وكانت حاشية عثمان من بنى أمية ترى ان لعلى ضلعا فى هذا الامر إلى قوله وقد أدت الحال إلى أن ترك على المدينة رأسا)، تهمة فاجرة اتخذها منهم من لا صحبة له ولا قدر فى الإسلام مروان واضرابه ذريعة لنيل الملك وراثة تحت ستار المطالبة بدم عثمان ، وقد كادت الفتنة تطفأ لولا ذلك الكتاب الذى زوره على لسان الخليفة وأرسله على جمله مع غلامه أو مع حليفهم أبى الاعور السلمى بتأديب المصريين ، بعد رجوعهم مقتنعين بتولية ابن أبى بكر عليهم ، وبذاءة لسانه التى كان يواجه بها الناس فزادت هيجان الثوار على عثمان من أجله خصوصاً ومن توليته أقاربه عموماً ومن أمعن فى التاريخ يظهر له انه من جملة الاسباب التى أودت بحياة ابن عمه الخليفة المظلوم،قال ابن كثير فى بدايته فى ترجمته (وكان كاتب الحكم بين يديه ومن تحت رأسه جرت قضية الدار ، وبسببه حصر عثمان ابن عفان فيها ، وألح عليه أولئك أن يسلم مروان اليهم فامتنع عثمان أشد الامتناع اه) ، وقال فى موضع آخر (ومروان كان أكبر الاسباب فى حصار عثمان لانه زور على لسانه كتابا إلى مصر بقتل أولئك الوفد اه) ولم يصح له سماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا صحبة ذكره الحافظ ابن حجر فى أول كتاب الشروط من فتحه ، وقال فى إصابته لم أر من جزم بصحبته ، ثم كان من أسباب قتل عثمان اه. وقال الحافظ ابن عبد البر فيه فى استيعابه (ولد على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره لانه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل ، وذلك ان رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كان قد نفى أباه الحكم اليها فلم يزل بها حتى ولى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فرده عثمان فقدم المدينة هو وولده فى خلافة عثمان وتوفى أبوه فاستكتبه عثمان رضى الله تعالى عنه وضمه اليه فاستولى عليه إلى أن قتل عثمان ونظر اليه على رضى الله تعالى عنه يوماً فقال له ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك اه . ولقد علم بنو أميه أن علياً برىء من دم عثمان قولا وفعلا كبزاءة الذئب من دم يوسف عليه الصلاة السلام وقد أقسم مراراً فى خطبه بأنه برىء من دمه ، وثبت عنه أنه قال لو شاءت بنو أميه أن أباهلهم عند الكعبة أنى برىء من دم عثمان لفعلت . قال ابن كثير فى بدايته وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجمع الطرق الواردة عن على أنه تبرأ من دم عثمان وكان يقسم على ذلك فى خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضى به ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث اه . وقال ابن كثير أيضا فى تفسير سورة الرحمن أخرج ابن أبى حاتم بسنده عن عمرة بن سويد قال كنت مع على بن أبى طالب على شاطىء الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عز وجل ﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ والذى أنشأها تجرى فى بحوره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله ، وعلى أولى بعثمان من بنى أمية . قال محب الدين الطبرى فى الرياض النضرة (ذكر أولوية على بعثمان) عن وائل بن حجر أنه قال لمعاوية وقد عاتبه فى تخلفه عن نصرته فقال إنك قاتلت رجلا هو أحق بعثمان منك ، قال وكيف يكون أحق بعثمان منى وأنا أقرب إلى عثمان فى النسب ، قلت إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخى بين عثمان وعلى فالأخ أولى من ابن العم ، خرجه الطبرانى فى قصة طويلة بل ثبت عنه لعن قتلة عثمان والدعاء عليهم وقال المحب الطبرى أيضا فى رياضه (ذكر لعن على قتلة عثمان ودعائه عليهم) عن محمد بن الحنفة أن علياً قال يوم الجمل لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل

وعنه أن عليا بلغه أن عائشة تلعن قتلة عثمان فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال أنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله فى السهل والجبل مرتين أو ثلاثاً خرجهما ابن السمان وخرج الثانى الحاكمى ، وعن يحيى بن سعيد قال حدثنى عمى أو عم أبى قال لما كان يوم الجمل نادى على فى الناس : لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف ولا تبدءوهم بقتال كلموهم باللطف وقال إن هذا يوم من أفلح فيه أفلح يوم القيامة قال فتوافقنا على ذلك حتى أتانا حر الحديد ثم إن القوم نادوا بأجمعهم ياثارات عثمان قال وابن الحنيفة إمامنا معه اللواء فناداه على يا ابن الحنيفة ما يقولون ، قال يا أمير المؤمنين يقولون يا ثارات عثمان ، قال فرفع على يديه وقال اللهم أكب قتلة عثمان اليوم لوجوههم . خرجه الحسين القطان وابن السمان فى الموافقة ، وعن اسماعيل بن أبى خالد عن بعض أصحابه قال قال على يوم الجمل ما يريد هؤلاء القوم ، قال يقولون قتلة عثمان قال فرفع يديه إلى السماء وقال اللهم جلل قتلة عثمان منك اليوم بخزى ، خرجه ابن السمان أيضاً، وقوله (فكانت الوجوه تتقابل عابسة وتبدى عما فى القلوب) رجم بالغيب فلو كان موجوداً فى زمانهم ما استطاع أن يحكم على مافى قلوبهم. وقوله (وقد أدت الحال إلى أن ترك على المدينة رأسا) كذب تقدم أبطاله . وقوله (إلا أنه كان هناك شيء واحد إلى قوله من أن يذكر كل فريق عيب صاحبه) حكم على مافى نفوس بنى هاشم وبنى أمية وهو بهتان عليهم سيجازى عليه يوم القيامة جزاء الباهتين وأى شيء فى نفوسهم حتى يتناسوه وأى تاريخ صحيح من تواريخ الاسلام ذكر أن فى نفوسهم شيئا على بعضهم وأى تاريخ صحيح من تواريخ الاسلام ذكر أن كل فريق منهم عاب صاحبه سبحانك هذا بهتان عظيم. وقوله (ولا يغيب عن الفكر إلى آخر الكلام) حكم على قلوب أعيان الصحابة وبهتان عظيم أيضا ، وجواب قوله (لو كان هناك نظر بعيد لرؤس المسلمين الذين كانوا بالمدينة وفيهم القواد العظام والأئمة الأعلام لما كان لسفهاء الأمصار مهما كثر عددهم أن ينفذوا رغبتهم

التى فرقت كلمة المسلمين) هو ترك رئيسهم الأعظم ذى النظر البعيد والرأى السديد الفاروق رضى الله تعالى عنه تأديب تلك الشرذمة من سفهاء الكوفة الذين أسسوا هذه الفتنة العظيمة على الخلفاء ينفذون رغبتهم فى تفريق كلمة أهل بلدهم ثم كلمة المسلمين جميعاً بشكاية سعد وعمار وغيرهما من عماله الصالحين اجتهادا منه فى لم شعث المسلمين بالتغاضى عن حقوق الخاصة لمصلحة العامة وقد تحقق افتراءهم وتشغيبهم ومع ذلك قال لسعد لولا الاحتياط لكان أمرهم بينا وقال للصحابة : أعجب لمائة الف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير، وقال لهم أيضا إن أهل الكوفة قد أعضلونى ومع كون المسلمين كلهم معه يؤيدونه على تأديبهم .

المحاضرة الثامنة والعشرون

ص ٤٣ ج ٢ قال (أسباب مقتل عثمان « بيت عثمـــان » على وكيف انتخب ترجمته أول خطبة له « أول أعماله » اجمال الأسباب التى أدت إلى قتل عثمان بعد أن أتينا على تفصيل الحوادث التى أدت إلى هذه الفاجعة نتبعها ببيان مجمل لما يستنتج من تلك الحوادث).

ثم ذكر أربعة أسباب لقتله كلها باطلة اجمالا وتفصيلا لأن جل كلامه فيها طعن فى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قد تقدم أبطاله وسأسردها واحداً واحداً ليراها القراء ثم أفند كل واحد منها .

ابطال الأسباب الاربعة التى ذكرها فى مقتل عثمان

وذكر السبب الوحيد فى قتله

قال (السبب الاول) مهما كان رؤساء الأمة مخلصين بعضهم لبعض يتعاونون فيما بينهم على قضاء المصالح العامة فقلما يجد مريد السوء سبباً للفتن والثورات ، وإذا انصدع شمل القلوب وحلت الكراهة محل المحبه والتحاسد محل التناصر انفسح المجال لرواد الفتن ومحبي الاضطراب وعلى هذا كان الحال فى المدينة حاضرة الخلافة ومجمع رؤساء المسلمين والمرشحين منهم لولاية الأمر فان من يتصفح أحوالهم وما كان يبدو على ألسنتهم من الكلمات الشديدة المؤلمة فى حق عثمان سواء فى وجهه أوفى غيبته يحكم أن النفوس قد انطوت على مكروه حتى كانوا يلقبونه فى بعض الأحيان نعثلا ونعثل رجل مصرى كان طويل اللحية شبهوه به للغض منه ويقول فى لسان العرب إنهم لم يجدوا فيه عيبا سوى هذا وحتى قام من بينهم رجل أخذ العصا التى كان عثمان يخطب عليها فكسرها وهى عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أثرت كلمات فى حق عثمان عن كثير من كبراء المدينة كل ذلك يقال ويفعل من غير بيان الأسباب التى أدت بهم

إلى مثل هذا ومن غير نظر إلى ما تحدثه هذه الكلمات بين العامة خصوصا إذا صادفت مهيجين مثيرين اه).

فقوله هنا (وإذا انصدع شمل القلوب إلى قوله لولاية الأمر) رمى لجميع الصحابة بالمدينة بالحسد والبغض لعثمان رضى الله تعالى عنه وحكم على ما فى قلوبهم وهو بهتان وافك مبين مضاد لما وصفهم الله به من الرحمة بينهم (رحماء بينهم) مناف لما وصفهم الله به من محبته لهم ومحبتهم له وذلتهم لاخوانهم المؤمنين ﴿ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ﴾ مناف لتسمية الله للمهاجرين بالصادقين وللانصار بالمفلحين ، وقوله (فان من يتصفح أحوالهم إلى قوله سوى هذا) بهتان ثان مشتمل على افتراءين فى حقهم رضوان الله عليهم (١) ما كان يبدو على ألسنتهم الخ الهراء) (٢) تلقيبهم له بنعثل ولا يوجد منتسب إلى الإسلام تصفح أحوالهم فحكم على مافى نفوسهم بالبهتان الا هو وأضرابه حتى المبتدعة من الطائفتين الخوارج والرافضة لأن الخوارج يكفرونهم جميعا مع عثمان والرافضة يكفرونهم ما عدا علياً وأولاده فانهم يقدسونهم فلا حاجة بهم إذا الى تصفح أحوالهم الا خفف من غلواء بهتانه بذكر بعض الكلمات المؤلمة التى قيلت لعثمان فى وجهه وفى غيبته ونسبتها لقائلها حتى يبحث فى نقله ولكن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستح فاصنع ماشئت) والذين لقبوه بنعثل انما هم الثوار وحاشا الذين يقرءون قوله تعالى ﴿ ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ﴾ أن يفوهوا بهذا اللقب ومن فاحش افترائه حكمه على العام بحكم الخاص حكمه على أهل المدينة جميعا (الصحابة رضوان الله عليهم) بالحسد والبغض اللذين تبديهما ألسنتهم بالكلمات الشديدة المؤلمة فى حق عثمان باساءة رجل واحد منهم الادب مع عثمان مبالغا فى هذا الحكم الفائل بحتى الغائية بقوله (وحتى قام من بينهم رجل أخذ العصا التى كان يخطب عليها فكسرها وهى عصا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ، فان قيل المحاضر لم يحكم على جميع الصحابة

بالمدينة بما ذكر وإنما حكم على المرشحين لولاية الامر فى زعمه فمن أين لكم تعميم حكمه فى جميعهم ، قلت من مواضع من كلامه (١) من قوله وعلى هذا كان الحال فى المدينة حاضرة الخلافة (٢) ومن قوله فان من يتصفح أحوالهم الخ (٣) ومن مبالغته بحتى الغائية فى قوله حتى كانوا يلقبونه نعثلا (٤) ومن مبالغته أيضا بحتى الغائية فى قوله : وحتى قام من بينهم رجل (٥) ومن تنكير الرجل الذى كسر العصا فانه لم يكن من الرؤساء بل ولا من قريش وإنما هو من بنى غفار اسمه جهجاه وهو صحابى شهد بيعة الرضوان قام إلى عثمان رضى الله تعالى عنه وهو على المنبر فأخذ العصى من يده فوضعها على ركبته فكسرها فصاح به الناس فأصابته الاكلة فى ركبته فما حال عليه الحول حتى مات ، أفيلزم من كون هذا الصحابى الغفارى حاقدا على عثمان فى أمر يخصه أو ناقما عليه توليته أقاربه كما نقمها الثائرون أن يكون جميع الصحابة بالمدينة أو الرؤساء المرشحون لولاية الامر حاقدين عليه أيضا يتكلمون فيه بالكلمات الشديدة المؤلمة فى حضوره وفى غيبته ويلقبونه بنعثل سبحانك هذا بهتان عظيم أليس صياح الناس الذى جهله أو حذفه عمدا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (والمسجد مملوء بأهل المدينة) دليلا كافيا على انهم كارهون لفعله هذا محبون لعثمان أليس تأديبه على فعله هذا حقاً خاصا بعثمان دون الناس وقد ترك حقه فأى وزر يلحق الصحابة رضوان الله عليهم من كسر جهجاه عصا الخليفة وأى لوم يتوجه اليهم فى عدم تأديبهم له بأكثر من صياحهم فى وجهه إذا كان صاحب الحق قد تركه ، والصحابة ليسوا بمعصومين من صدور الذنوب منهم كما تقدم فى قصة الوليد بن عقبة وصحبتهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحجزهم إن شاء الله عن الاصرار على الذنب إلى الموت بل يتوبون منه وقد أخذ الله تعالى حق عثمان من جهجاه معجلا فى الدنيا بأكلة فى ركبته ليذهب إلى الآخرة وهو نظيف مطهر من هذا الذنب الذى ارتكبه فى حق خليفته مع كون عثمان رضى الله تعالى عنه بحراً فى الكرم والاخلاق الفاضلة يجوز أن

يسامح يوم القيامة جميع الظالمين له من أهل لا إله إلا الله فكيف بحجاه الذى شاركه فى الصحبة ورضى الله عنه . وقوله (وقد أثرت كلمات فى حق عثمان عن كثير من كبراء المدينة الى آخر الهراء) بهتان ثالث مكرر يتلذذ بتكراره ويركب له دائماً جادة الكائدين للاسلام فى سادات المسلمين بدون خجل ، الا خرج منها فقربه قليلا من التاريخ بذكر بعض الكلمات المأثورة فى حق عثمان وتعيين بعض القائلين لها من كبراء المدينة الكثيرين حتى ينظر فيه .

قال (السبب الثانى) : كان عثمان معروفا بخلق الحياء واللين ، أما الحياء فقد كان مشهورا به فى جاهليته وفى اسلامه حتى قال فى حقه عليه الصلاة والسلام (ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة) وخلق الحياء يحمل صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره . أما اللين فان الرجل كان كثير التشاؤم يخاف الفتن على المسلمين ويود أن لا يكون فتح بابها على يده يعرف ذلك من استقرأ خطبه وكتبه حتى أن خطبته التى قالها على المنبر لأول مرة لم تخل من هذا.دعاه الخلق الأول إلى التسامح مع من يناله منهم أذى فى حق نفسه فهو لا يوجه إلى واحد منهم كلمة تسوءه وهذا وان حسن عند الحكماء فانه لا يحسن أبداً فى سياسة الرعية بل لابد لمقام الخلافة من هيبة فى القلوب تقف بالناس عند الحد اللائق بهم انظروا إلى مافعله عمر مع سعد بن أبى وقاص حين زاحم الجموع المحيطة بعمر ووصل إليه مدللا بمركزه فانه خفقه بالدرة وقال جئت لاتهاب سلطان الله فى أرضه فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لايهابك فلا بد لسلطان الله من قوة تمنع عنه ضعفاً أوذلة . والخلق الثانى جعله يمتنع من عمل أى تدبير لمعاقبة المفسدين الذين رفعوا إليه وثبت أنهم يديرون حركة الفتنة من غير مبالاة أشار عليه ولاته حينما جمعهم لديه بالموسم أن يستعمل الشدة مع أولئك الذين يثيرون العامة بما يضعونه من الأحاديث الملفقة وكانت كلمة العمال فى ذلك واحدة فلم يعبأ بقولهم بل اختار اللين على الشدة لئلا يكون فاتحاً

باب الفتنة الذى يخيفه : ثم جاءه بالمدينة نفر من أولئك الناس وعلم مقصدهم وأشار عليه مشيره من أهل المدينة بعقوبتهم فلم يفعل بل اكتفى بأن دافع عن نفسه أمامهم بتلك الخطبة التى تلوناها عليكم ثم تركهم يعودون إلى بلادهم فما زادهم ذلك إلا افساداً لأنهم ليسوا بطلاب حق تنفعهم الذكرى وتقنعهم الحجة ، وانما هم طلاب شر يتطلبون الطريق اليه فكلما أعجزهم باب عدلوا إلى غيره اه) .

أقول : الصحابة كلهم متصفون بالحياء (والحياء من الإيمان) واختصاص عثمان رضى الله تعالى عنه بكثرته وبأنه أصدق الأمة فيه وباستحياء الملائكة منه ميزة له على جميعهم نطقت بها الأحاديث الصحيحة وقد عرَّف المحققون الحياء بأنه (انقباض النفس عن القبيح مخافة اللوم) قالوا وهو وسط بين الوقاحة التى هى الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا . فتعريفه له بقوله : (وخلق الحياء يحمل صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره) منطبق على تعريف الخجل . وقوله (فان الرجل كان كثير التشاؤم إلى آخر قوله انظروا مافعله عمر مع سعد) غير صحيح ولقد كان وصفه لعثمان بالتشاؤم الذى لا يليق بمطلق المؤمنين فضلا عن الكمل منهم مرة واحدة كافياً فى وصمه فكيف وقد زعم كثرته وقوله دعاه الحياء إلى التسامح مع من يناله منهم أذى إلى آخر الهراء فاسد لأنه نقد فيه وطعن فى الفاروق أيضا يقتضى أن هيبة مقام الخلافة لاتحصل إلا بشرطين ، بتوجيه الخليفة كلمة شتم لمن ناله منه أذى من رعيته وبخفقه بدرة وقد تركهما عثمان لحيائه فأخل بمقام خلافته وأتى بهما عمر فتمت له خلافته فنتيجة هذا الكلام اشتراطه فى الخليفة زيادة على مامضى له فى بحث الخلافة (من محبة الناس له ورضاهم به) أن يكون أيضاً شتاماً ضراباً بالهراوة والحكاية التى ذكرها عن عمر فى خفقه سعد بن أبى وقاص بالدرة رواها ابن جرير هكذا (حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد ابن مصعب القرقسانى قال حدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبى مريم عن راشد

ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه فعلاه عمر بالدرة وقال انك أقبلت لاتهاب سلطان الله فى الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك اه) وقد ذكرها سابقا فى مناقب عمر وهي باطلة من سبعة أوجه (الأول) اختلال اسنادها فالحارث مجهول ومحمد بن سعد فى الرواة كثير منهم الثقة ومنهم من صلب على الزندقه فهو مجهول أيضا ومحمد بن مصعب القرقسانى ضعفه النسائى وقال أبو زرعة حدث بأحاديث منكرة وأبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغسانى الحمصى اتفقوا على ضعفه وزيادة على هذا فقد ذكروا من روى عن راشد بن سعد ولم يذكروا فيهم أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم وراشد بن سعد الحمصى وان كان ثقة فروايته عن عمر رضى الله تعالى عنه منقطعة لأن وفاته سنة ١٠٨ ووفاة أمير المؤمنين سنة ٢٣ فبين وفاتهما ٨٥ سنة على أنه لم يثبت لقيه له ، (الثانى) أن أمير المؤمنين عمر كان قد رتب لجميع رعيته مرتبات معينة فى بيت المال فلا حاجة بهم اذاً إلى الازدحام عليه وقد قال واضع هذه القصة عليه انه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه ، (الثالث) ازدحام الناس عليه ينافى هيبتهم له وقد قال فى مناقبه سابقاً عقب ذكره لهذه القصة مانصه : (كانت الرعية مع هذا تهابه مهابة شديدة ثم ذكر بعده أيضا قصة مفتعلة وهى فى ابن جرير أيضا عن أسلم مولاه مضمونها أن نفراً من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف يكلم لهم عمر انه قد أخشاهم حتى لا يستطيعوا النظر اليه . (الرابع) ازدحام الناس عليه يستلزم دفع القوى منهم الضعيف وتقدمه عليه وهذا يستلزم ضربه لكثير من المزدحمين لا لسعد فقط وهذا يستلزم الضوضاء والفوضى وسقوط هيبة مقامه عندهم فهذه القصة ان صحت عنه ثلب له ولسعد لامحالة وليست منقبة له . (الخامس) ازدحام الناس عليه لأخذ المال منه ينافى مروءة رجال العرب وعفتهم فكيف بأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويستلزم شدة الهلع

والشره للمال من المزدحمين ولا شك أن هذا خلق ذميم وصم به الواضع لها جميع الصحابة لا سعداً فقط . (السادس) روينا فى صحيح الامام البخارى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قسم مالا فى مسجده بين ناس ولم يعط رجلا هو أحب الى سعد هذا فقال سعد يارسول الله مالك عن فلان انى والله لأراه مؤمنا ، فقال له عليه الصلاة والسلام أو مسلماً كرر سعد هذا الكلام لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث مرات وكرر له عليه الصلاة والسلام هذا الجواب كذلك ثم قال له عليه أفضل الصلاة والسلام ياسعد (والله إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله فى النار) فالذى سمع هذه التربية العظيمة منه عليه الصلاة والسلام كيف يستفزه الهلع والشره إلى المال حتى يزاحم عليه إخوانه لتحصيله . (السابع) ثبت بهذه الأوجه إن هذه القصة الموضوعة للحط من مقام سعد ولرفعة مقام عمر دالة أيضاً على وصم عمر بشدة الحياء واللين اللذين وصم بهما عثمان وجعلهما من أسباب قتله (لو صحت) وبيانه ماذكره فى المحاضرة الخامسة والعشرين فى سيرته قال (كان عمر ممن يشترى رضى العامة بمصلحة الأمراء) وقال أيضا فيها (على قدر ما كان عليه عمر من الشدة على عماله كانت رأفته ورقته على عامة الناس من رعيته) فحياؤه ولينه هما اللذان جرأ تلك العصبة الاجرامية التى أسست هذه الفتنة العظمى بالكوفة عليه وعلى عثمان فى العبث بعمالهما فمنعاه من تأديب أولئك العابثين بكرامته وكرامة أبى اسحاق سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما مع تحققه افتراءهم وحياؤه ولينه هما اللذان جرأ الناس على الازدحام عليه فذكره لها فى سيرته عاداً لها فى مناقبه واستشهاده بها هنا على لين عثمان وهيبته هو فى قلوب رعيته فاسد فأى هيبة لمن افترى شرذمة من رعيته على عامله ولم يصنع بهم شيئا وأى هيبة لمن ازدحم طائفة من رعيته عليه ولم يهذب أخلاقهم بحكمة لسانه إن كانت الآداب النبوية لم تهذبهم وأى منقبة لمن أدب واحداً من المزدحمين عليه بدرته وترك الباقيين وأى لوم على عثمان فى تركه معاقبة المفسدين

الذين رفعوا اليه وثبت أنهم يديرون حركة الفتنة من غير مبالاة (وهم مئون) إذاكان الفاروق ترك معاقبتهم (وهم عدد قليل). وقوله (أشار عليه ولاته حينما جمعهم لديه بالموسم أن يستعمل الشدة مع أولئك الذين يثيرون العامة فلم يعبأ بقولهم بل اختار اللين على الشدة الخ) غير صحيح فالذى أشار عليه منهم باستعمال الشدة معهم إنما هو سعيد بن العاص فقال عثمان هذا هو الرأى لولا ما فيه، والباقون أشاراو عليه برأى متقارب فقد قال له ابن عامر أرى لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم عنك بالجهاد حتى يذلوا لك ولا يكون همة أحدهم إلا فى نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته، وقال معاوية أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وا كفيك أنا أهل الشام، وقال ابن أبى سرح إن الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم. وقوله (ثم جاءه بالمدينة نفر من أولئك الناس وعلم مقصدهم وأشار عليه مشيره من أهل المدينة بعقوبتهم فلم يفعل إلى آخر الكلام) باطل لأن الجائين له ليسوا نفراً بل هم وفود كثيرة من الأمصار الثلاثة وقد صرح به سابقاً فى صفحة ٣٨ قال (فخرجت وفود من الأمصار الثلاثة) وكيف يعاقب وفوداً من رعيته قدموا يسألونه عن أشياء من سيرته انتقدوها فى زعمهم عليه ووراءهم فى أمصارهم مئون يعضدونهم عليه فتركه لهم من غير تأديب بعد إقناعه لهم بالحجج الحاسمة هو الصواب الذى لا يمكنه هو ولا غيره أن يصنع معهم أكثر منه والذى أشار عليه من أهل المدينة بعقوبتهم ان صح لا نظر له فى العواقب.وأخلق به أن يكون غير صحابى من قرابته ولو كان الفاروق بدله ما زادهم على هذا وقد حيرته وأعضلته طائفة منهم من مصر واحد فهل يمكن ذا النورين معاقبتهم وقد صاروا فى زمنه جيشا عرمرماً من أمصار ثلاثة فلوكان الحياء واللين من أسباب قتل عثمان لما طالت خلافته اثنتى عشرة سنة مضى نصفها منتظماً فى سلك الهناء والرفاهية محبوبا مرضياً عنه من جميع رعيته باجماع أهل النقل،ولبادروا إلى التشغيب عليه من أول

توليته حيث علموا انه مطبوع على الحياء الذى يحمله على الاغضاء عن كثير مما يكره وعلى اللين الذى يجعله يمتنع عن عمل أى تدبير لمعاقبة المفسدين .

قال (السبب الثالث) (ما خالف به عثمان صاحبه عمر فى أعلام قريش فان عمر كان يحجر عليهم فى المدينة فلا يسمح لهم أن يبارحوها إلا باذن واجل فلما جاء عثمان سمح لهم بذلك وكان هذا لهم مما حببه اليهم ولكن ترتب عليه ما حذره عمر فانه قد اجتمع اليهم اناس ممن لا سابقة لهم فى الاسلام والتصقوا بهم وتقربوا اليهم حتى إذا كان الامر لهم فى يوم من الايام كانوا أقرب الناس اليهم فنبه بذلك ذكرهم ، وإلا فلماذا كان أهل البصرة يريدون طلحة . وأهل الكوفة يريدون الزبير، وأهل مصر يريدون عليا ، صحيح ان عليا لم يجىء مصر ولكن جاءها من هو أمس الناس به رحما وهو محمد بن أبى بكر ربيبه لأن أمه أسماء بنت عميس تزوجها على بعد موت أبى بكر وكان محمد فى حجرها فرباه على فلم تكن طلبات أهل الامصار إلا نتيجة لما فعله عثمان وانقطاع العامة إلى أولئك الاعلام أو لمن هو منهم بسبيل حتى يكون لهم شأن إذا انتقلت الخلافة إلى صاحبهم ولذلك لما تم الامر لصاحب المصريين ولم يتم الامر للآخرين اجتمعا عليه ، لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التى سبقت قتل عثمان أن ينفى عن أعلام قريش تطلعهم إلى ولاية الامر ولكن من الصعب أن يثبت على أحدهم اشتراك حقيقى مع المتآمرين والذى يؤخذ عليهم هو هوادتهم فى القيام بنصرة عثمان خليفة المسلمين واسترسال بعضهم فى الاقوال التى تحط من قدره حتى وقت اشتداد الأزمة. وعلى مسمع من رؤساء الثائرين الذين يشتد هياجهم بمثل هذه الكلمات اه) .

قوله السبب الثالث (ماخالف به عثمان صاحبه عمر فى اعلام قريش إلى قوله وإلا فلماذا كان أهل البصرة) تقدم إبطاله بستة عشر وجها خلاصتها افتراء هذا الحجر لاعلام قريش بالمدينة على عمر رضى الله عنه وقوله(فلماذا كان أهل البصرة يريدون طلحة إلى قوله صحيح ان علياً)

يعنى وان لم نقل بأن عثمان خالف صاحبه عمر فى اعلام قريش فلماذا كان
إلى آخر الهراء قد تقدم ان أهل البصرة لوكانوا يريدون طلحة ما قبلوا
عثمان بن حنيف لما جاءهم أميرا من قبل على ولما افترقوا على ثلاث فرق
فرقة انضموا إلى طلحة وقاتلوا معه، وفرقة قاتلوه وفرقة اعتزلت . ولبادروا
كلهم لبيعته ولم يختلفوا عليه هذا الاختلاف . ولوكان أهل الكوفة
يريدون الزبير ما بايعوا كلهم علياً ولبادروا إلى مبايعة الزبير وقد وجدوا
الفرصة لها لانه وصل العراق قبل على بمدة . ولوكان المصريون يريدون
عليا ما افترقوا أيضا إلى فرقتين . فرقة وهم الاكثرون بايعوه ، والاقلون
وهم العثمانيون اعتزلوا ولم يبايعوه أصلا ولما خذلوا أميره عليهم محمد بن
أبى بكر لما أرسل اليها معاوية جيشا فأدخلها تحت طاعته وتركوه مفرداً ،
على انه فاسد أيضا فى أهل العراق فلوكان أهل البصرة يريدون طلحة
مابادر ثوارهم الذين حضروا قتل عثمان لمبايعة على مع أهل المدينة ولبادروا
الى بيعة صاحبهم الذى يريدونه ولم يخضعوا لثوار المصريين أبداً ، ولوكان
أهل الكوفة يريدون الزبير مابادر ثوارهم الذين حضروا قتل عثمان لمبايعة
على مع أهل المدينة ولبادروا الى بيعة صاحبهم الذى يريدونه ولم يخضعوا
لثوار المصريين أبداً ويستحيل على هذا خضوع ثوار العراق جميعا لثوار
المصريين فيبايعون معهم صاحبهم عليا وهم ضعفهم فى العدد وأقوى منهم
شكيمة وللزم على هذا العكس وهو خضوع ثوار المصريين لثوار العراق
فلو اتفق ثوار البصرتين على مبايعة واحد من صاحبيهما للزم ثوار المصريين
مبايعته ولزم أيضا أهل المدينة ذلك تبعاً لهم لان الكلمة العليا بها للثوار كما
سيزعمه فى بيعة على فاتفاقهم على مبايعة على مع أهل المدينة والمصريين دليل
على بطلان ماهذى به ، وقوله (صحيح ان عليا لم يجىء مصر ولكن جاءها
إلى قوله فرباه على) حكم على ضمائر القلوب كعادته وافتراء على على وعلى
ابن أبى بكر وعلى التاريخ الاسلامى وهو بين أيدينا فانه لم يقل ان عليا بعث
ابن أبى بكر ليدعو له المصريين ولم يقل انه كان يدعوهم لزوج أمه على

وإذا كان جاء مصر مشوشا على عثمان لكونه حاقداً عليه فى غرض خاص به أفيلزم منه دعاؤه المصريين لزوج أمه ، هذا بهتان لا يفهمه النواصب فضلا عن غيرهم ماحمله عليه وعلى تركه ظاهر حال ابن أبى بكر المنقول فى التاريخ وهو مجرد تشغيبه على عثمان إلا بغضه لحيدرة فان كان لابد له من البهتان عليه وعلى على وعلى التاريخ الاسلامى فلم لا يجوز أن يكون داعياً لهم لمن هو أقرب اليه من على وهو أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر وهو أهل لها لشجاعته وفضله ومنزلة أبيه فى الاسلام أو يدعوهم لطلحة ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو أيضا أقرب اليه من على لانه من عشيرته بنى تيم وهو أهل ومحل لها لسابقته وهجرته ومن ستة الشورى . وليفرض صحة هذا البهتان كله فى ابن أبى بكر فما يصنع فى محمد ابن أبى حذيفة العبشمى الذى رباه عثمان وهو من قرابته وابن خال معاوية وقد نطق التاريخ الاسلامى بأنه قائد الفتنة الكبرى على عثمان بمصر وقد تقدم انه فعل بها من التشغيب عليه ما لم يفعله ابن أبى بكر وابن السوداء معاً فقد وثب أخيرا على نائب ابن أبى سرح بها لما توجه هذا الى عثمان فقتله واستولى عليها وجهز ذلك الجيش الظالم الى عثمان ولما رجع ابن أبى سرح من وفادته منعه من دخول مصر ، أهذا كذلك بينه وبين على رحم حتى أمال المصريين اليه أم هو الجهل بالتاريخ والبغض لاصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصا أبا الحسن . وقوله : (فلم تكن طلبات أهل الامصار إلا نتيجة لما فعله عثمان إلى قوله لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث) كله فاسد تقدم إبطاله مفصلا يعنى ان طلبات ثوار الامصار فى زعمه ، لم تكن الا نتيجة لما فعله عثمان من فسحه لاعلام قريش فى التجول فى الامصار الذى منعهم منه عمر . وقوله (لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التى سبقت قتل عثمان أن ينفى عن أعلام قريش تطلعهم إلى ولاية الأمر إلى آخر الكلام) طعن مكرر فى كبار الصحابة ورمى لهم بالمشاركة فى دم عثمان رضى الله عنه قد عود قراءه عليه كثيراً وتمرن عليه فلا يستنكر منه هنا محاولة نهش

أعراض سادات قدسهم الله وأثنى عليهم فى كتابه المتواتر ورضى عنهم ثم أثنى عليهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عموماً وخصوصاً ونهى عن التكلم فيهم فى أحاديث كثيرة منها ماروواه الامام أحمد فى مسنده عنه عليه الصلاة والسلام (دعوالى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل جبل أحد ذهبا مابلغتم أعمالهم) ، وما رواه ابن عساكر عن أنس رضى الله تعالى عنه (دعوا لى أصحابى وأصهارى فمن آذانى فى أصحابى وأصهارى آذاه الله تعالى يوم القيامة) ، وما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحيهما عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) وأخرج أصحاب الكتب الستة إلا مالكا عن عمران بن حصين رفعه (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن) ، وأخرج الامام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شىء فسبه خالد فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تسبوا أصحابى فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) ، وأخرج عن أبى موسى رفعه (النجوم أمنة السماء فاذا ذهب النجوم أتى السماء ماتوعد وأنا أمنـة لأصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى مايوعدون وأصحابى أمنة لأمتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى مايوعدون) ، وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود وثوبان وأبو يعلى وابن عدى عن عمر ابن الخطاب (إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا) ، وعند الدارمى وابن عدى والبيهقى والديلمى (اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

فقوله (لايمكن من قرأ تفصيل الحوادث التى سبقت قتل عثمان إلى

قوله مع المتآمرين) صحيح لايمكنه نفى ذلك ولكن عند أشباهه المولعين بتتبع وتقليد الأباطيل والوضاعين والكائدين للاسلام ، أما القارى المسلم اللبيب المتمسك بالتاريخ الصحيح فانه ينفى ذلك عنهم ويبرأ إلى الله منه .
وقوله (والذى يؤخذ عليهم هو هوادتهم فى القيام بنصرة عثمان خليفة المسلمين) افتراء عليهم وعلى التاريخ الاسلامى المبرىءلهم وقدنقلته سابقاً واضحاً عن ابن الأثير وغيره فالصحابة كلهم رضوان الله عليهم لم يألوا جهداً فى نصره والمدافعة عنه وقد عزموا على ذلك ولكن عثمان رضى الله تعالى عنه أقسم عليهم بكف أيديهم ولزوم بيوتهم كما تقدم ومنعهم من سفك الدماء فى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فاستسلم للقضاء وصبر .
فان كان المحاضر ترك التاريخ الصحيح وامتطى الأباطيل عمداً فهو بلاشك من المناوئين للاسلام وان كان جاهلا له فكيف ساغ له الحكم عليهم بقوله : (والذى يؤخذ عليهم هو هوادتهم فى القيام بنصرة عثمان) ، والله سبحانه وتعالى والتاريخ الاسلامى الصحيح وعثمان الخليفة نفسه قد برؤوهم من دمه . (وقوله واسترسال بعضهم فى الأقوال التى تحط من قدره إلى آخر الهراء) افتراء عليهم مكرر قد تقدم ابطاله مبرهنا .

قال فى ص ٤٥ ج ٢ (السبب الرابع) (سهولة التأثير فى الجماعات متى أتوا من قبل مايهوون وما يحبون وهم فى هذه الأحوال لايصبرون حتى يتثبتوا مما يلقى عليهم بل سرعان مايصدقونه ويألمون له ان كان مؤلما ويسرون ان كان ساراً كان الناس مسلمين يحبون نبيهم أكثر مما يحبون أنفسهم عربا يحبون العدل والمساواة كما عودهم عمر فجاءهم ذلك الشيطان عبد الله بن سبأ من الجهة التى يألفونها وهى نقطة ضعفهم صار يضع لهم الكلام فى تعظيم الرسول وأهل بيته ويعسو بهم على بن أبى طالب وصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان لكل نبى وصى وأنه من اللازم أن يعطى الأمر لصاحب الحق لأن من اجترأ عليه فأخذه منه ظالم غاشم ثم صار يزيد على ذلك مايدسه مدحا لعلى بن أبى طالب حتى علا به إلى درجة

لم يطلبها على لنفسه ومثل هذا الكلام يسهل إدخاله فى القلوب خصوصا إذا كان قد سبقه شىء من الضغينة على من بيده أمر الخلافة ولذلك نرى الرجل كان يتتبع من أصابهم من ولاة عثمان أذى فى نفسه أو ماله ثم جاءهم من قبل العدل والمساواة فصار يطعن فى أمراء عثمان مرة بأنهم شبان ومرة بأنهم من ذوى قرباه ومرة بأنهم ظلمة يسومون الناس خسفا والذين كانوا يؤيدونه لأغراض فى أنفسهم اشتغلوا فى الأمر بمهارة فصارت شيعتهم فى كل مصر تكتب إلى المصر الآخر بما عندهم من المحزنات فيقرأ كتابهم على العامة علنا فيستغيثون بالله مما حل باخوانهم ويقولون نحن فى عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس حتى أمكنهم أن يوغروا صدور العامة التى تجتمع عليهم وليس لما يكتبون صحة اه).

أقول قد عظم المحاضر سابقاً شأن ابن سبأ هذا فجعله قائد ومحرك الفتنة الكبرى التى قامت على عثمان فى جميع الأمصار وكرر هنا التهويل به فجعله أحد الأسباب الأربعة فى قتل عثمان رضى الله عنه (وهو أقل وأذل من كونه أحد الاسباب فى مقتله فضلا عن كونه قائد الفتنة) وقد أبطلت جعجعته فيه هناك بالبراهين . فقوله (سهولة التأثير فى الجماعات) أى العامة صحيح . وقوله (متى أتوا من قبل مايهوون ويحبون) غير صحيح فان الغوغاء يتأثرون بكل مايلقيه اليهم من وثقوا به واعتقدوا فيه محبوباً كان لهم أم لا . ولذلك أثر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فيهم (الغوغاء اتباع كل ناعق إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا نفعوا) فقيل له وكيف ذلك قال إذا اجتمعوا اواتفقوا ولو على ضلال ضروا المسلمين وإذا تفرقوا نفعوهم بمهنهم هذا حدادوذاك خياط وآخر نجار وهكذا وعليه فزعمه سهولة تأثير تعاليم ابن سبأ فى جماعات أمصار المسلمين باطل من أربعة أوجه :

(الاول) قد حققت سابقاً فى مواضع أن فتنة التمرد على الخلفاء وعمالهم تأسست بالكوفة فى عهد الفاروق وابن سبأ انما أسلم فى خلافة

عثمان فمن أثر بضلاله فى الجماعات فى عهد عمر .

(الثانى) المحاضر كثير التناقض وكتابة مالا يعقل فقد زعم قريباً فى المحاضرة التى قبلها أن أهل البصرة كانوا يريدون طلحة وأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير فارادة أهل المصرين لهما دليل على أن ابن سبأ لم يؤثر بتعاليمه فى العراق شيئاً إذ لو أثر فيه لارادوا جميعاً علياً ولم يريدوا طلحة والزبير ، وكلامه فى هذا السبب يدل على أن ابن سبأ أثر فيه بتعاليمه (التى زبدتها الدعاية لعلى) فى جميع الامصار وعليه فيستلزم أن يكون جميع أهل العراق شيعة لعلى يريدونه ولا يريدون طلحة والزبير ولاشك أن هذا عين التناقض فلوفرضنا صحة هذا الفشار لبطل الزعم المذكور ولو فرضنا صحة الزعم المذكور لبطل هذا الفشار وفرض صحتهما معاً لا يعقل .

(الثالث) ذكر ابن كثير فى بدايته (إن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص فجعلوا يعملون عليه حتى شكوه لعثمان لينزعه عنهم ويولى عليهم من هو ألين منه فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمرا عن الحرب وتركه على الصلاة وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبى سرح ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما كلام قبيح فأرسل عثمان فجمع لابن أبى سرح جميع عمالة مصر خراجها وحربها وصلاتها وبعث إلى عمرو يقول له لا خير لك فى المقام عند من يكرهك فاقدم إلى فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينه وفى نفسه من عثمان أمر كبير اه) .

وهذا يدل على أن الفتنة على الخلفاء وعمالهم بمصر تأسست أيضاً فى عهد الفاروق لأن عزل عمرو بن العاص عنها وتولية ابن أبى سرح عليها كان فى سنة ست وعشرين وخلافة عثمان كانت فى أول سنة أربع وعشرين وقد ولى الفاروق عمراً عليها منذ فتحها وبقى والياً عليها حتى عزله عثمان وابن سبأ إذ ذاك لم يزل يهودياً فى صنعاء وقد مضت ست سنين من خلافة عثمان منتظمة فى سلك الطمأنينه والرفاهية فتشغيب خوارج مصر على عمرو شبيه بتشغيب خوارج الكوفة على سعد ابن أبى وقاص ، وعزل عثمان

لعمرو عن مصر شبيه بعزل الفاروق لسعد عن الكوفة ، وعذر عثمان فى عزل عمرو كعذر عمر فى عزل سعد .

(الرابع) انقسام أهل مصر فى على إلى طائفتين طائفةوهم الأكثرون بايعوه وطائفة لم يبايعوه دليل على أن تعاليم ابن سبأ لم تؤثر فيهم شيئاً وبما تقرر ظهر فساد قوله (كان الناس مسلمين يحبون نبيهم إلى قوله ولذلك نرى الرجل كان) الذى يقتضى أن الناس كلهم أفسدهم ذلك الشيطان ابن سبأ بتعاليمه بعد أن كانوا مسلمين يحبون نبيهم إلى آخر الهراء فالمسلمون كلهم يحبون نبيهم ويحبون العدل وجمهورهم إذ ذاك على اتباع سنته وعلى احترام خلفائه الأربعة وعلى قتل عثمان مظلوما شهيدا . وقوله (ولذلك نرى الرجل كان يتتبع من أصابهم من ولاة عثمان إذى فى نفسه وماله) دعوى كغيرها من دعاويه الكثيرة التى يرسلها بلا خطام ولا زمام ولوكان صادقا فيها لسمى لنا ولو واحدا من هؤلاء الذين تتبعهم ابن سبأ بتعاليمه ممن لحقهم من ولاة عثمان أذى فى نفسه وماله. وقوله (ثم جاءهم من قبل العدل والمساواة إلى قوله والذين كانوا يؤيدونه) رمى لجميع القائمين بالفتنة الكبرى على الخلفاء وعمالهم بمنتهى الغباوة يدل على أنهم لا يفهمون ولا يعرفون العدل والمساواة ولا يعرفون الطعن فى أمراء عثمان بأنهم مرة شبان ومرة بأنهم من ذوى قرباه ومرة بأنهم ظلمة يسومون الناس خسفاً حتى جاءهم ذلك الوغد من صنعاء فعرفهم جميع ذلك كما ظهر فساد قوله (والذين كانوا يؤيدونه لأغراض فى أنفسهم إلى آخر الهراء) وحيث تحقق للقراء فسادهذه الأسباب الأربعة التى ثرثر بها فى مقتل عثمان . أقول : السبب الوحيد فى قتل عثمان رضى الله عنه واحد وهو تجنى من لا صحبة له ولا بصيرة فى الدين من العرب على قريش وخلفائها وبطرهم نعم الله عليهم بالاسلام والتوسع فى الفتوحات والدنيا وقد حققته سابقاً فى مواضع ولو قلت بتعدد الأسباب فى قتله لقلت بسببين آخرين من قرابته وهما محمدبن أبى حذيفة بمصر ومروان بن الحكم بالمدينة وقد تقدم ما يتعلق بهما

موضحاً ، ثم رتب على هذه الأسباب قوله (فقد كانوا يعيبون معاوية وهذا لم يوجده عثمان بل ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وولاه أبو بكر وولاه عمر ولم نر من العمال من استمر موثوقا به من عمر حياته كلها إلا أفراداً قلائل منهم معاوية بن أبى سفيان فقد كان واليا من أول حياة عمر إلى آخرها وكانت الشام أعدل ولايات المسلمين وأهدأها وكانوا يعيبون عبد الله بن أبى سرح لا لأنه ظالم أو جائر وإنما لامر آخر وهو أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بقتله يوم الفتح ثم استوهبه منه عثمان فعفا عنه ولم يعلموا أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان إذا عفا فإنما جر على الذنب ستراً لا يزول ، وكانوا يعيبون مثل الوليد بن عقبه وهذا كان والياً لعمر بن الخطاب ومات عمر وهو وال له ، وكانوا يعيبون سعيد بن العاص وهو باعتراف أهل البصرة من أجود العمال واحكمهم بالقسط فلم تكن هذه المذام موجهة بحق لرفع جور وإنما كانت للتأثير فى قلوب الناس وهم يتأثرون بسرعة من مثل هذا القول ، وساعدهم على ذلك أولياء الأمر لم يبادر وا بأخذ الحيطة لأن العمال لم يكن لهم مثل ذلك السلطان والخليفة حذر من أن يأمر بذلك فضاعت مصلحة الأمة وإذا أردنا أن نحمل الناس فى ذلك الوقت تبعة أعمالهم وجدنا عثمان أقلهم تبعة فى ذلك . لأن الحلم واللين لم يكونا فى زمن من الأزمان مما يتجنى به على أولى الأمر والتبعة يحملها من مهدوا السبيل لذلك اه .

أقول : اشتمل كلامه هذا كله على مخالفة التاريخ وغلو وتقصير وتناقض . فقوله (فقد كانوا يعيبون معاوية إلى قوله وكانوا يعيبون عبد الله) فيه غلو ومخالفة للتاريخ ، أذهله تغاليه فى رفع مقام معاوية رضى الله تعالى عنه عن إجادة التعبير فى حقه بأن يقول مثلا وهذا لم يوله عثمان بل ولاه الخ.فأساء التعبير بقوله وهذا لم يوجده عثمان والايجاد مختص بالقادر الحكيم لا يستطيع عثمان ولا جميع الخلق إيجاد ذرة أو أى فعل من الأفعال . وقوله (بل ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وولاه

أبو بكر) غير صحيح لم يوله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أبو بكر وإنما ولى أبو بكر أخاه يزيد بن أبى سفيان أميراً وقائدا على أحد الجيوش التى فتحت الشام فلما مرض يزيد فى طاعون عمواس استخلفه على عمله فأقره عمر على ذلك فاستمر عليه حتى جمع له عثمان الشام كلها . وقوله (ولم نر من العمال من استمر موثوقاً به من عمر حياته كلها إلا أفراداً قلائل منهم معاوية) غير صحيح فجميع عمال عمر موثوق بهم عنده وإن عزلهم وقد تقدم أبطاله تفصيلا ، وقوله (فقد كان واليا من أول حياة عمر إلى آخرها) غلط غير صحيح حمله عليه أيضا تغاليه فيه ومقصوده أنه كان واليا لعمر من أول خلافته إلى آخرها فعبر بالحياة عن الخلافة وحياة عمر كلها ثلاث وستون سنة خلافته منها عشر سنين ونصف وهو غير صحيح أيضا فى ولايته من أو خلافة عمر لأن الفاروق تولى الخلافة فى سنة ثلاث عشرة للهجرة وطاعون عمواس الذى مات فيه يزيد بن أبى سفيان كان فى السنه السابعة عشرة للهجرة فيكون ابتداء ولاية معاوية بعد مضى خمس سنين من خلافة الفاروق ، وقد جعل كل وال ولاه عمر ووثق به ولم يعزله مقدسا لا يسوغ لأى خليفة أن يعزله وسيأتى فى خلافة على نقضه وإفاضة البحث فيه وعيبهم لابن أبى سرح ليس من كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، أمر بقتله يوم الفتح فقط بل لكونه من مسلمة الفتح وقريب عثمان لأنه أخوه من الرضاعة .وقوله (وكانوا يعيبون مثل الوليد ابن عقبة وهذا كان والياً لعمر بن الخطاب ومات عمر وهو وال له) غير صحيح.لم يوله عمر وإنما ولاه عثمان . وقوله (وكانوا يعيبون سعيد بن العاص وهو باعتراف أهل البصرة من أجود العمال) غلط وتقصير لأن سعيد بن العاص ولاه عثمان على الكوفة بعد عزل الوليد بن عقبة عنها ، وإنما ولى على البصرة من قرابته عبد الله بن عامر ، والتحقيق فى عيب ثوار الأمصار لعثمان من أجل هؤلاء العمال إنما هو قرابتهم له وليست ولاية اقرباء الخليفة أو السلطان عيباً قادحا فيه عند العقلاء إذا كانوا

أكفاء لما أسند اليهم وهؤلاء العمال قرابته كلهم كانو أكفاء لما ولوا عليه وكلهم ولوا وهم رجال كبار الا ابن عامر فان عمره كان نحو الخمس والعشرين وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أسامة بن زيد مولاه على جيش فيه شيوخ المهاجرين والأنصار وعمره ثمان عشرة سنة. وولى أباه من قبله على سرايا، وولى عمه حمزة أميراً على سرية، وولى عليا رضى الله عنه على أهله بالمدينة لما توجه عليه الصلاة والسلام إلى تبوك وولاه أيضا قائد جيش بعثه إلى اليمن وولاه أيضا على تبليغه عنه جميع العرب بموسم الحج سنة تسع أوائل سورة براءة وقال لا يبلغ عنى إلا رجل من أهل بيتى، وولى عتاب بن أسيد أميرا على مكة لما فتحها وعمره نيف وعشرون سنة وهو من قرابته بنى عبد مناف. وقوله (وساعدهم على ذلك إلى قوله فضاعت مصلحة الأمة) قد تقدم إبطاله وقوله وإذا أردنا أن نحمل الناس فى ذلك الوقت تبعة أعمالهم وجدنا عثمان أقلهم تبعة فى فى ذلك) غير صحيح فلا تبعة على عثمان أصلا ولا على الناس والتبعة كلها محمولة على الثوار وحدهم. وقوله (لأن الحلم واللين لم يكونا فى زمن من الأزمان مما يتجنى به على أولى الأمر) نقض لما ثرثر به فى السبب الثانى قال فى ص ٤٦ (لا تمكن حماية الأمة من أصحاب المقاصد السيئة الذين يريدون فتنتها وتهييجها لغير مصلحتها إلا أن كان فيها من العقلاء من يحترم رأيهم وتسمع كلمتهم فانهم يبصرون قومهم بما يعود عليهم بالخير والفلاح وكل امة فقدت هؤلاء السراة العقلاء سهل على مثل ابن سبأ ومن لف لفه أن يفتنوها ويلفتوها عما يصلحها ويجعلوا بأسها بينها شديدا وهم فى كل زمن كثيرون فما ظنك إن كان سراتها ممن يساعد على فتح باب الشر بأغضائه وتهاونه إن الشر حينئذ يكون مستطيرا والبلاء عظيما وسيرد عليكم من ذلك شيء كثير اه). أقول أشتمل هذا الهراء على أمرين تعظيم شأن ابن سبا والطعن فى الصحابة وقد تقدم إبطاله مفصلا فيهما.

تنبيـــه

قال ابن كثـير فى بدايته مانصه (إن قال قائل كيف وقع قتـل عثمان رضى الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضى الله عنهم فجوابه من وجوه :

(أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله فان أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة أما أن يعزل نفسه ، أو يسلم اليهم مروان بن الحكم أو يقتلوه فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة ، وأما القتل فماكان يظن أحد أنه يقع ولا أن هؤلاء يجترئون عليه إلى ماهذا حده حتى وقع ماوقع والله أعلم . (الثانى) أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة ولكن لما وقع التضييق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويغمدوا أسلحتهم ففعلوا فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ماظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية . (الثالث) أن هؤلاء الخوارج لما اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة فى أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة بل لما اقترب مجيئهم انتهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ماصنعوا من الامر العظيم ، (الرابع) ان هؤلاء الخوارج كانوا قريبا من ألفى مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن فى أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة لان الناس كانوا فى الثغور وفى الاقاليم فى كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ومن كان يحضر منهم المسجد لايجىء إلا ومعه السيف ، يضعه على حبوته إذا احتبى ، والخوارج محدقون بدار عثمان رضى الله تعالى عنه ، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضى الله تعالى عنه لكى تقدم الجيوش من الامصار لنصرته ، فما فجىء الناس إلاوقد ظفر أولئك بالدار

من خارجها ، وأحرقوا بابها وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما مايذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان رضى الله تعالى عنه بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الامر كعمار ابن ياسر ومحمد بن أبى بكر وعمرو بن الحمق وغيرهم اه) .

وقد أخطأ فى عمال عثمان (قال عمال عثمان) (العلاء بن الحضرمى على مكة ، القاسم بن ربيعة الثقفى على الطائف ، يعلى بن منية على صنعاء ، عبدالله ابن أبى ربيعة على الجند ، عبد الله بن عامر على البصرة ، سعيد بن العاص على الكوفة ، عبد الله بن سعد على مصر ، معاوية بن أبى سفيان على الشام اه) . فعامله عند قتله رضى الله تعالى عنه على مكة عبد الله بن الحضرمى ، والعلاء بن الحضرمى توفى فى خلافة عمر سنة أربع عشرة وقيل احدى وعشرين ، وعبد الله بن عامر ترك البصرة قبل قتل عثمان فلم يول عليها أحداً وقيل بعد قتله وقدم مكة وانضم الى طلحة والزبير وحضر معهم وقعة الجمل ولم يحضر صفين ، وسعيد بن العاص وفد على عثمان فلما رجع إلى الكوفة رده ثوارها يوم الجرعة قبل مجيئهم إلى عثمان واختاروا أبا موسى الاشعرى فولوه عليهم وكتبوا إلى عثمان لاحاجة لنا فى وليدك ولا فى سعيدك ، وابن أبى سرح وفد أيضا على عثمان فلما رجع وجد ابن أبى حذيفة استولى عليها فمنعه من دخولها فذهب إلى الرملة ومات بها .

تم بحمد الله الجزء الاول ويليه الجزء الثانى

وأوله خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

الفهـــــرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تم والحمد لله أولا وآخرا

